المحـور الثالث عشر

رسائل ترشيد الصحوة



وقفات مع الشِّيعة الاثني عشريَّة

الإمـام يوسف القرضاوي

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].





من مشكاة النبوة الخاتمة

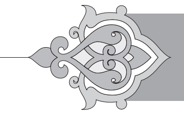
عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «**لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**». رواه مسلم وأحمد.

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية**». رواه أحمد.

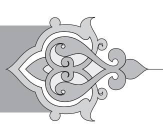
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه**». متفق عليه.

عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ صعد أحدا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثبت أُحُد؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**». رواه البخاري.

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة



الحمد لله الَّذي هدانا لهذا وما كُنَّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله! اللهمَّ ربَّنا لك الحمد، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، ملءَ السماوات وملءَ الأرض، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعد. وأزكى صلوات الله وتسليماته على صفوة الله من خلقه، وخاتم أنبيائه ورسله، مُعَلِّم النَّاس الخير، وهاديهم إلى الرشد، ومُخْرِج النَّاس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراطٍ مستقيم؛ أرسله ربُّه بالهدى ودين الحقِّ ليُظْهِرَه على الدِّين كلِّه، فختم به أنبياءه ورُسُلَه، وأنزل إليه آخر كُتُبه، وجعل أُمَّته خير أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم عليه، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمَّهات المؤمنين اللاتي أثنيتَ عليهنَّ في كتابك بقولك: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وعلى صحابته الغُرِّ الميامين، الَّذين صبروا وصابَروا ورابَطوا، وبذلوا من أنفسهم وأموالهم وكلَّ ما لديهم في سبيل الله، حتَّى علتْ كلمتُه، وارتفعت رايتُه، وقامت دولتُه، وسادت أُمَّتُه، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. وهم الَّذين



قال الله تعالى فيهم: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فارضَ اللهمَّ عنهم أجمعين، واغفرْ لهم وارحمْهم، واجْزِهم خيرًا عن دينِكَ وقرآنِكَ، ورسولِك ونبيِّكَ، يا أكرمَ الأكرمين، ويا أرحمَ الراحمين، واغفرْ لنا وارحمْنا، وعافِنا واعْفُ عنا، أنت مولانا فانصُرْنا على القوم الكافرين.

(أمَّا بعد)

جُرح طالما صبرنا عليه:

لقد نكأت الأحداث الأخيرة جرحًا، طالما صبرنا عليه، وكُنَّا عقودًا طويلة نُحَذِّر ونُحَذِّر من الدخول في هذه الموضوعات، حتَّى لا نُثير خلافًا طائفيًّا، أو نُوقظ فتنةً نائمة. واجتهدنا أن يكون إخواننا من أهل السُّنَّة ـ وهم الجمهور العامُّ في الأُمَّة ـ بعيدين عمَّا يُثير الخلافات والنعرات الطائفيَّة؛ حرصًا منَّا على مصلحة الأُمَّة ووَحْدَتِها؛ في حين كان هناك «كوادر» تُعَدُّ وتهيَّأ، وتُثقَّف وتُدرَّب للتبشير بالمذهب الشِّيعي بين أهل السُّنَّة، فلمَّا وُجدت الفرصة اغتنموها بسرعة، ورمَوا شباكهم على فرائسهم، فوقع فيها مَن وقع!

صحيح أنَّهم عدد قليل، ولكنَّ القليل قد يكثُر ما دام الباب مفتوحًا، وما دامت الأسباب قائمة.

والمسؤوليَّة الأولى مسؤوليَّتنا نحن علماءَ الأمة، الَّذين أخذ الله علينا الميثاق أن نُبيِّن للناس الحقَّ ولا نكتمه. ويتأكَّد هذا الواجب إذا رأينا الخطر يتجسَّد أمامنا في حملات مُنَظَّمة، يقوم عليها رجال مُتَحَمِّسون،



وليســوا مُجرَّد مُوَظَّفين، وتحت أيديهم مليارات مرصودة لهذا الغرض، ومن خلفهم دولة عقائديَّة قويَّة وغنيَّة؛ تُغذيهم وتَسنُدهم.

لقد قلنا مرارًا وتَكــرارًا: نحن الآن في عهدٍ جديــد، يُفترض فيه أن نضرب صفحًا عن هذه الصحائف المَيِّتــة، الَّتي يجب أن تختفي بظهور تيار «ولاية الفقيه»، وذلــك حرصًا منَّا على جمع كلمــة الأمة، ووحدة صفِّها في مواجهة التحديات الخارجيَّة.

وإن كنتُ أؤكِّد أنَّني في كلِّ مُلتقياتي الَّتي شــاركت فيها في مختلف الأقطار بكلامي وبحوثي، لــم أُخْفِ تخوُّفي من وجــود بعض الأفكار المُقلقة عن الشِّيعة، حول القرآن، وحول السُّنَّة، وحول الصحابة، وحول أمَّهات المؤمنين، وحول الأقلِّيَّات السُّنِّيَّة في بلاد الشِّيعة، وحول أطماع كثير من الشِّيعة ـ خاصَّة المُتَشَدِّدين ـ في غزو أهل السُّنة، في عُقْر دارهم!

توضيح لا بدَّ منه:

لقد عشــتُ تَجْرِبةً طويلة فــي الدعوة إلى التقريب بين أهل السُــنَّة والجماعة وبين الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة، في محاولة صادقة لتوحيد الأُمَّة الإســلاميَّة، لتنتصــر على تمزقاتهــا العقديَّة والفكريَّــة، والدِّينيَّة والسياســيَّة، وتنطلق بما أراد الله تعالــى لها في كتابه الخالــد المُعْجِز «القــرآن الكريــم» بقولــه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبيــاء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. فكأنَّما يُشــير القرآن إلى أنَّ أُمَّتَنا الواحدة الَّتي أنشأها ربُّنا لتعبدَه وتتَّقيه، لا تصحُّ ولا تستقيمُ إلَّا بالوَحْدة. وقبل ذلك لا بدَّ أن تُبنى الوَحْــدة للأُمَّة على التوحيد الخالــص: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].



وتأسَّيْتُ في ذلك بجماعةٍ من كبار علماء الأُمَّة في الأزهر الشريف الَّذين استجابوا لدعاة «التقريب بين المذاهب» من أمثال الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ مُحَمَّد المدني، والشيخ حسن البنَّا، وكنتُ حسنَ الظنِّ بهم، وهم أعمدة من نورٍ، وبحورٌ في العلم، وأوتادٌ في التثبُّت، وجبالٌ في التحقيق، ولهم صِيتُهم وصوتهم، وحديثهم المُدَوِّي.

لقد تجاوب هؤلاء العلماء الفطاحل مع دعوة التقريب، وتجاوزوا خلافات الماضي؛ رغم إدراكهم لحجم الفروق والتباينات مع علماء الشِّيعة الاثني عشريَّة!

وقد كُنَّا في مصر قديمًا لا نعرف على وجه الدراسة التفصيليَّة غير مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، الَّذي تنتسب إليه المذاهب الأربعة المشهورة، وأئمَّتها: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد. وعندنا في مصر منها الثلاثة الأُوَل: مذهب مالك في الصعيد وبعض بلاد الوجه البحري، ومذهب الشافعي في معظم بلاد الوجه البحري، ومذهب الحنفيَّة لدى بعض الخاصَّة، متوارث من العهد العثماني؛ وكان القضاة يُعَيَّنون من أتباعه، وكان الحنابلة قلَّة من العلماء هنا وهناك. وحينها لم يكن في مصرٍ شيعيٌّ واحدٌ على ما أعلم.

وكانت الصورة العامَّة في مُخَيِّلات النَّاس عن الشِّيعة أنَّهم فرقةٌ تُبالغ في حبِّ آل البيت ﵃، والتعصُّب لهم، ونحن المصريِّين نحبُّ آلَ البيت، ولهم عندنا مقامات معلومة تُزار، ولهم موالد يُحتفل بها، مثل سيِّدِنا الحسين، والسيِّدة زينب في القاهرة، وغيرهما. ولم يكن مشايخنا الَّذين تلقَّينا العلم عنهم يذكرون الشِّيعة بمدحٍ ولا بقدح، وذلك تجنُّبًا للدخول في الخلافات الَّتي تُمَزِّق الأُمَّة.



وإذا بنا نُفاجأ في السنوات الأخيرة أنَّ بعض المصريِّين قد تخلَّوا عن سُنِّيَّتهم، واعتنقوا مذهب الشِّيعة، وأصبح منهم مَن يكتب في الصحف، ومَن يُصدر النشــرات، ومَن يُؤَلِّف الكتب في الانتقاص من مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، والدعوة إلى التشــيُّع، وإثارة المسائل الَّتي يختصُّ بها الشِّــيعة دون ســائر الأُمَّة، مثل الإمامــة والوصيَّة، وانتقــاص الصحابة وأمَّهات المؤمنين!

ولا أنكر أنَّنا ـ نحــن المِصْريِّيــن بصفة عامَّة ـ نأخــذ الأمور على المحمل الحَسَــن، ونُجْرِيها على الوجه الطيِّــب، ونفترض في خصومنا وجه الخير والصلاح، هذه طريقتنا العامَّة.

ولذلك لما ظهر لنا بعض الشِّيعة يتنادون بأن نلتقي، وأن نتعارف، وأن نتعاون، وكلُّ تعاونِنا سيكون في البرِّ والتقوى، ولمصلحة الأُمَّة ووَحْدَتِها؛ رحَّبنا، وتفاعلنا، وأعلنَّا أنَّنا مع كلِّ جهد يصبُّ في المصلحة العامَّة.

ومع هذا، فقد كنــتُ مُتَحَفِّظًا في كلامي إلى حدٍّ بعيــد، فلم أُطْلِقْ لســاني بكلماتٍ كبيرة تحتمل مضامين عدَّة، قد يُحَمِّلُها الآخرون أكثر ممَّا تحتمل، بل كنتُ دائمًا مع ترحيبــي بالتقريب أقول بعض العبارات الَّتي فيها قدر من التحفُّظ، وبعضٌ من التخــوُّف، ولا تفتح البابَ على مِصْرَاعَيْه.

دائمًا كنــتُ أقول: إنَّا نتقــاربُ مع من يتقارب معنــا، ونُقرِّب من يتقرَّب منَّا.

ولم نحاول ـ نحن علماء الأُمَّة ـ تجنُّبًا منَّا لإثارة النعرات الطائفيَّة أن نُدَرِّس أبناءنا عقائد الشِّيعة وأفكارها، في كُتُبها الأصليَّة، الَّتي لا تستعمل «التَّقيَّة»: عن أمَّهات المؤمنين رضي الله عنهن، وعن الصحابة الكرام، من الخلفاء



الراشدين، والعشرة المُبَشَّرين بالجنَّة، وسائر الأصحاب ﵃! لم نشأ أن نفتح بطـونَ كتبِ القوم لنسـتخرجَ ما بها من أقوالٍ تُنـادي بأنَّ القرآن الموجود ليس هو كلَّ القرآن، وتُعلن أنَّ البخاريَّ ومسلمًا وسائر الكتب الستَّة وموطأ مالك ومسند أحمد وسائر المسانيد والمعاجم والمُصَنَّفات والمعاجم والمَشْـيَخَات والأجزاء، وغيرها من كتب السنن والآثار عند أهل السُّنَّة؛ ليسـت معتمدة عندهم، ولا اعتماد إلَّا لما جاء عن رواتهم، وإلَّا لكتبهم المعتمدة عندهم، وهي عند علماء أهل السُّنَّة، لا تبلغ درجة الصحَّة ولا القبول. هذا غير الأقوال المطمورة في الكتب والأُمَّهات الَّتي تعادي أهل السُّنَّة عداء صريحًا، حتَّى إنَّ بعضها ليُكَفِّرهم علانية!

ثورة الخميني وعواطف المسلمين:

ثمَّ كانت ثورة الخميني على شاه إيران مُحَمَّد رضا شاه بهلوي الَّتي تعاطفنا معها.

وكان من حُسـن حظِّ الخُمَيْنـي أن يظهر في وقت كان الشـاه فيه مرفوضًا من العالم، وخصوصًا من الشـعب الإيراني، وكانت سـوءات الشـاه ومظالمه تزداد، وحالة إيران تسـوء يومًا بعد يـوم، وكان علماء الشِّـيعة الاثني عشـريَّة في إيران مُلْتَفِّين حول إمامهـم الجديد، وقائد ثورتهم، ولذلك سرعان ما سقط الشاه، وقام حُكمُ الخُمَيْني!

وما هي إلَّا مدَّة قليلة، حتَّى أصبح رجـالُ الدِّين هم المَتَمَكِّنين من البلد كلِّه، والمُسلَّطين على أزمَّة الحكم والسياسة والإدارة فيه، وأذاعوا في كلِّ مكان بأنَّها ثورة إسـلاميَّة، وثورةٌ لكلِّ المسلمين. وصدَّق ذلك كثيرٌ من المسـلمين في أنحاء العالم، وذهب منهم من ذهب إلى إيران مهنِّئًا ومؤيدًا، من بلاد وجهات شتَّى، وعلى مستويات مُتَعَدِّدة.



ومن المعروف أنَّ عامَّة أهل السُّـنَّة الجمهور الأعظم من الأمَّة يتعاملـون مع متَّبعـي المذاهب والفـرق الأخرى بقـدرٍ كبيرٍ من الانفتاح، ويتجاوبون مع أيِّ دعواتٍ أو شعاراتٍ تستجيب لتطلعات الشـعوب وعواطفها، دون تَحَسُّـس، وربُّما دون تَبَيُّن أو تحقُّق أو تمحيص!

وكان أكثر أهل السُّنَّة ـ كما قلتُ ـ لا يعرفون الشِّيعة؛ لأنَّ الشِّيعة لا يُعلنون عن حقيقتهم وخصائصهم، وتطـوُّرِ مذهبهم وأفكارهم، وما ينسبونه لأئمَّتِهم في كتبهم. ولا يجهد أهل السُّنَّة أنفسهم ليبحثوا ـ ولو بعض البحث ـ ليعرفوا بعض ما يبطنه هذا المذهب، الَّذي من أصوله وجوب العمل بالتَّقيَّة، فكلُّ واحدٍ له ظاهر، وله باطن، وإذا سُئل عن شيءٍ يتعلَّق بفرقته وجماعته، فله أن يُجيب بما يراه أصلح للطائفة وأبقى عليها، عمادهم قـول الله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً**﴾ [آل عمـران: ٢٨]. وإن كان سـياق الآيـة لا يسـاعـدهم علـى ما ذهبـوا إليه!

وما هي إلَّا سنوات قلائل حتَّى انكشف الغطاء، وظهر المستور تحت الإنـاء، وحَصْحَص الحقُّ، واتَّضـح الباطل، وبدأ القـوم بما معهم من أموال، ومن معهم من رجال، بدعوة أهل السُّـنَّة إلى أن يتشيَّعوا، وتلك هي المصيبة الكبـرى عند الشِّـيعة: أنَّهم عند الدعـوة لا يتَّجِهون إلى الوثنيِّين من الهندوس أو البوذيِّين أو المجوس، ولا إلى الملاحدة الَّذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا إلى الهمـج الَّذين لا يؤمنون بأيِّ ديـن، ولا إلـى اليهـود والنصـارى مـن الأرثوذكـس والكاثوليـك والبروتستانت، ولكنَّ كلَّ همِّهم أهلُ السُّنَّة.



مُحَصِّلة دراسة كتب الخُمَيْني:

وقد تأكَّدت بعد دراسة ما ألفه الخميني بأنَّه شيعي مُتَصَلِّب من الغُلاة، وفي كتبه تكفيرٌ واتِّهام بالنفاق للخلفاء الثلاثة وأصحابهم ـ عدا عليَّ بن أبي طالب ـ من السابقين الأوَّلين، وأنَّهم ظلُّوا على نفاقهم طَوال حياة النبيِّ ﷺ وبعده، وكتب بأن الأئمَّة الاثني عشر لهم مكانة لا يصل إليها مَلَك مُقرَّب، ولا نبيٌّ مُرْسَل، لا سيَّما في كتابه «الحكومة الإسلاميَّة» الَّذي زعم فيه أنَّه يملك كلَّ ما ملكه النبيُّ ﷺ من التَّصرُّفات والسلطة في الأمور الإداريَّة والتنفيذيَّة للأُمَّة من قِبَلِ اللهِ تعالى، بناءً على أنَّه قائمٌ مقام الإمام الغائب!

لماذا هذا الكتاب؟ ولماذا نخصُّ الشِّيعة الاثني عشريَّة دون غيرهم؟

إنَّ الصدع بالحقِّ أمر لا بدَّ منه للمؤمن، ولو أدَّى إلى تفرُّق أهل الأهواء والبِدَع عنه، وإعراضهم وتحزُّبهم ضدَّه! لقد كان الأنبياء يأتون أقوامهم بالدعوة الَّتي كلَّفهم الله بها، فيتفرَّق القومُ بين مُستجيب مؤمنٍ وكافرٍ مُستكبرٍ، وقد اتهمت قريشٌ النبيَّ ﷺ بأنَّه يُفَرِّق الجماعة، ويقطع الأرحام بالدِّين الَّذي أتى به!

وقد خصَّصنا كتابنا هذا للردِّ على الشِّيعة الإماميَّة الجعفريَّة الاثني عشريَّة، أو بمعنى أدقَّ: تعريف جمهور الأمَّة عامَّتهم وخاصَّتهم بأفكار هذه الطائفة، وما تدعو إليه، والفلسفة الَّتي قام عليها اعتقادهم، لتصير الأمَّة مُحَصَّنة من المدِّ الشِّيعي والغزو الرافضي لديار الإسلام، وأن يُدرك أبناؤها الخططَ الَّتي وضعها هؤلاء لتشييع أهل السُّنَّة، أو على الأقل للقبول بالدعاية الشِّيعيَّة.



وقد خصَّصنا الاثني عشريَّة بكتابنا هذا دون غيرهم من فرق الشِّيعة لما يلي:

• لأنَّهم جمهور الشِّيعة، وهم الكثرة الكاثرة منهم، الَّذين لهم دولة تُؤَيِّدهم، وتنشر فكرهم، وتُبَشِّر بمذهبهم، بكلِّ الطرق المتاحة.

• لبروز نشاطهم الدعوي التبشيري، من خلال الدعاة، والقنوات الفضائيَّة، ومواقع الإنترنت، والكتب والنشرات، والأعمال الخيريَّة.

• ما اتَّضح لنا من مخطَّطهم للسيطرة على العالم الإسلامي، وتدخُّلاتهم السافرة والمتزايِدة في سوريا والعراق واليمن ولبنان! وغيرها من بلاد العالم الإسلامي.

• تورُّط بعض أبناء السُّنَّة في اعتناق مذهبهم، والتبشير به في ديارنا، وصيرورتهم خنجرًا في خَصْر الإسلام من داخله!

منطق الشِّيعة الاثني عشريَّة:

ولقد رأينا لهؤلاء القوم احتجاجات ومناقشات، ورأينا لهم منازلات ومناطحات، فيما خالفوا فيه عقائد جمهور المسلمين وسوادهم الأعظم، لكنَّهم لا يستطيعون أن يثبتوا قضيَّة واحدةً بمنطق العقل الحُرِّ، الباحث عن الحجَّة والبرهان، والسائر خلف الحقِّ والحقيقة، لا يَحيد عنهما اتِّباعًا لرغبة، ولا يَثنيه عن طريقه رهبة، لا يحتويه أحد، ولا يتحكَّم فيه أحد، إلَّا عِلْمه، وما وصل إليه بحثُه الحياديُّ المُجَرَّد عن الهوى والعاطفة والحبِّ والبغض.

هم يَفِرُّون من الوضوح إلى الغموض، ومن الاستقامة إلى الانحراف، ومن التحقيق إلى التحريف، ومن الصدق إلى التَّقيَّة، ومن المُحكمات إلى المتشابهات، مع أنَّ الإسلام دينٌ واضح، ليس هناك دينٌ أوضح منه!



وغالب الَّذين كتبوا عن فرقة الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة، وبحثوا عن جذورهــا المعرفيَّة أو الفكريَّــة أو الثقافيَّة: لم يجدوا شــيئًا يهدي العقل، أو يطمئنُّ له القلب، أو ينشرح به الصدر، أو يجيب عن الأسئلة العميقة للفرد، بل كلَّمــا ازددتَ قراءة، لم تزددْ إلَّا غبشًــا على غبش، وظلمةً إلى ظلمة!

دعوة الشِّيعة الاثني عشريَّة أن يعودوا لمنهج الإسلام الصحيح:

وأنا ـ والله ـ أدعو مُخلصًا كلَّ من أعرفه ومن لا أعرفه من الشِّــيعة: من الإخوة الإيرانيِّين والعراقيِّين واللبنانيِّين، وغيرهم من أبناء الخليج، وفي باكســتان وأفغانســتان والهند، وغيرهم: أن يُصَحِّحوا دينهم الَّذي يطلب عامَّتُهم وبعضُ خاصَّتهم به ما عند الله، ويرجــون به جنَّته، الَّتي جعل عرضها الســماوات والأرض، وأعدها للمتَّقين، هذا الدين العظيم الَّذي يُحَرِّر الإنسان من الركوع والسجود لغير الله، ومن الاتِّباع التامِّ لبشرٍ غير رسول الله مُحَمَّد ﷺ، الَّذي قال الله تعالى فيه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحـزاب: ٣٦]. وســيجدون في ثنايا كتابي هذا ما يُوَضِّح الحقائقَ ويُجَلِّيها.

لقد أحببتُ كثيــرًا نفرًا من الشِّــيعة، لِمَا وجــدتُ فيهم من حرصٍ واستعدادٍ أن يبذلوا أنفسهم ومُهَجَهم في ســبيل ما يعتقدون، وأنا أرجو من إخوتي هؤلاء: أن ينظروا في كلِّ ما لديهم، ويعرضوه على قرآن ربِّ العالمين، المُنَزَّل على رســوله الأمين، الَّذي قــال الله عنه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. هــذا النصُّ الموثــوق المكتوب بين يدي



النبيِّ ﷺ، وأن يتشاوروا ويتحاوروا في أخطر قضيَّة في حياتهم: قضيَّة النجاة أو الهلاك: الجنَّة أو النار.

أطلب من الإخوة المخلصين الَّذين تحرَّرت عقولهم، وتحرَّرت أنفسهم، وتحرَّرت ضمائرهم من العبوديَّة لغير الله: أن يُقَرِّروا في حياتهم ما قرَّروه في صلاتهم إذا أدَّوْها خاشعين طائعين، وأن يعلنوا ما أعلنه القرآن: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٤].

يا إخوتي الَّذين سمَّوْا أنفسهم بالشِّيعة، وافترقوا عن السواد الأعظم من الأُمَّة، وانمازوا عن الجسد الأكبر منها ـ وهم أهل السُّنَّة والجماعة ـ أذكركم بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ادخلوا أيُّها الإخوة في أمَّتكم، وتلاحموا مع إخوانكم، وعندئذٍ ستجدون أنفسَكم حقًّا، وتخرجون والله من هذه الظلمات الَّتي لا يدخلها إلَّا شقيٌّ، مطموسُ البصيرة!

وعندها ستجدون أُمَّتكم الكبرى صفًّا واحدًا في مواجهة أعدائها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]. ألا قد بلَّغتُ، اللهمَّ فاشهد. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

يوسف القرضاوي



تمهيـد

مقارنة الاسم: بين أهل السُّنَّة والجماعة والشيعة:

سبحان الله! ما أعظم ما يُلهم به النَّاسَ للدلالـة على نصوع الحقِّ وظهوره، وعلى نضوب الباطل واضمحلاله، انظرْ فيما تَسَمَّى به الفريقان المختلفان المتناقضان، إنَّ مُجَرَّد اسمَيْهما وعنوانهما دالٌّ على كلٍّ منهما.

أهل السُّنَّة والجماعة:

تَسَمَّى الجمهور الأعظم من الأُمَّة ـ بل إن شئت قل: الكَمُّ الأكبر والأضخم الَّذي تتمثَّل فيه حقيقة الأمَّة ـ بـ «أهل السُّنَّة والجماعة»، فهم لم ينتسبوا إلى شخصٍ من الأشخاص، علا شأنه أو لم يعلُ؛ بل انتسبوا إلى «السُّنَّة والجماعة».

والسُّنَّة هي سنَّة رسول الله ﷺ، الَّتي بيَّن بها القرآن، فوضَّح مبهمه، وخصَّصَ عمومه، وقيَّد مُطْلقه، وأنشأ بعض الأحكام الَّتي سكت عنها القرآن.

فليست السُّنَّة عندنا ـ معشرَ أهلِ السُّنَّة ـ سُنَّةَ اثني عشر رجلًا آخرين غير نبيِّها، لم يَنْزِل عليهم مَلَك، ولم يَنْزِل عليهم قرآن، ولم تقم على أيديهم معجزات، وإنَّما هم بشر من البشر؛ وإن كانوا من نسل آل البيت!



السُّنَّة كما عرفها المسلمون من أوَّل الأمر: هي سُنَّة رسول الله ﷺ، الَّذي علَّم النَّاس القرآن، وبيَّن لهم مَعالِم الإسلام: عقائده وعباداته، ومفاهيمه وشرائعه، وحلالَه وحرامَه، وفرائضَه وسُننَه، وكل ما يتعلَّق به.

وكلمة «الجماعة» إيذانٌ من أوَّل أمرٍ بأنَّهم يؤمنون بجماعة الأُمَّة ـ أي: وحدتها ـ ويرفضون الفرقة، كما قال سبحانه: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فهذا هو الاسم العَلَميُّ للأُمَّة المطلوب توحُّدها واجتماعها وتآلفها: على الإسلام العظيم، وعلى كتاب الله تعالى، وعلى سُنَّة رسوله ﷺ، وعلى ما أجمع عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان.

وأهل السُّنَّة هم عنوان الأمة وتيَّارها العام، الَّذين إذا سأل سائل عن الإسلام: أين هو؟ وأين أهله؟ وأين رجاله وشبابه؟ وأين المدافعون عنه؟ كان أهل السُّنَّة هم خط الدفاع الأول، وهم كتيبة الإسلام الأولى، فهم للإسلام: قلبًا وقالَبًا، وعِلْمًا وعملًا، ودعوة وجهادًا، وترابطًا وحضارة، وأخلاقًا وثقافة.

شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أمَّا اسم الطائفة الأخرى، الَّتي تنتسب إلى أئمَّتها الاثني عشر، من آل البيت، ابتداءً من سيِّدنا عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو ابن الإسلام البِكر، الَّذي نذَر نفسه لهذا الدِّين، وقد تربَّى في بيت الرسول من صِغره، وأسلم في صباه، وظلَّ يعمل لهذا الدين صبيًّا وشابًّا ويافعًا وكهْلًا



وشـيْخًا، وتزوَّج من فاطمة الزهراء بنت رسول الله، ورزقهما الله الحسن والحسين، اللَّذَيْن هما سِبْطا رسول الله ﷺ، وسيِّدا شباب أهل الجنَّة.

والحسن والحسـين من الأئمَّة الاثني عشـر، الَّذين زعم الشِّيعة أنَّهم أئمَّة معصومون، والحقيقة المؤكَّـدة لدينا: أنَّه لا عصمة لأحد في الأقوال والاجتهادات، ومن الوقوع في المعصية، غير النبيِّ ﷺ، والأنبياء من قبله.

والعجيب أنَّ الحسن والحسـين رضي الله عنهما كانا مشتركين في قضيَّة الإمامة والعصمة الَّتي زعمهما الشِّيعة.

ولكن الشِّـيعة جعلوا هـذه الإمامة في ذريَّة الحسـين مـن بعده، وأخرجوا ذرِّيَّة الحسـن، فلم يُدخلوا واحدًا منهم بعده في سلسلة الأئمَّة الاثني عشـر، وأخرجوا قبل ذلك بقيَّة أبناء عليٍّ مـن غير فاطمة رضي الله عنها، وبقيَّة بني هاشم، وبقيَّة قريش، والَّذي ينظر في تاريخ الشِّيعة يجد أنَّه مع موت كلِّ إمام يحدث نـزاع فيمن هو الإمام من بعـده[1]، إلاَّ أنَّ النزاع الأكبـر كان بعد موت جعفر الصادق، وانقسـام شـيعته إلـى طائفتين كبيرتَيْن: الاثني عشريَّة، والإسماعيليَّة كما سنُبيِّن.

فهذا ما توحي به كلمة «شـيعة» أي: شـيعة علـيٍّ، القائلين بإمامته بالنصِّ من رسول الله ﷺ، وعليٌّ رضي الله تعالى عنه يبرأ منهم؛ لما أبدَوْه من مقولات خالفوا بهـا الأمَّـة وخاصموها، منذ ظهر عبد الله بن سـبأ فـي الحياة الإسـلاميَّة، ينادي بالأباطيل الَّتي رفضها عليٌّ رضي الله تعالى عنه، ورفضها أبناؤه من بعده، ورفضها مُحِبُّوه المخلصون، ورفضها المؤمنون جميعًا؛ لأنَّها ضدُّ عقائد الإسلام، وقواعده الَّتي أرساها! وقد برئ القرآن من هؤلاء الَّذين

(١) راجع في ذلك: فرق الشـيعة للنوبختي صـ٥٩ وما بعدها، نشر منشورات الرضا، بيروت، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.



اتَّخذوا دينَهم شِيَعًا. قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾** [الأنعام: ١٥٩].

فِرق الشِّيعة:

والشيعة فرقة كبيرة تضمُّ بداخلها فرقًا كثيرة، يجمعها جميعا مشايعة عليٍّ رضي الله عنه على الخصوص، والقول بتفضيله، وأحقيته بالخلافة، وأنَّ الخلافة من بعده في بنيه، وقد تفرَّقت الشِّيعة إلى فرقٍ كثيرة عدَّها أبو الحسن الأشعري أربعًا وعشرين فرقة[(١)]، وعدَّهم المسعودي عشرين فرقة[(٢)]، وقد انقرضت هذه الفرق، ولم يبقَ منها في عصرنا، إلا عدَّة فرق قليلة، أهمُّها:

• الزيديَّة:

ينسبون إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وتتفق الزيديَّة على تفضيل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنَّه الأولى بالإمامة، ثمَّ الإمام من بعده الحسن، ثمَّ الحُسَين رضي الله عنهم، ثمَّ في كلِّ من استكمل شروطَ الإمامة[(٣)] من أولاد فاطمة، وقام داعيًا إلى الحقِّ،

---

(١) مقالات الإسلاميين صـ١٧، نشر دار فرانز شتايز، فيسبادن، ألمانيا، ط٣، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٢) مروج الذهب (١١٢/٤)، تحقيق أسعد داغر، نشر دار الهجرة، قم، ١٤٠٩هـ.

(٣) وهي أن يكون بالغًا، عاقلًا، ذكرًا، حرًّا، وأن يكون من العترة، وألا يكون في عصره إمام سبقت دعوته، مع العلم، والورع، والفضل والشجاعة، والسخاء، والقوة على تدبير الأمر.



ونابذ الظلمة. وهم في الإلهيَّات و(السمعيَّات)[١] قريبون من مذهب المعتزلة. وهم في المجمل أقرب فرق الشِّيعة إلى أهل السُّنَّة، إلَّا بعض طوائفهم المُتَطَرِّفة.

• الإماميَّة الاثنا عشريَّة:

وهي الفرقة الكبرى من فرق الشِّيعة، وإذا أطلق اسم الشِّيعة فهي المقصودة به، وتُسمَّى الإماميَّة؛ لأنَّ الإمامة «الخلافة» عندهم من أصول العقيدة، ثبتت بالنصِّ والتعيين، لا بالاختيار والبيعة من الأُمَّة.

والإمام بعد النبيِّ ﷺ هو عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه بالنصِّ والتعيين والوصيَّة من النبيِّ ﷺ يوم غَدِير خُمٍّ، ويُكَفِّرون ويُفَسِّقون الصحابةَ إلَّا نفرًا قليلًا؛ لأنَّهم كتموا وصيَّة رسول الله ﷺ في زعمهم.

ويسمَّوْن الاثني عشريَّة؛ لأنَّهم جعلوا الإمامة في اثني عشر إمامًا، هم: علي بن أبي طالب، ثمَّ ابناه الحسن، ثمَّ الحسين، ثمَّ علي بن الحسين (زين العابدين)، ثمَّ مُحَمَّد بن علي (الباقر)، ثمَّ جعفر بن مُحَمَّد (الصادق)، ثمَّ موسى بن جعفر (الكاظم)، ثمَّ علي بن موسى (الرضا)، ثمَّ مُحَمَّد بن عليٍّ (الجواد)، ثمَّ علي بن مُحَمَّد (الهادي)، ثمَّ الحسن بن علي (العسكري)، ثمَّ إمامهم المدَّعى مُحَمَّد بن الحسن العسكري (المهدي إمام العصر) الَّذي يزعمون أنَّه غاب في سردابٍ في سر مَنْ رأى (سامراء) منذ عام (٢٦٠هـ)، وسيخرج ليملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا.

وهم يرون أنَّ الأئمَّة الاثني عشر كلُّهم مُطهَّرون معصومون، لم يصدر عنهم ذنب أو إثم، وهم مع الأنبياء حجج الله على خلقه.

(١) ما كان طرِيقُ العِلْم بِهِ السَّمْع الوَارِدِ فِي الكِتَابِ أو السُّنَّة مِمَّا ليسَ للعَقْل فِيهِ مَجَال.



ومن أسمائهم أيضا الجعفريَّة نسبة إلى جعفر الصادق؛ لأنَّ أغلب رواياتهم إنَّما تنتهي إليه.

ويُسَمَّون بالرافضة؛ لأنَّهم رفضوا بيعة الإمام زيد بن عليٍّ لما خرج على بني أُمَيَّة؛ إذ أبى قبول ما اشترطوه عليه لاتِّباعه، وهو البراءة من أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.

- **الإماميَّة الإسماعيليَّة:**

ويُنسبون إلى إسماعيل بن جعفر، ويُسمَّون السَّبْعيَّة؛ في مقابل الاثني عشريَّة؛ لأنَّ إسماعيل هو الإمام السابع عندهم، وجعلوا الإمامة في ولده، وقد استطاعوا أن يُقيموا لهم دولة هي الدولة العُبَيْديَّة (الفاطميَّة).

تقديس الشِّيعة لأنفسهم، وموقفهم ممَّن خالفهم:

ينظر الشِّيعة الإماميَّة الاثنا عشريَّة لأنفسهم نظرة علوٍّ وتقديس، حتَّى رأوا أنَّهم وحدهم على الحقِّ وعلى الفطرة، وكل ما عداهم ـ حتَّى ممَّن ينتسبون للإسلام ـ على غير الهدى والمِلَّة والدِّين، مُقَلِّدين في ذلك أهل الكتاب الَّذين قالوا: ﴿**نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ**﴾ [المائدة: ١٨]، وقالوا: ﴿**لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ**﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا: ﴿**كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ**﴾ [البقرة: ١٣٥].

وإن الناظر المُدَقِّق في مذهب الشِّيعة ليتبيَّن له من كثرة الروايات الَّتي تُعلي من قدر الشِّيعة، وتحطُّ من مخالفيهم، أنَّ مذهبهم مذهب عنصري؛ إذ إنَّهم يرون أنَّ الله خلقهم من طينة خاصَّة دون بقيَّة البشر، ويتقبَّل منهم ويُعطيهم ما لا يعطي غيرهم؛ لأنَّهم المؤمنون وحدهم، على ملَّة إبراهيم عليه السلام، وما عداهم ـ من المسلمين ـ مرتدُّون كفَّار، بداية

من أفضل الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان، ثمَّ كلِّ من والى أبا بكر وعمر وعثمان إلى يوم القيامة، فكل هؤلاء ليس لهم في الإسلام نصيب؛ لأنَّهم لم يأتوا بالولاية؛ الَّتي قدَّموها على أركان الإسلام.

ولهذا كانت كلُّ الفرق الإسلاميَّة الَّتي لا توافق الشِّيعة على هذه العقيدة كفَّارًا عندهم، وقد كثرت في كتبهم المعتمدة عندهم الروايات الَّتي نسبوها للأئمَّة فيها، والمليئة بالغلوِّ في تقديس الأئمَّة، ورفع شيعتهم فوق بقيَّة البشر، والحط من مخالفيهم، فالأئمَّة خلقوا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش، وشيعتهم من طينة أسفل منها، وهي طينة الأنبياء، ومن أجلهم خلق الله آدم وحواء والملائكة، والجنَّة والنار، والسماء والأرض! وسيأتي تفصيل ذلك في موضوع الإمامة.

وقد اعتبروا شيعتهم هم الفائزون يوم القيامة، وأنَّ المعاصي لا تضرُّ من إيمانهم شيئًا، فالشيعي الاثنا عشري مغفورة ذنوبه، مستورة عيوبه، مهما فعل من المعاصي!

وفي المقابل، فإنَّهم يحتقرون غيرهم، وينبزونهم بالألقاب الذميمة، ويُشَبِّهونهم بالحمير والخنازير والكلاب، ويقذفونهم بالزنى، دون مراعاة للأمر الإلهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

ويروون الروايات المكذوبة على لسان أئمَّتهم الَّتي تحطُّ كلَّ من هو من غير شيعتهم، حتَّى في أصل الخلقة؛ فهم لم يخلقوا من طينتهم الَّتي خلقوا منها، وهم همج للنَّار وإِلَى النَّارِ[1].

(١) انظر: أصول الكافي للكليني (٢٥/٢)، كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر، نشر =



ووصل الأمر بهم إلى تكفير من لا ينتسبون إلى مذهبهم، فهم يقصرون الإسلام على أنفسهم فقط!

محبة أهل السُّنَّة للأئمَّة رضوان الله عليهم:

نحن ـ أهل السُّنَّة ـ نحبُّ هؤلاء الأئمَّة الاثني عشر الَّذين ادَّعى عليهم الشِّيعة ما ادّعَوْا، وافتروا عليهم دعاوى كاذبة، وأقوالًا لا أساس لها، ولم تصدر عنهم قطُّ؛ بل هم يبرؤون إلى الله تعالى منها، وقد كان منهم علماء فقهاء، ومنهم أولياء صالحون، وليس منهم أدعياء يدَّعون ما لا علم لهم به، وما يوقنون ببطلانه.

فعليُّ بن أبي طالب ﷺ مؤمن عظيم من أتباع النبيِّ الخاتم مُحَمَّد ﷺ وصحابته الكبار، فدى الرسول بنفسه ليلةَ الهجرة، حين نام بدلًا منه في بيته، مُعَرِّضًا نفسه أن ينزل به ما ينزل، وكان معه في غزواته كلها، وفي مواقف الابتلاء الَّتي ابتلي بها النبي وأصحابه، بل كان له مواقف متميزة عن بعض الأصحاب، قدَّرها له إخوانه، وقدرها له المسلمون، ولكنَّه لم يخرج يومًا عن هذا الاتِّباع وعن هذه الصحبة.

هذا الإمام الكريم الَّذي تنسب الشِّيعة فرقتهم إليه، يرفض هذا المذهب، ويبرأ إلى الله منه، ولا يعرف غير دين الإسلام، الَّذي آمن به، وهاجر من أجله، وجاهد في سبيله: يرفع رايته، وينشر نوره، ويعز جنده، ويجمع أمَّته على الهدى والتُّقى، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]،

= دار الأسوة، ط١، ١٣٧٦هـ. ش ـ ١٤١٨هـ. ق، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٢٥/٥)، باب: الطينة والميثاق، نشر مؤسسة الوفاء، بيروت.



﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

محاولات الشِّيعة اختراق الأزهر:

كانت مصر[١] بلدًا سنيًّا خالصًا، ليس فيها شيعي واحد، برغم الحكم الفاطمي الَّذي سيطر عليها قرونًا، لكنَّه لم يستطع أن يؤثِّر في الشعب، برغم الإغراءات الكثيرة الَّتي كانت تُعرض على الناس، فقد كان الشعار المرفوع عندئذٍ في مصر: مَن لعن وسبَّ فله دينارٌ وأردبٌّ. أي: مَن لعن الصحابة وسبَّهم فله من النقود دينار ذهبي، ومن الحبوب أردبٌّ من القمح!

ومنذ حكم صلاح الدين الأيوبي مصر، عادت مصر سُنِّيَّة ١٠٠٪، وأصبح أزهرها قلعة لمذهب أهل السُّنَّة، ومضت القرون وهي على ذلك، حتَّى كانت سنوات الفتنة الأخيرة، وفوجئ النَّاس بمَن يعلن عن تشيُّعِه، ومن يدعو إلى مذهب الشِّيعة.

فقد ظهرت محاولات من الشِّيعة الاثني عشريَّة للعمل لكسب أنصار لهم من داخل مصر، واستطاعوا بوساطة استجابة بعض المشايخ الكبار لهم: أن يفتحوا لهم دارًا سمَّوها: «دار التقريب» وكان على رأسها رجل شيعي نشيطٌ واعٍ بما يعمل، اسمه الشيخ تقي الدين القُمِّي، وقد استطاع أن يُؤَثِّر بأسلوبه الهادي، وبطريقته الناعمة، في كبار العلماء، وبدأت تظهر أفكار موالية لهم، ترحب بالتقارب، أو التقريب معهم.

وقد أصدرت هذه الدار مجلة «رسالة الإسلام» الفصليَّة، الَّتي كان يكتب فيها كبار علماء أهل السُّنَّة، أمثال الشيخ عبد المجيد سليم،

(١) ومثل مصر في ذلك جل العالم الإسلامي وكل الدول العربية في إفريقيا.



والشـيخ عبد الوهَّاب خلَّاف، والشـيخ عبد العزيز المراغي، والشـيخ عبد الحليـم محمـود، والشـيخ مُحَمَّـد عبد اللطيف دراز، والشـيخ عبد العزيز مُحَمَّد عيسى، والأسـتاذان مُحَمَّد فريد بك وجدي، وأحمد أمين، وكتب فيها الشـيخ شـلتوت مقالاته في التفسـير، الَّتي جُمعت وظهرت في تفسيره للأجزاء العشرة الأولى.

المهمُّ أنَّ المشايخ الكبار غلَّبوا حسـن الظنِّ، وأعلنوا أنَّهم يُرَحِّبون بالتقارب أو التقريب مع الشِّيعة؛ دون تأنٍّ أو تمحيصٍ لخلفيات دعوتهم، وتطوُّرات مواقفهم وسياسـتهم، وصراع الصفويِّين الشِّـيعةِ مع الخلافة العثمانيَّة، وعلاقاتهم مع جيرانهم من السُّنَّة، الَّذين يعيشون مستضعفين في ديارهم الَّتي يسيطرون عليها!

الشيخ شلتوت:

وكان للشيخ شلتوت شـيخ الأزهر دوره في دار التقريب، ومجلتها «رسالة التقريب» وهو رغم وعيه كان متسـامحًا مع المذاهب الأخرى، ولذا أجاز في إحدى فتاواه الَّتي أطلقها: أنَّ للشيعي أن يدرس مذهبه في الأزهر، وأنَّ للمسلم أن يتعبَّد به.

ومع هذا التسامح العجيب من الشيخ شلتوت، لم يُقابل بتسامح مثله من آياتهم ومراجعهم ومشـايخهم، فقالوا: لا يجوز للعامِّي الشـيعيِّ أن يتعبَّد بمذهب سنيٍّ! وقفت هذه في حلوقهم جميعًا، كأنَّها عَظْمة لم يُتح لها أن تسري لحظة في أيِّ حلق.

فكسبوا هم من الشيخ شلتوت جواز تعبد السُّنِّي بمذهبهم، إذا تراءى له هذا، ولم يُجيزوا هم تعبُّد الشِّيعي بمذهب من مذاهب السُّنَّة.



طبيعة الخلاف:

والمشـــكلة بيننا ـ نحن أهل السُّـــنَّة ـ ليســـت في تقريب المذاهب الفقهيَّة، فالخلاف مع الشِّيعة الإماميَّة ليس خلافًا في الفقهيَّات والفروع، وإنَّما الخلاف في العقائد والأصول ـ كما سنرى في كتابنا هذا ـ فالأمر ليس كما تصوَّره البعض، خلافا شبيها بالخلاف بين الحنابلة والحنفيَّة، أو الشـــافعيَّة والمالكيَّة، بل الخلاف خلاف في أصول الدين، في تصوِّر كليَّات الدين وعقائده.

إنَّ الناظر المتأمل والمُدقِّق يجد أنَّ هناك فروقًا في الأسس والأصول الَّتي قام عليها فقه أهل السُّـــنَّة في مقابل فقه الشِّيعة الإماميَّة الجعفريَّة، فنظرتهم إلى الأصل الأوَّل من أصول التَّشريع الإسلامي ـ القرآن ـ غير نظرتنا، فأكثرهم لا يُكَفِّرون من قال بنقص القرآن[1].

والسُّـــنَّة عندهم ـ وهي الأصل الثاني من أصول التشريع ـ ليست سُنَّة النبي ﷺ، ولكنَّها سنة اثني عشـــر (١٢) رجلًا، هم أئمَّتهم الاثنا عشر، وهم كلهم معصومون؛ يعلمون الغيب، ولم يصل إلى منزلتهم ملك مقرَّب، ولا نبيٌّ مرســـل. ومثل عقيدتهم في الصحابة، وأُمهات المؤمنين؛ وبخاصَّة: حفصة وعائشـــة، وغير ذلك ممَّـــا يعتقدونه من أصل دينهم.

(١) قال ابن حزم: ومن قول الإمامية كلهَا قَدِيما وحديثًا أَن الْقُـــرْآن مبدل زيد فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَنقص مِنْهُ كثير، وَبدل مِنْهُ كثير حاشا علي بن الْحسن ابْن مُوسَى بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم ابن مُوسَى بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن عَليّ بن الْحســـن بْن عَليّ بن أبي طَالب وَكَانَ إماميًّا يظاهر بالاعتزال مَعَ ذَلِك فَإِنَّهُ كَانَ يُنكر هَذَا القَوْل، وَيكفر من قَالَه، وَكَذَلِكَ صَاحِبَاه أَبُو يعلى مِيلَاد الطوسي، وأبو القاسم الرَّازِيّ. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٩/٤)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة



علماء آخرون توقفوا عن التقارب مع الشِّيعة:

وإذا كان بعض علماء الأزهر قد قدموا مبادرات تقاربٍ وتسامح مع الشِّيعة الاثني عشريَّة؛ دون تدقيق في تفاصيل الخلافات والفروق؛ وذلك في إطار حرصهم على وحدة صف الأُمَّة؛ وتشجيع الحوار بين مختلف مكوناتها؛ فإنَّ علماء آخرين من الأزهر الشـريف وغيره: توقَّفوا تفصيلًا عند تلك الخلافات والفروق الحقيقيَّة مع الشِّـيعة، ودرسوها، منهم من سارع إلى تجربة التقريب، ثمَّ بعد الدراسـة المتأنية تراجع، أو أثبت له فعل القوم عدم إمكان التقارب معهم، وأنَّهم يستغلُّون التقارب لمصلحة طائفتهم، لا لمصلحة الأمَّة، ومنهم من درس القوم من أوَّل الأمر، وتبيَّن له التباعد بين منهج أهل السُّنَّة ومنهجهم.

وأحـبُّ أن أقول: إن الَّذي سـطرته هنا في هذا الكتـاب عن مذهب الشِّيعة الاثني عشريَّة ليس رأيي وحدي، ولكنَّه رأي طائفة من كبار علماء الأزهر في الشِّيعة؛ من أمثال العلامة الشيخ حسنين مُحَمَّد مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا، والشيخ مُحَمَّد عرفة عضو هيئة كبار العلماء، ومدير الوعظ والإرشاد في زمنه، والشيخ جاد الحق علي جاد الحق مفتي مصر، وشيخ الأزهر السابق، والشيخ عطية صقر رئيس لجنة الفتوى في الأزهر، والشيخ الدكتور عبد المنعم النمر، وكيل الأزهر، ووزير الأوقاف في وقته.

ولا يتسـع المجال هنا لأنقل أقوال هؤلاء العلماء الكبار الَّذين لهم وزنهم العلمي ودورهم الإصلاحي، والَّذين لا يتوجه إليهم اتهام بتحيز أو تعصب أو انغلاق.

فالعلامة الشيخ حسـنين مخلوف يذكر عن الشِّـيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة: أنَّهم يزعمون أنَّ الرسـول نصَّ نصًّا جليًّا على إمامة عليٍّ بعده،



وأنَّه هو وصيُّه، ويطعنون في سائر الصحابة، وخاصَّة الشيخَيْن، بل منهم من يكفرهم. وزعموا انحصار الإمامة في الاثني عشر، وآمنوا بعصمتهم، ورجعة المهدي المنتظر! إلخ.

قال الشيخ: وهذا المزيج لا يُقِرُّه الدينُ الصحيح في جملته وتفصيله.

فلا عصمة لغير الأنبياء والرسل من الخلق.

ولا انحصار للإمامة في آل البيت، ولا في الاثنيْ عشر.

ولا وصيَّة من الرسول لعليٍّ؛ لا بنصٍّ جليٍّ، ولا بنصٍّ خفيٍّ.

ولا أصل في الدين لخرافة المهدي المنتظر، الَّذي زعموا أنَّه اختفى، ولا يزال حيًّا في الأرض، وسيظهر في آخر الزمان.

ولا أصل لتقديس من عدا الرسول الأكرم من أهل العباء.

ولا أصل لشدِّ الرحال إلى كربلاء والنجف وتقديسهما؛ كما يزعمون.

ولا أصل لاتِّخاذ عاشوراء يوم حزن وعزاء؛ بل كلُّ ما ورد في شأنه استحباب صومه.

هذا ما قاله العلَّامة الشيخ حسنين مخلوف، وقال معه مثله أو أكثر منه إخوانه من العلماء الكبار، كما نقل ذلك الدكتور مُحَمَّد يُسري في كتابه الَّذي جمع فيه هذه الأقوال تحت عنوان «فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف في الشِّيعة وفِرَقها». وقدم له الأستاذان الخُشوعي وقريشي من أساتذة الأزهر[١].

---

(١) راجع: فتاوى كبار علماء الأزهر الشريف للدكتور محمد يسري، نشر دار اليسر، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.



محبُّ الدين الخطيب ورؤيته للتقريب والتفاهم بين السُّنة والشيعة:

وكان من علماء السُّنَّة ودعاتهم الَّذين لم ينخدعوا بدعاوى الشِّيعة الاثني عشريَّة ومحاولاتهم الكاتب الإسلامي الكبير: محبُّ الدين الخطيب، صاحب المكتبة والمطبعة السلفيَّة، وناشر مجلتي الفتح والزهراء، ورئيس تحرير مجلة الأزهر في عهد شيخه وإمامه الأكبر الشيخ مُحَمَّد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ.

يقول الكاتب الإسلامي الكبير، المُؤرِّخ، والعلَّامة، محبُّ الدِّين الخطيب، مُعَلِّقًا على النشاط الشِّيعي المحموم في البلاد الإسلاميَّة، وحول فكرة التقريب والتفاهم بين السُّنَّة والشِّيعة: «إنَّ مراكز النشر عندهم للدعاية الشِّيعيَّة صدر عنها في السنين الأخيرة من الكتب الَّتي تهدم فكرة التفاهم والتقريب ما تقشعر منه الأبدان. ومن ذلك كتاب اسمه «الزهراء» في ثلاثة أجزاء، نشره علماء النجف، وقالوا فيه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب: إنَّه كان مبتلًى بداءٍ لا يشفيه منه إلَّا ماء الرجال! وقد رأى ذلك الأستاذ البشير الإبراهيمي، شيخ علماء الجزائر عند زيارته الأولى للعراق.

فالرُّوح العفنة الَّتي يصدر عنها مثل هذا الفجور المذهبي، هي أحوج إلى دعوة التقريب من حاجتنا نحن أهل السُّنَّة إلى مثل ذلك.

وإذا كان الافتراق الأساسي بيننا وبينهم قائمًا على دعواهم أنَّهم أكثر منا ولاءً لأهل البيت، وعلى دعواهم أنَّهم يبطنون ـ بل يظهرون ـ الحقد والضغينة لأصحاب رسول الله، الَّذين قام الإسلام على أكتافهم، إلى درجة أن يقولوا مثل هذا الكلام القذر عن أمير المؤمنين الفاروق عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد كان الإنصاف يقتضي أن يبدؤوا هم بتخفيف



إحنتهم وضغينتهم عن أئمَّة الإســلام الأولين، وأن يشكروا لأهل السُنَّة موقفهم النبيل من آل البيت، وعدم تقصيرهم بشيء من واجبات الإجلال والتكريم لهم[1]، إلا أن يكون تقصيرنا نحو آل البيت في أنَّنا لم نتخذهم آلهة نعبدهم مع الله، كما هو المشــاهد في مشاهدهم القائمة في الناحية الأخرى، الَّتي يراد بها التقريب بيننا وبينهم.

إنَّ التجاوب لا بــدَّ منه بين الطرفيــن المراد تفاهمهمــا والتقريب بينهما، ولا يكون التجاوب إلا إذا التقى السالب بالموجب، ولم يقتصر نشاط الدعوة إليه، والعمل لتحقيقه على جهة واحدة دون الأخرى، كما هو حاصل الآن.

وما يقال عن انفراد التقريب بدار واحدة في عاصمة أهل السُنَّة، وهي مصر، دون عواصم المذهب الشيعي، ومراكز النشر النشيطة جدًّا للدعاية لــه، والبغي على غيره، يقــال كذلك عن إدخال مادَّة هــذا التقريب في مناهج الدراســة الأزهريَّة قبل أن يكون لذلك مقابل ومماثل في معاهد التدريس الشِّــيعيَّة. أمَّا إذا اقتصر الأمر ـ كما هو واقع الآن ـ على طرفٍ واحدٍ من الطرفين أو الأطراف ذات العلاقة به، فإنَّه لا يُرجى له النجاح؛ هذا إذا لم يترتَّب عليه ردُّ فعلٍ غير حميد.

ومن أضعف وســائل التعارف: أن يُبدأ منهــا بالفروع قبل الأصول، فالفقه عند أهل السُــنَّة وعند الشِّــيعة لا يرجع إلى أصول مســلَّمة عند الفريقين، والتشــريع الفقهي عند الأئمَّة الأربعة من أهل السُنَّة قائم على غير الأسس الَّتي يقوم عليها التشريع الفقهي عند الشِّيعة، وما لم يحصل

(١) لا ريب أننا بولاية أهل البيت أولى فلســنا بحاجة لشــكرهم، وهم قد خرجوا عن حد الولاية الصحيحة.



التفاهم على هذه الأسس والأصول قبل الاشتغال بفروعها، وما لم يتمَّ التجاوب في ذلك من الناحيتَيْن، في المعاهد العِلميَّة للطائفتين، فلا فائدة من إضاعة الوقت في الفروع قبل الأصول، ولا نعني بذلك أصول الفقه، بل أصول الدِّين عند الفريقين من جذورها الأولى.

وأوَّل موانع التجاوب الصادق بإخلاص بيننا وبينهم ما يُسَمُّونه «التقيَّة»؛ فإنَّها عقيدة دينيَّة، تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب، وهم لا يريدون ذلك، ولا يرضون به، ولا يعملون له، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد، مع بقاء الطرف الآخر في عزلته، لا يتزحزح عنها قِيدَ شعرة. ولو توصَّل ممثلو دور التقيَّة منهم إلى إقناعنا بأنهم خَطَوا نحونا بعض الخطوات، فإن جمهور الشِّيعة كلهم ـ من خاصَّة وعامة ـ يبقى منفصلًا عن ممثلي هذه المهزلة، ولا يسلِّم للَّذين يتكلمون باسمه بأن لهم حق التكلم باسمه»[1].

ثم يقول الأستاذ الخطيب في رسالته: «وحتَّى القرآن الَّذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة، فإنَّ أصول الدِّين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه الصحابة عن النبيِّ ﷺ، وإلى غير ما فهمه منها أئمَّة الإسلام عن الجيل الَّذي نزل عليه القرآن»[2].

ثم عدَّد الأستاذ الخطيب بعضَ الأمثلة من أصحِّ كتب الشِّيعة، الَّتي تدلُّ على اعتقادهم بتحريف القرآن عن مواضعه، وقد نقلنا ذلك عند كلامنا عن مسألة تحريف القرآن عند الشِّيعة.

(١) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب صـ٧ ـ ١٠، نشر دار طيبة، الرياض.

(٢) المصدر السابق صـ١٠.



قال الأستاذ الخطيب: «والحقيقة الخطيرة الَّتي نلفت إليها أنظار حكوماتنا الإسلاميَّة: أنَّ أصل مذهب الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة الَّتي تسمى أيضًا «الجعفريَّة» قائمٌ على اعتبار جميع الحكومات الإسلاميَّة من يوم وفاة النبيِّ ﷺ إلى هذه الساعة ـ عدا سنوات حكم عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ـ حكومات غير شرعيَّة، ولا يجوز لشيعيٍّ أن يَدين لهؤلاء بالولاء والإخلاص من صميم قلبه، بل يُداجيها مداجاة، ويتَّقيها تُقاة؛ لأنَّها كلَّها ما مضى منها، وما هو قائم الآن، وما سيقوم منها فيما بعد، حكومات مغتصبة، والحُكَّام الشرعيُّون في دين الشِّيعة وصميم عقيدتهم هم الأئمَّة الاثنا عشر وحدهم، سواء تيسَّر لهم مباشرة الحكم أو لم يباشروه، وكل من عداهم ممَّن تولَّوْا مصالح المسلمين من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى من بعدهم حتَّى الآن، مهما خدموا الإسلام، ومهما كابدوا في نشر دعوته، وإعلاء كلمة الله في الأرض، وتوسيع رقعة العالم الإسلامي، فإنَّهم مُفْتَئِتون مُغْتَصِبون إلى يوم القيامة»[1].

الشيخ طه الساكت:

وممَّن انتقدوا فكرة التقريب الشيخ طه الساكت الَّذي كان واحدًا من أعضاء لجنة الموسوعة المفهرسة للأحاديث النبويَّة بالأزهر الشريف، ولجنة تحقيق «جمع الجوامع» المعروف بـ «الجامع الكبير» للإمام السيوطي من قبل مَجْمع البحوث الإسلاميَّة في الأزهر الشريف في عام ١٩٧٢م، ولجنة التفسير الوسيط، ولجنة الحديث في مجمع البحوث الإسلاميَّة، ونُدِب مدرسًا للدراسات العليا للأحاديث النبويَّة بالعديد من الجامعات الإسلاميَّة.

(١) الخطوط العريضة صـ١٩.



وقد كتب في رسالته إلى جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريَّة آنذاك؛ يُحَذِّر من تدريس المذهب الشِّيعي الاثني عشري في الأزهر، وكان ممَّا قال فيها: «والمعروف أن المذهب الشِّيعي كان يُدَرَّس بالأزهر في أوَّل إنشائه، وقد تبيَّن للأُمَّة ما في هذا المذهب من أباطيل، فنَفِرَتْ منه أشدَّ النفور، وهيَّأ الله لها من يُحَقِّق أمنيتها هذه، وهو بطل الإسلام والعروبة «صلاح الدين الأيوبي»، فألغى المذهب الشيعي، وأحلَّ محله مذاهب أهل السُّنَّة والجماعة، وبهذا العمل المجيد أحرزت مصر الزعامة الإسلاميَّة إلى يومنا هذا.

وقد كبُر على الشِّيعة أن يزهق باطلهم، وأن تكون لمصر هذه الزعامة الإسلاميَّة العربيَّة، فعملوا على تجديد مركزهم المفقود بإنشاء «جماعة التقريب» بالقاهرة، واستطاعوا بدعايتهم الخداعة ونفاقهم البارع أن يستدرجوا نخبة من رجال العلم في مصر لم يفطنوا إلى ما يهدف إليه داعية الشِّيعة بمصر «الشيخ مُحَمَّد القُمِّي»[1].

وفي هذه الأيام استطاع هذا الداعية الداهية أن يدخل الفقه الشِّيعي بين موادَّ الدراسة في الأزهر على يد «الشيخ محمود شلتوت»، كما أدخله من قبل في معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربيَّة بدعوى توحيد الصفوف، وإزالة ما بيننا من جفوة وتعصُّب عمل عليها المستعمر، وبهذا يكون الأزهر قد تراجع وتنازل إلى العهد الفاطمي المظلم عن ثقة المسلمين به وبمصر.

ونحن لا نحبُّ أن يتعرَّض الأزهر لهذه النكسة في عهد النهضة الحاضرة، ولا نرضى أن تكون في مصر مجلة للشيعة تدعى مجلة

---

(١) هو محمد تقي الدين القمي مؤسس دار التقريب بين المذاهب.



«رسالة الإسلام»، تقوم بنشــر الدعاية الباطلة للمذهب الشيعي، وتشعر النَّاس هنا وهناك أنَّنا راضون عمَّا فيها، وفي هذا مَجْلَبة لسوء الظنِّ»[1].

وقد أغلقــت دار التقريب بعد قيام الثورة الإيرانيَّــة ١٩٧٩م، وتوقَّف إصدار مجلة «رسالة الإسلام».

لقد أدرك هــؤلاء أن التقــارب لا بــدَّ أن يكــون تقاربًــا حقيقيًّا، لا مفترضًا، وأن يكون التقريب مبنيًّا على أسس لا على كلمات جوفاء، تفرقع في الهواء، وعندما تبحث عن النتيجة لا تجد شيئًا!

وقفة لا بدَّ منها:

أقول: القوم يخدعوننا: يعلنون أنَّهم يؤمنون بهذا القرآن الَّذي نحفظه جميعًا، وأنَّهم يعتقدون أنَّه كلَّــه كلام الله؛ ولكن في كتبهم مَن يقول: إنَّ هذا القرآن لا يحوي كلَّ شــيء، فهناك أشــياء حُذفت منه، ســيأتي بها المهدي عند ظهوره!

ثمَّ نجدهم لا يُكَفِّرون مَــن قال ذلك، وهو خلاف موقفنا ممَّن يقول بالنقصان أو الزيادة في القرآن؛ فقائلُ هذا القول كافرٌ بلا ريب!

ثمَّ إنَّ هذه الأقوال موجودة في كتبهم المعتمدة مثل «الكافي»، وهذه الكتب ما تزال تُطبع وتُترجم، وتُنشر وتُوَزَّع في العالم على نطاقٍ واسع، دون تعليق عليها أو نقدٍ لها. وقد قيل: الساكتُ عن الحقِّ كالناطق بالباطل!

ثمَّ إنَّ بينَنا وبين القــوم تباينًا كبيرًا في أمورٍ أخرى أساســيَّة فمثلًا: السُّنَّة عندنا هي سُنَّة مُحَمَّد رسول الله ﷺ. وهو الَّذي خصَّه الله بالعصمة، وأمر الأُمَّة بطاعته بجوار طاعته ﷻ.

---

(١) من ذخائر السُّنَّة النبوية (٦٧/١، ٦٨)، نشر دار نور المكتبات، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.



﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤]، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤]. إلى غيرها من الآيات الكثيرة الوفيرة.

ولكن عند الشِّيعة: السُّنَّة سُنَّة الرسولِ والمعصومين، أي سُنَّة الرسول والأئمَّة الاثني عشر أو الأحد عشر. فهؤلاء يجب أن يُطاعوا، كما يُطاع الله ورسوله المؤيَّد بالوحي. فقد أضافوا إلى ما أمر به القرآن من طاعة الله ورسوله، طاعة مخلوقين لم يأمر الله بطاعتهم؛ فضلًا عن أنَّها في أغلبها مأخوذة عن غير الثقات المشهورين بالعدالة وتمام الضبط، بل كثير منهم مُتَّهمون بالوضع بألسنتهم هم!

وهم لا يقبلون كتب السُّنَّة التي عندنا، لا البخاري ولا مسلم ولا بقيَّة الكتب الستَّة، ولا الموطَّأ ولا مسند أحمد، ولا صحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، ولا غيرها.

وممَّا يباين بيننا وبين القوم الموقف من الصحابة: وهو موقف مبدئي وأساسي عند الشِّيعة، وهو فرع عن أصل ثابت، ونتيجة لمقدمة مسلَّمة. هذا الأصل أو المقدمة عندهم: أنَّ الرسول ﷺ نصَّ على أن يخلفه عليٌّ بعده، وأنَّ الصحابة أخفوا هذه الوصيَّة، وغصبوا عليًّا حقَّه جهارًا نهارًا، وخانوا رسولَهم الَّذي هداهم الله به، وعاشوا حياتهم في نصرته، وفدَوه بأرواحهم وما ملكت أيديهم!



والعجيب أن يجمعوا على ذلك، وأن يسكت عليٌّ فارس الإسلام عن إعلان حقِّه، ويُبايع أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان. ولا يقول لأيٍّ منهم: إنَّ عندي وصيَّة من رسول الله، فلماذا تتجاهلونها؟ ولماذا تجعلونها شورى في ستَّة وتشغلون أنفسكم من الَّذي يقع عليه الاختيار، والأمر محسوم بالوصية النبويَّة؟!

لماذا لم يصْدَع عليٌّ بما عنده من أمر؟

ثمَّ إذا كان الحسنُ بن عليٍّ منصوصًا على خلافته، كيف يتنازل عنها مختارًا، ويُسَلِّمها إلى معاوية؟!

وهل يكون من حقِّه ذلك إذا كان مكلَّفًا من الله بذلك؟

وكيف يثني رسول الله عليه بتنازله عن مُهَمَّته المنصوص عليها[1]؟!

وهذه الصورة عن الصحابة صورة قاتمة وزائفة، لا تمتُّ إلى حقيقتهم بصلة، ويأباها القرآن والسنَّة والتاريخ كما سنُبَيِّن ذلك في كتابنا، وكما هو معلوم لكلِّ المسلمين، من القرآن والسُّنَّة والتاريخ.

ثمَّ إنَّ القوم مهما أظهروا الاعتدال والتقرُّب منَّا ستظلُّ مسألة الإمامة ونظرتهم للإمامة فيصلًا بيننا؛ فهي عندهم من أصول الإيمان، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فلا يصح إيمان مسلم، ولا يقبل عند الله تعالى، إذا لم يؤمن بأنَّ عليًا خليفة منصوص عليه من الله تبارك وتعالى، وكذلك الأحد عشر إمامًا من ذُرِّيته. ومن أنكر ذلك أو شك فيه فهو كافر مُخلَّد في النار. وهذا ما نصُّوا عليه في رواياتهم

(١) إشارة إلى حديث: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين». رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة.



المستفيضة في «الكافي» وغيره، وما نصَّت عليه كتب عقائدهم، وتضافر عليه قدماؤهم ومحدِّثوهم، وأخباريُّوهم وأصوليُّوهم.

وعلى هذا الأساس نرى عامتهم يكفرون أهل السُّنَّة عامَّة؛ لأنَّهم يخالفونهم في هذه العقيدة، بل ينكرونها أصلًا، ويعتقدون أنَّها باطلة مكذوبة على الله ورسوله.

بل هم يكفرون الصحابة الَّذين لم يعترفوا بها لعليٍّ رضي الله عنه، ويُكَفِّرون الخلفاء الراشدين الثلاثة الَّذين سبقوا عليًّا: أبا بكر وعمر وعثمان، ومن رضي بهم من صحابة رسول الله. ونحن نعلم أنَّ كلَّ الصحابة قد رضوا بهم، حتَّى عليٌّ نفسه. تأخَّر في أوَّل الأمر عن مبايعة أبي بكر، ثمَّ بايعه. «وعظَّم حقَّ أبي بكر، وأنَّه لم يحمله على الَّذي صنع نَفاسة على أبي بكر، ولا إنكارًا للذي فضَّله الله به، وقال: ولكنَّا كُنَّا نرى لنا في الأمر نصيبًا»[1]. ولم يذكر أنَّ لديه نصًّا من الله ورسوله!

ونحن أهل السُّنَّة والجماعة، نرى قضيَّة الإمامة وما يتفرَّع عنها من فروع الدِّين العمليَّة، لا من أصوله الاعتقاديَّة، فأولى ما تبحث في كتب الفقه والأحكام العمليَّة، لا في كتب العقائد وأصول الدين. وإن كان أهل السُّنَّة اضطروا ـ من الناحية الواقعيَّة ـ أن يتكلَّموا عنها في كتب العقائد ليردُّوا على نظريَّات الشِّيعة ومقولاتهم فيها.

المستفيدون من التقريب الشِّيعة لا السُّنَّة:

أقولها الآن بكلِّ صراحة ووضوح، وبعد ما أبداه أهل السُّنَّة من تسامحٍ وحرصٍ على الحوار لصالح وَحْدة الأُمَّة: إن الَّذين يستفيدون ممَّا يسمَّى

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٥٩).

«التقريب» هم الشِّـيعة لا السُّـنَّة، لقد أقام الشِّـيعة في السـابق عشرات الحسينيَّات في المدن والقرى السُّنِّيَّة في سوريا، والآن عن طريق الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اللبناني وغيرها من المليشيات الَّتي جنَّدوا فيها الآلاف من الشِّيعة، يُهجِّرون أهل السُّنَّة من قراهم ومدنهم لصالح الشِّيعة.

وفي العراق كانت «فرق الموت» الشِّـيعيَّة تقتل النَّاس على الهُويَّة، وتقتل كل من اسمه أبو بكر أو عمر أو عثمان! وتذبح النَّاس في بيوتهم، وتخطفهم من بين أهليهم، ويرى النَّاس رؤوسهم بعد ذلك في الخرائب أو في الطرقات، وأدهى من ذلك وأمرُّ: أن يـرى النَّاس آثار «التعذيب» الوحشي في أجسادهم، بما تقشعر منه الأبدان.

وكذا فعلت ميلشـيا الحشد الشـعبي ـ وإن شـئت حقًّا فهو الحشد الشِّيعي ـ في العراق، تحت عنوان محاربة داعش!

هذا فضلًا عن نشر التشيُّع في آسيا وإفريقيا وفي كل مكان، فللشيعة دولة تدعمهم، وهم يملكون المليـارات من الخُمْس الَّذي يجمعونه من أتباعهم في العالم، ولهم عشرات القنوات الناطقة بلغات مختلفة، الَّتي تنشر التشيُّع وتثير الشبهات بين أهل السُّنَّة، والأدهى أنَّهم أنشؤوا قنوات للأطفال الصغار.

ثُمَّ هم لا ينشـرون التشـيُّع بين الوثنيِّين، أو بين النصارى، أو بين الملاحـدة؛ إنَّهم لا عمل لهم مـع أحدٍ من هذه الفئـات، وإنَّما ينصبُّ جهدهم على تشييع أهل السُّنَّة!

وهذا التشييع يتركز أكثر في بلاد السنة المنكوبة بالفاقة، فيستغلُّون حاجة الفقراء لتشـييعهم كما وقع في البوسنة وغيرها، وكما حاولوا في بعض أحياء القاهرة، وأما اليمن فأنشـأ العراقيُّون بدعم جماعة الحائري



في إيران بصنعاء عدَّةَ مراكزَ لنشر التشيُّع! وكان السفير الإيراني في صنعاء يُشرف عليها، ويبعث طلبة الحُوثيِّين للدراسة على نفقة إيران في النجف وقُم؛ حتَّى ارتفعت شعارات الرافضة، واحتفل بيوم الغدير وإعلان الولاية، وأنَّ عليًّا رضي الله عنه هو الوصيُّ ونحو ذلك، بل كتبوا بأنَّ التراويح بدعة!

وقد زارني بعض الإخوة الصوماليِّين في مكتبي بالدوحة، وأخبروني أنَّ الصومال الآن تتعرَّض لغزوة خطيرة شريرة، لم تتعرَّض لها من قبل، وإن كانت قد تعرَّضت لغزوات في غاية المرارة والخطورة؛ دعاة شيعة هبطوا على الصوماليِّين من بلاد غير بلادهم، يتكلَّمون بلسان غير لسانهم، ويتعاملون بعادات غير عاداتهم، ومذهب في الفقه غير مذهبهم، ومصادرهم غير مصادرهم، فكلُّ الصوماليِّين شافعيَّة أهل سنة أشاعرة، وهؤلاء يأتون إلى الصومال لنشر مذهبهم، يأتون إلى هذه البلاد الفقيرة، ومعهم الإسترليني والدولارات الخضراء، يحملها المشايخ المُعمَّمون، والأيادي فارغة، والبطون جائعة، والثياب بالية، والمدرسة ليس فيها كراريس ولا أقلام، يأتون تحت مسمَّى «الدعوة» و«العمل الخيري»، وإنشاء المدارس والكتاتيب، يخدعون العوامَّ، ويدخلون على أهل الطرق الصوفيَّة من باب «محبَّة أهل البيت»، وأهل السُّنَّة في الصومال وفي العالم أجمع يُجِلُّون أهل البيت، ويقولون في كلِّ صلواتهم: «اللهمَّ صلِّ على مُحَمَّد، وعلى آل مُحَمَّد، كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وباركْ على مُحَمَّد وعلى آل مُحَمَّد، كما باركتَ على إبراهيم وعلى إبراهيم».

أقول: وما يفعلونه في الصومال يفعلونه في غيرها من الدول في القرن الإفريقي، وفي غرب إفريقيا في السنغال والنيجر ونيجيريا

وغيرها، وفي جنوب شرق آسيا، وفي إندونسيا وفي ماليزيا وفي غيرها من بلاد السُّنَّة.

بين الأكثريَّة والأقلِّيَّة

لقد كان الشِّيعة طَوَال تاريخهم أقلِّيَّة تعيش في كنف الأكثريَّة السُّنِّيَّة، آمنة مستقرَّة، تجمع أتباعها، وتُؤَلِّف كتبها، وتنتصر لمذهبها، وتنشر ذلك بين جمهور أهل السُّنَّة، ولم يتعرَّض لهم أحدٌ بأذًى أو محاولة تصفية، رغم ما في كتبهم من طعنٍ شديد، وتجريح قاسٍ لأهل السُّنَّة، إلى حدِّ تكفيرهم وإخراجهم من الملَّة.

هكذا عاشوا في سلطان الدولة العبَّاسيَّة، في عصرها الأوَّل، وعصرها الثاني؛ مع ما وقع من صراعات طائفيَّة بين السُّنَّة والشِّيعة، لا سيَّما مع الحنابلة ببغداد.

وهكذا عاشوا في عصر الدولة العثمانيَّة، إلَّا ما كان بينها وبين الصفويِّين من صراع معروفٍ.

بل هكذا عاشوا في عصرنا في ظلِّ الدعوة الوهَّابيَّة، المعروفة بموقفها الفكري من الشِّيعة، فهاهم الشِّيعة في المنطقة الشرقيَّة من المملكة، يقومون بأنشطتهم الدِّينيَّة والدعويَّة، ولم تفكر الدولة في القضاء عليهم، أو تقليم أظافرهم.

وهكذا عاشوا في بلاد الخليج العربي عامَّة، برغم أنَّ حكامها جميعًا من أهل السُّنَّة، لهم ثروتهم الاقتصاديَّة، ومكانتهم الاجتماعيَّة، ومشاركتهم السياسيَّة، فمنهم نُوَّاب ووزراء، وسفراء ومديرو دوائر، ورؤساء جامعات، وعمداء كُلِّيَّات، وشخصيَّات مؤثِّرة في المجتمع.



وعاشـوا كذلك في العراق في عهد الحكم المَلَكي السُّـنِّي، وكذا الأنظمة بعده، ولم يتعرَّض لهم النظام! وحتَّى صدام لم يُفَرِّق في ظلمه واستبداده بين سُنِّي وشِـيعي، ولم يتعرَّض لهم إلَّا حين قاموا بمساندة إيران بما أسموه بالثورة الشعبانيَّة؛ مُسْتَغِلِّين تقهقر الجيش العراقي إبَّان حرب الخليـج الأولى، بـل إنَّ صدامًا منـع كتابة اللقب فـي الجواز والجنسيَّة حتَّى لا يتميَّز الرجل في لقبه، فيُعرف أنَّه شيعي أو سُنِّي؛ في محاولة منه لنشـر التعايش بين فئات المجتمع، بل كان كثيرٌ من الشِّيعة بعثيِّين مُقَرَّبين من صدام ونظامه.

ولم يحاول أهل السُّـنَّة في عصر من العصـور ـ بوصفهم الأكثريَّة الساحقة في الأُمَّة ـ أن يسـحقوا الأقلِّيَّة الشِّـيعيَّة، أو يُضَيِّقوا عليها في شـعائرها، ومواريثها المذهبيَّـة، مع أنَّ بعض شـعائرهم تصادم الحسَّ الدينيَّ العامَّ عند الأُمَّة!

وإذا كان هذا موقف الأكثريَّة السُّـنِّيَّة بالأمس واليوم، فما لنا نرى الأقلِّيَّة الشِّيعيَّة تستثير الأكثريَّة السُّنِّيَّة، وتتحرَّش بها، وتستفزها بصورةٍ مكشـوفة، وبطريقةٍ تهيج غضب الحليم؟! ولو اسـتجيب لأحلامها وتطلعاتها، وأُطلق العِنـان لغرائز الغضب والثـورة، لوَقَع خطرٌ كبير، وشرٌّ مستطير!

ماذا نرى اليوم؟

وها نحن اليوم نرى بأعيننا ولم نسـمع من مُخْبِر، ولم يقصَّ علينا قاصٌّ: ماذا يصنع الشِّيعة الإماميَّة بالشعب السـوري ذي الأغلبيَّة السُّنِّيَّة من صنوف التعذيب؟ وماذا فعلت ميليشياتهم الطائفيَّة من قبل في العراق من فنون الأذى والتقتيل والتعذيب والتهجير؟



لم نرَ يومًا هذه القوة العسكرية الشِّيعيَّة الهائلة (إيران ومليشياتها المبثوثة هنا وهناك)، الَّتي فرحنا بقوتها يوما ما، ورددنا على أمريكا بأن من حقها أن تملك القوة النووية، واعتبرنا ذلك في صالح أهل الإسلام، فإذا بنا نراها لا توجه قوتها تجاه إسرائيل، ولا إلى غيرها من بلاد الكفر الَّتي تضطهد المسلمين في بورما أو كشمير أو سيريلانكا أو الفلبين، وتايلاند، وميانمار، أو غيرها من البلاد الَّتي تضطهد المسلمين، إنَّما استخدمت سلاحها لتقتل به المسلمين البرآء!

إن دماء الرجال، وحُرمات النساء، ورؤوس الشيوخ، وأشلاء الأطفال، وتهديم المنازل، وتخريب الديار، وجهود التشييع واختراق صفوف الأمة وعقيدتها الصحيحة: تأبى علينا إلا أن نبادر بتوعية المسلمين بالحقيقة كما هي؛ دون زيادة أو نقصان!

ومن رعَى غنمًا في أرضِ مَسْبَعَةٍ(1) **ولم يَصُنْها تولَّى رعيَها الأَسَدُ**(2)!

لا يحلُّ لي ولا لغيري من علماء الأمة: أن نتغافل عن حقيقة ساطعة كالشمس، تؤكدها الأفكار والأقوال، وتصدقها الوقائع والأفعال.

ومن زعم أنه قادر على تغيير دين أمَّة الإسلام الكبرى: فهو واهم؛ لأن الله تعالى هو حافظها ومبقيها حتَّى تقوم الساعة: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ ـ ٣٣]. وقد ذكر القرآن كثيرًا من الأمم الَّتي ضلَّت عن كتاب ربها، وسنن أنبيائها،

(١) أي: كثيرة السباع.

(٢) من شعر أبي مسلم الخراساني. انظر: المحاسن والأضداد صـ٤٥، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.



فقال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فنحن موكلون من قبل ربنا تبارك وتعالى، لندافع عن ديننا، ونذود عن أمتنا، ولن نسمح لمزيف أيًّا كان: أن يسعى لارتداد أمَّتنا عن دينها، وقرآن ربِّها، وسنَّة نبيها، وهَدْي صحابتها، وإجماع علمائها، وإرشاد دعاتها، والطائفة المنصورة من أهلها. ومن حاول ذلك، فسيجد الأُمَّة كلَّها من المسلمين في مواجهته: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

تجربتي مع التقريب

إنَّني منذ قرابة ٨٠ عامًا، بدأت الدعوة إلى الله تعالى، وأنا في السادسة عشرة من عمري، أدعو إلى الأخُوَّة الَّتي فرضها الإسلام على المسلمين، واعتبرها صنْوًا للإيمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]. أدعو إلى جمع كلمة الأمة الواحدة، الَّتي فرقتها المذاهب والفرق القديمة والمستوردة، والقوميات المتعصبة، والولاءات العمياء، والانتماءات لغير الله ولغير الإسلام، فجعلت الأمة الواحدة أممًا، والله لم يرضَ إلا أن تكون أمة واحدة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فأنا أومن بوحدة «أهل القبلة»، وهم الَّذين يُشَكِّلون «الأُمَّة الإسلاميَّة». و«الأمة الإسلاميَّة» عندي حقيقة وليست وهمًا[1]. وإن اختلاف الأمة إلى فرق ومذاهب مختلفة لا يمنع أنَّها أمَّة واحدة، فإنَّ بينها من الجوامع أكبر ممَّا أرى بينها من المُفَرِّقات: فربُّها واحد، ونبيُّها واحد، وكتابها واحد، وعقائدها الأساسيَّة واحدة، ومصيرها واحد، وعدوُّها واحد، ومصلحتُها واحدة.

(١) راجع كتابنا: الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، نشر مكتبة وهبة القاهرة.



كما كنتُ دائمًا أدعو إلى التقارب بين المسلمين، تقاربًا لا يسعى إلى تغول طائفة على أخرى، وإن كانت معها الكثرة أو القوَّة، تقاربًا نتَّفق فيه على الثوابت، ونتحاور حول الخلافيَّات، نرفع فيه أسلحتنا كلَّها في اتِّجاه أعداء أمَّة الإسلام، ونصدع فيه برأينا في مواجهة الفئة المُتَطَرِّفة من كلا الاتِّجاهين. رفعنا شعار العلَّامة رشيد رضا، الَّذي سمَّاه: قاعدة المنار الذهبيَّة: «نتعاون فيما اتَّفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه». وهو ما تبنَّاه إمامنا حسن البنَّا، وأعلنه في رسائله، حتَّى ظنَّ بعض الإخوان أنَّها من قوله؛ فأنا ضدُّ دعاة التفرقة بين أبناء هذه الأُمَّة الواحدة، سواء كانت تفرقة طائفيَّة (فرقيَّة) أو مذهبيَّة أو عرقيَّة، أو غيرها! وأرى أن الَّذين يُوَجِّهون هذه التيارات هم أعداء الأُمَّة، الَّذين كان شعارهم: فرِّقْ تَسُدْ.

أزمة «الطائفيَّة» وكيف اجتهدتُ لعلاجها؟

في بداية شبابي لم أعرف «الطائفيَّة»؛ إذ كانت مصر كلها على بكرة أبيها شعبًا سُنِّيًّا خالصًا، وإنَّما عرفتُها فيما بعد، حين توغلتُ في دراستي للفرق الإسلاميَّة، وأقاويلها واتجاهاتها الفكريَّة والعقديَّة والفرعيَّة، فرأيتُ خطر الطائفيَّة ماثلًا للعيان، ولكن لم أيئس منه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وظللتُ سنين من حياتي أعالج هذه الأمور بما يعالج به الطبيبُ المريضَ يخشى أن يهلكه المرضُ، يعالجه بكل رفق، فـ «**إنَّ الله يحبُّ الرفقَ في الأمر كُلِّه**». كما في الحديث المتَّفق عليه[1]. وقد قال الله لرسوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٢٤)، ومسلم في السلام (٢١٦٥)، عن عائشة.



كان هذا هو الخطاب الَّذي التزمته في معالجة أزمة الطائفيَّة البغيضة، ومحاولة تقريب المتباعدين، وتوحيد الصفوف بين المسلمين! كنت أنظر في هذا الخطاب إلى تشرذم المسلمين في عالم يسعى إلى التكتلات، وتفرقهم؛ في زمن يبحث فيه المتناقضون عما يجمعهم، وكنت أرنو إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. وإلى حديث الرسول ﷺ المتفق عليه: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1]. أبحث عن أمة الإسلام الكبرى فلا أجدها أمامي ماثلة، وعن فريضة الوحدة الإسلاميَّة: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فلا أعثر عليها.

كنت أفتش عن عوامل البناء لا الهدم، والتجميع لا التفريق، والتراحم لا التزاحم، والتعاضد لا التنازع، بعيدًا عن لغات التهديد، وسياسة تصدير الأزمات. كان خطابنا التقريبي يجتهد بالفعل في التقريب الحقيقي، بين أهل السُّنَّة والشيعة، والابتعاد عن التطرف، والحذر من تكفير المسلمين.

وكم سمعنا من آيات كبار وعلماء مشاهير من الشِّيعة، يزعمون أن من يسب الصحابة فيهم قلة، ومن يعتقد تحريف القرآن ونقصانه شرذمة قليلون، وأن ما يشاع من أن تحرير الكعبة من أهل السُّنَّة ووجوب قتالهم قبل اليهود والنصارى أراجيف، وأنها من أقوال «الأخباريِّين» لا من أقوال «الأصوليِّين»!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.



محاولات لتقريب الشِّيعة منا:

كنت أعتبر الأمــر جِدًّا، يحتــاج إلى التفكير الحــازم، والعمل المنظَّم، والإرادة الصُّلبة، والإيمان الصادق، لا المناورات والاختباء وراء الكلمــات العامَّة، والمحتويــات المخبأة، والادعــاءات الَّتي لا تُرى، فنتعامل ظاهرًا بأشياء، ونُخفي ما نراه حقًّا، وما نؤمن به في أعماق قلوبنا، وما نُرَبِّــي عليه رجالنا وخاصَّتنا، فمثل هذا لا يُجْدي في النهاية، ولو اجتمعنا سنين طويلة؛ لأن الَّذي يجدي في النهاية هو ما ينطوي عليه قلبك، وليس ما ينطق به لسانك، وقد قال الله تعالى عن المنافقين في ســورة البقرة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۞ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۞ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

وحين أنشأت مؤسســتنا العالميَّة الكبرى: «الاتِّحاد العالمي لعلماء المســلمين»، جعلت أحد نوابي الشيخ الشِّــيعي مُحَمَّد علي تسخيري، وكنت صادقًــا في هذا. وكنــت تعرَّفتُ بــه في جلســات مجمع الفقه الإسلامي، إذ كان ممثل جمهوريَّة إيران الإسلاميَّة.

ولم أكتفِ بالشــيخ التَّســخيري وحده، ولكنِ اجتهدنا أن نضمَّ إليه عددًا آخر، فحاولنا أن نجذب العلامة «فضل الله» في لبنان، ولكنَّه اعتذر؛ لأن ظروفه الأمنية تجعله لا ينتقل من الساحة اللبنانية، وأخذنا معه بعض الشِّيعة الآخرين، وأوصينا بهم خيرًا.

وفي لبنان دعانا الشيخ فضل الله ـ نحن مجلس أمناء الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين ـ فلبَّيْنا دعوته، وحضرنا عشاءه.



والتقيتُ العلَّامة «محمد مهدي شمس الدين» في لبنان، الَّذي لم يكن يرى الولاية للفقيه، وإنَّما يرى أن الأمَّة هي وليَّة نفسها. وفي منزل الأخ الدكتور مُحَمَّد سليم العوا في القاهرة، تحادثنا معه بكل صراحة، وبلا حرج، وكان معنا عدد من الإخوة: طارق البشري، وفهمي هويدي، وأحمد العسال، وعادل حسين، وغيرهم.

وزرتُ أكثر من مرَّة دارَ ممثلي الشِّيعة في لبنان، كما زرتُ أكثر من مرَّة حسن نصر الله في منزله، وحينما هاجمه مشايخُ المملكة السعودية هجومًا عنيفًا، حينما وقف أمام الصهاينة في جنوب لبنان سنة ٢٠٠٦م، دافعتُ عنه مستميتًا في موقفي، من خلال برنامج «الشريعة والحياة» على «قناة الجزيرة»، ولم أبالِ بما أصابني في سبيل ذلك من الأقلام الكبيرة.

كنتُ قد كوَّنتُ في نفسي فكرة: أن علينا أن نقوِّي تيار الانفتاح والتقارب مع الشِّيعة، مقابل تيار المتعصبين والمُتشدِّدين، ومن أجل ذلك غضضْتُ الطرف عمَّا كتبه العلَّامة المُؤرِّخ المُحَقِّق محبُّ الدِّين الخطيب من قديم في رسالته «**الخطوط العريضة الَّتي خالف فيها دين الشِّيعة الإماميَّة دين الإسلام**»، وما ذكروه من كتاب ألَّفه أحد شيوخهم الكبار وهو الميرزا حسين النوري الطبرسي، في كتابه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الَّذي جمعه من أمهات كتبهم المعروفة، من عشرات المراجع: أن القرآن الموجود بين يدي المسلمين اليوم، ليس هو كما أنزله الله على رسوله، وأنَّه حذف منه الكثير، وما نقله العارفون من حملات تكفيرية لأهل السُّنَّة من كبار رجال الشِّيعة، وما كتبه الداعية الباكستاني الشهير إحسان إلهي ظهير، عن الشِّيعة ومعاداتهم لأهل السُّنَّة، وتكفيرهم لهم، إلى أن قتله الشِّيعة في باكستان! وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته، وغير ذلك.



مبادرة التقريب بدأت في بلاد أهل السُّنَّة:

لقد كان أهل السُّنَّة ـ وهم جمهور المسلمين ـ هم المبادرين بـ «التقريب»، والمرحّبين به، فقد بدأ ذلك في القاهرة، وكان المبادِرون من كبار رجال الأزهر المشهود لهم، مثل: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، والشيخ مُحَمَّد المدني، والشيخ عبد العزيز عيسى، وغيرهم، وكان ممَّن يُؤَيِّد وجهتهم الإمام الشهيد حسن البنَّا، رحمهم الله جميعًا.

وقد أنشئت «دار التقريب» في بلد الأزهر، وقبلة الثقافة الإسلاميَّة: القاهرة، وكان الأمين العام لهذه الدار، أو هذه المؤسسة، هو العالم الجعفري الشهير: الشيخ تقي الدين القُمِّي؛ الَّذي ينتمي إلى الحوزة العِلميَّة في «قُم». وقد أصدرت هذه الدار مجلة «الرسالة» الفصليَّة، الَّتي كان يكتب فيها كبار علماء أهل السُّنَّة.

ولقد استقبل المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة في عهد الإمام البنَّا: الشيخ القمي، ورحَّب به. كما استقبل بعد سنوات، في عهد خليفته: المستشار حسن الهضيبي، زعيما شيعيًّا معروفًا، لم يكن من رجال الحوزة، ولكن من رجال الجهاد، هو: «نواب صفوي» زعيم جماعة «فدائيَّان إسلام» الَّذي كان معارضًا لحكم الشاه، ومغضوبًا عليه منه.

وفي الستينيَّات من القرن العشرين، أصدر العلامة الإمام الأكبر، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر: فتوى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري، على أساس أنه في الجانب الفقهي قريب من مذاهب أهل السُّنَّة، دون أن تدخل فتوى شلتوت في قضيَّة العقائد والأصول، الَّتي فيها الخلاف الحقيقي بين السُّنَّة والشِّيعة، ومع هذا لم نر من الشِّيعة من



جزى الحسنة بالحسنة، ومن رد التحيَّة بأحسن منها، أو بمثلها، فلم يصدر مرجع شيعي في «قُم» أو «النجف»: فتوى تجيز لأتباعهم التعبد بمذاهب أهل السُّنَّة!

مشاركتنا في مؤتمرات التقريب:

ولقد شاركت في عدد من مؤتمرات التقريب: في الرباط بالمغرب، الَّذي دعت إليه المنظمة الإسلاميَّة للتربية والثقافة والعلوم «الإيسسكو»، وفي مملكة البحرين شاركت في المؤتمر الَّذي دعت إليه وزارة الشؤون الإسلاميَّة، تحت رعاية ملك البحرين: الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة. وقدمت فيه ورقة تضمنت ركائز أساسيَّة للتقريب، سميتها: «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة»، لخصتها في عشرة مبادئ، لا بدَّ أن تُرعى وتنفذ، إذا كنا نريد تقاربًا حقيقيًّا.

منها: حسن الفهم، وحسن الظن، والتركيز على نقاط الاتفاق، والتحاور في المختلف فيه، وتجنُّب الاستفزاز، واجتناب تكفير كل من قال: «لا إله إلا الله»، والبُعد عن شطط الغلاة، والمصارحة بالحكمة، والحذر من دسائس الأعداء، وضرورة التلاحم في وقت الشدة.

كما حضرتُ مؤتمرًا آخر في دمشق دعا إليه مجمع الشيخ كفتارو مع بعض الجهات الشيعيَّة في سورية.

كما كنت في كل لقاءاتي بالسياسيين، مثل خاتمي ورافسنجاني، وبالدينيين، مثل آية الله مُحَمَّد علي التسخيري، وآية الله واعظ زاده، وآية الله الشيخ جعفر سبحاني، وغيرهم، لا أكف عن المصارحة بضرورة تذليل العقبات أمام التقريب، وإزاحة العوائق الَّتي تقف في وجهه، والأمور الَّتي تعكر جو التقارب أو التقريب.

وقد عـرض عليَّ المشـايخ الكبار هنـاك أنْ أقبـل عضويَّة مجمع التقريب بين المذاهب في طهران، وقالوا: إن مثلـك في منزلته العِلميَّة والدعويَّة والعالمية لا يجوز أن يخلو منه المجمع العالمي للتقريب.

وقد كلَّمتهم بصراحـةٍ حول هذا الموضوع، ولـم أجامل. قلت: إنَّ مجمع التقريب لم ينبثـق عن مؤتمر جامع لأهـل المذاهب المختلفة، قرَّروا فيما بينهم إنشاء هذا المجمع.

ولكنَّ المجمعَ أُنشئ بقرارٍ إيراني منفرد، صدر من السلطة السياسيَّة الإيرانيَّة، فهو مجمع إيراني بحت، تُوجِّهه إيران، وتُنفق عليه. وقد قبلوا مِنِّي ذلك، عن رضا أو غير رضا. الله أعلم بالسرائر.

تأكيدي على عدَّة أمور:

وعندما اشـتركت في مؤتمرات التقريب بين السُّنَّة والشِّيعة، ولقيت الملالي وآيات الله في أكثر من مدينة، وفي كلِّ هذه اللقاءات كنت أدعو وأؤكِّد على جملة أمور:

١ ـ الإعلان بأنَّ القرآن ـ كما هو مطبوعٌ في مصاحف المسلمين ـ هو كلام الله المُنزل، وكتابه المحفوظ، الَّـذي لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٢ ـ الكفّ عن سـبِّ الصحابة رضي الله عنهم، فهم الَّذين نقلـوا إلينا القرآن، ورووا لنا السُّنَّة، وفتحوا الفتوح، وأثنى الله عليهم ورسوله.

٣ ـ أن نكفَّ عن محاولة نشـر المذهب في البلد الخالص للمذهب الآخر. وهو ما سمَّاه العلامة الشيخ مُحَمَّد مهدي شمس الدين في لبنان: الامتناع عن التبشير بالمذهب في بلاد المذهب الآخر.

٤ ـ الاعتراف بحقوق الأقلِّيَّة، سُنِّيَّة كانت أو شيعيَّة.



عدم وفاء علماء الشِّيعة بما اتَّفقنا عليه:

ومع تصديق علماء الشِّيعة لمقولتنا نظريًّا، فإنَّهم لم يفوا بها عمليًّا. وخصوصًا المبدأ الثالث: التبشير بالمذهب، فقد رأيناهم يخترقون مجتمعاتنا السنيَّة، مستغلين إعجاب أهل السُّنَّة بمواقفهم السياسيَّة والعسكرية، ليتسللوا منها للدعاية للمذهب.

وممَّا آسفنا: أنَّ أفكار الشِّيعة توجَّهت مُتحالفة مع أموالهم ـ وهي بالمليارات ـ لغزو عقول البسطاء والفقراء من أهل السُّنَّة، حتَّى وجدنا جهودًا حثيثة لتشييع السُّنَّة في إفريقيا، الَّتي أرسلنا إليها أربعين داعية، يرصدون فيها عن كَثَبٍ جهود الشِّيعة برجالهم وأموالهم الوافرة في غزو أهل السُّنَّة، مع أنَّ الاتِّفاق بيننا ألَّا يسعى فريق لاستمالة البسطاء من الفريق الآخر، على طريقة المُنصِّرين!

وضع اليد على موطن الجراح:

الحق أنَّني لم أكن يومًا من دعاة «التمييع» أو من المهرولين للتقريب دون شروط وقيود. وفي كل مؤتمرات التقريب الَّتي حضرتها كان يغلب على معظم المشاركين المجاملة، وعدم لمس الأمور الحسَّاسة، أو الاقتراب منها، حتَّى لا تثير حساسيات أو مواقف غير محسوبة.

ولما رأيت هذه المؤتمرات تجتمع وتنفض، ولا تحل مشكلة، ولا تواجه عقبة، وإنَّما هي مجاملات تقابل مجاملات، ولا شيء بعد ذلك؛ أخذت على عاتقي أن أصارح جماهير المسلمين بما في نفسي، وألا أكتم عنهم ما أراه ضروريًّا في العلاقة والتعامل، وهذا من مقتضى الأمانة والمسؤوليَّة والميثاق الَّذي أخذه الله على العلماء: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].



وقد بدأت ذلــك بتصريح مطوَّل في نقابــة الصحفيين في القاهرة، إجابة عن سؤال، ثمَّ رأيت من واجبي منذ مؤتمر الدوحة (١ ـ ٣ محرم ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٢ يناير ٢٠٠٧م) ومن موقع شــعوري بالمسؤوليَّة نحو أمتي الكبرى: أن أتجه بالمؤتمر وجهــة إيجابية يجابِه فيها الأمور بوضــوح، ويضع يــده على مواضــع الجــراح، ويقول كلمــة الحق، ولا يخشــى في الله لومة لائم، مع رعاية أدب الخطاب، وأدب الحوار، وأدب الخلاف.

❊ ❊ ❊

خلاصة محاولات تقريب سابقة

مؤتمر النجف (١١٥٦هـ/١٧٤٣م):

وهو الاجتماع الَّذي دعا إليه نادر شاه ـ سلطان الدولة الإيرانيَّة ـ الَّذي خضع لسلطانه تركستان والأفغان، فكان من ضمن رعيته ثلاث أمم: الإيرانيون (وهم شيعة في الغالب)، والأفغان، وما وراء النهر (وهم سُنَّة أحناف في الغالب)، فبلغه أن السُنَّة في جيشه يُكَفِّرون الشِّيعة، فأراد أن يزيل أسباب التكفير بين رعيَّته، فدعا لهذا المؤتمر الَّذي **عقد بالنجف في شوال** سنة ١١٥٦هـ، وقد اجتمع فيه مجتهدو الشِّيعة من الإيرانيِّين وعلماء النجف مع جمع من علماء أهل السُنَّة والجماعة في أفغانستان وبخارى وغيرها. وكان السلطان يراقب أعمال المؤتمر، والَّذي انتهى بقرار تاريخي جريء أجمع فيه علماء الشِّيعة ومجتهدوهم ـ بلا استثناء ـ وعلى رأسهم مفتي إيران المُلَّا باشي علي أكبر، والمرجع الكربلائي السيِّد نصر الله الحائري أنَّهم: «**ينزلون على مذهب أهل السُّنَّة في التَرَضِّي عن الخلفاء الراشدين جميعًا، ويرفضون كل مُحدثات الخبيث الشاه إسماعيل الصفوي (٩٤٠ ـ ٩٨٢هـ)، فمَن شكَّك بالقرآن أو سبَّ الصحابة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**». واعترف فيه علماء أهل السُّنَّة بالشِّيعة، وعبَّر فيه الجميع عن تسامحهم والتزامهم بحُرِّيَّة الاختلاف في الفروع، وتحريم دماء الفريقين المسلمين.

ولكن ذلك لم يدم طويلًا؛ حيث قـام رجال الدين الصفوي باغتيال نادر شـاه الَّذي لم يكن من أصولٍ صفويَّة، فلم يدُمْ الِاتِّفاق سوى ثلاثة أشهر، ما أدَّى إلى عودة ظهور هذه البدع، وتفشيها مرَّة أخرى بين عموم الشِّيعة، إلا مَن أنجاه الله منها، وبذلك عادوا بالشِّيعة إلى منهجهم السابق المكفِّر للأمة بكافة أجيالها، والمحرّف لتاريخ وسيرة أئمَّة أهل البيت[1]. وقد حيَّا الباحث الشِّـيعي المعاصر أحمد الكاتب ذلك المؤتمر، وأثنى على نتائجه في «البيان الشِّيعي الجديد»[2].

الدكتور السباعي (ت١٩٦٤م):

كان الدكتور مصطفى السباعي من كبار رجالات العلم والدعوة في العالم الإسلامي، وكان عميد كلية الشريعة في دمشق، وله عدة مؤلفات لعلَّ أبرزها: «السُّنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي». ولقد بذل الأستاذ السباعي مسـاعيَ كبيرة مع بعض علماء الإماميَّة في مسـألة التقريب، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة سُبل إرساء دعائم الألفة والمودّة بين الطرفين، وكان يرى أن أهم عوامل التقريـب تبادل الزيارات بين علماء الفريقين وإصدار مؤلفات تدعو للتقارب وعدم نشر ما يثير أحد الطرفين.

يقول السباعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «بدأ علماء الفريقين في الحاضر يستجيبون إلى رغبة جماهير المسـلمين في التقارب، ودعـوة مفكريهم إلى التصافي، وأخذ علماء السـنَّة بالتقارب عمليًّا، فاتَّجهوا إلى دراسـة فقه الشِّـيعة

---

(١) انظر: منهج أهل البيت صـ١٦٣، نشر دار الراشد، بيروت. وقد أشار المؤلف إلى أن تفاصيل المؤتمر وردت في مختصر التحفة الاثني عشرية للعلامة محمود شكري الآلوسي، وراجع كذلك: لمحات اجتماعية عن مؤتمر النجف للدكتور علي الوردي.

(٢) نص البيان ملحق في التشيع السياسي والتشيع الديني صـ٤٥٥.



ومقارنتـــه بالمذاهب المعتبرة عند الجمهور، وقد أدخلت هذه الدراســة المقارنة في مناهج الدراســة في الكليات وفي كتب المؤلفين في الفقه الإسلامي، وإنني شخصيًّا منذ بدأت التدريس في الجامعة أسير على هذا النهج في دروسي ومؤلفاتي.

ولكن الواقع أن أكثر علماء الشِّيعة لم يفعلوا شيئًا عمليًّا حتَّى الآن، وكل ما فعلوه جملة من المجاملة في الندوات والمجالس، مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم، واعتقاد كل ما يروى في كتب أســلافهم من تلك الروايات والأخبار، بل إن بعضهم يفعل خلاف ما يقول في موضوع التقريب، فبينما هــو يتحمَّس في موضوع التقريب بين السُّنَّة والشِّيعة، إذا هو يصدر الكتب المليئة بالطعن في حق الصحابة أو بعضهم؛ ممن هم موضع الحب والتقدير من جمهور أهل السُّنَّة.

في عام ١٩٥٣ زرت عبد الحسين شرف الدين في بيته بمدينة «صور» في جبل عامــل، وكان عنده بعض علماء الشِّــيعة، فتحدثنا عن ضرورة جمع الكلمة، وإشاعة الوئام بين فريقي الشِّيعة وأهل السُّنَّة، وأن من أكبر العوامل في ذلك أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضًا، وإصدار الكتب والمؤلفات الَّتي تدعو إلى هذا التقارب. وكان عبد الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ مُتحَمِّسًا لهذا الغرض، وخرجت من عنــده وأنا فرح بما حصلت عليه من نتيجة، ثمَّ زرت في بيروت بعض وجوه الشِّيعة من سياسيِّين وتجَّار وأدباء لهذا الغرض، ولكن الظروف حالت بيني وبين العمل لتحقيق هذه الفكرة، ثمَّ ما هي إلا فترة من الزمن حتى فوجئت بأنَّ عبد الحسين أصدر كتابًا في أبي هُرَيْرة[1] مليئًا بالسباب والشتائم!

(١) أبو هريرة لعبد الحسن شرف الدين الموسوي، نشر المطبعة الحيدرية، النجف.



لقد عجبت من موقف عبد الحسـين في كلامه وفي كتابه معا، ذلك الموقف الَّذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسـيان الماضي، وأرى الآن نفس الموقف من فريق دعاة التقريب من علماء الشِّيعة؛ إذ هم بينمـا يقيمون لهذه الدعـوة الدُّور، وينشـئون المجلات فـي القاهرة، ويستكتبون فريقًا من علماء الأزهر لهذه الغاية، لم نرَ أثرًا لهم في الدعوة لهذا التقارب بين علماء الشِّـيعة في العراق وإيـران وغيرهما، فلا يزال القوم مُصرِّيـن على ما في كتبهم مـن ذلك الطعن الجـارح والتصوير المكذوب لما كان بيـن الصحابة من خـلاف، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السُّـنَّة إلى مذهب الشِّيعة، لا تقريب المذهبين كل منهما إلى الآخر»[1].

فأدرك الأسـتاذ السـباعي حينها أن الغرض الحقيقـي من دعوتهم للتقريب ورفع شـعار الوحدة، هو جَرّ عامّة أهل السُّـنَّة إليهم بإسكات رموزهم، فيما يستمرون هم في نشر كتب اللعن والطعون بالصحابة رضي الله عنهم، وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فيجنون من التقريب ما يريدون!

الشيخ عبد اللطيف مُحَمَّد السُّبْكي (ت١٩٦٩م):

كان مـن العلماء الَّذيـن انتموا فتـرة لـ «جماعة التقريب» الشـيخ عبد اللطيف مُحَمَّد السبكي، شـيخ الحنابلة، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر، لكنَّه اكتشف مبكرًا كذبة «التقريب بين المذاهب»، وكتب مقالًا في مَجَلَّة الأزهر سـنة ١٩٥٢م يحكي فيه تجربته مع دار التقريب، حيث قال عن جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميَّة: «نشط في تكوين هذه

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي صـ٨ ـ ١٠، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

الجماعة شيخٌ شيعي، يُقيم في مصر لعهدٍ قريب أو بعيد، وقد استجاب لدعوته ثلة كريمة من رجالات مصر، ولم يكن يسع مسلمًا أن يتخلّف عن تلبية الدعوة لتجديد وحدة المسلمين الَّتي هتف بها القرآن أوّل ما هتف: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. جذبتني هذه الدعوة، فشرفت بالعضويَّة المتواضعة بين أولئك الأمجاد.

فماذا أجدت جماعتُنا وقد مضى عليها أربع سنوات تقريبًا؟ نشطت في صدر عهدها إلى تعاقب الاجتماعات، فمرة: للتعارف واختيار الرئيس والوكيل والسكرتير إلخ، ومرة ثانية: لاستقبال ضيف شرقي مسلم سيزور دارنا، دار التقريب، وثالثة: لسماع رسائل وردت من جهات إسلاميَّة، ومن بينها رسالة من النجف ـ مركز الشِّيعة «في العراق» ـ يطلب مرسلوها كلمة تلقى هناك في الذكرى الموسمية للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، ثمَّ يقترح علينا في هذه الجلسة أن تطلب الجماعة إلى الأزهر تدريس الفقه الشِّيعي إلى جانب مذاهب أهل السُّنَّة، ويتوارى الاقتراح في سرعة؛ لأنَّه قبل أوانه كما همس بذلك من همس.

وبعد ذلك توقفت الاجتماعات، وانحصرت الجهود في مجلة تصدرها دار التقريب هذه وتسميها: رسالة الاسلام».

وأشار إلى أن «رسالة الإسلام» أتاحت للشيعة ما لم يكن متاحًا لهم من نشر مقالات مفكريهم، وأنَّه كان يود أن تسلم الوسائل من أجل تحقيق الهدف الَّذي قامت عليه الجماعة، يقول: «وكان بوُدِّنا أن تصدق النية، وتسلم الوسائل من الرِّيبة، حتَّى يكون تقريبٌ بالمعنى الَّذي هرعنا إلى العمل على تحقيقه، ولكن تبين من أمارات عدة أنَّنا مسوقون



إلــى تأييد النجف في مواســمها، وفي الجنوح إلــى مذهبها، دون أن يتقدمــوا إلينا ـ ولو قليــلًا ـ نحو الغــرض الَّذي زعمــوا! رابني هذا التلاعب في اســتغلال جماعة التقريب ـ وإن كان غيري لا يزال حسن الظن بهــا، وباقيًا فيها ـ ورابنــي ـ ويجب أن يرتــاب معي كل عضو بريء ـ أنَّها تنفق عن سخاء، دون أن نعرف لها موردًا من المال، ودون أن يُطلب منها دفع اشتراكات تنفق على دار أنيقة بالزمالك في القاهرة، فيها أثاث فاخــر، وفيها أدوات قيِّمــة، وتنفق على مجلتهــا، فتكافئ القائمين عليها، وتكافئ الكاتبين فيها، وتتأنق في طبع أعدادها وتغليف ما يطبع، إلى غير ذلك ممَّا يحتــاج إلى مورد فياض! فمن أين ذلك؟! وعلى حساب من يا تُرى؟!

ثم هل صحيح أنَّ علماء النجف مستعدُّون للتلاقي مع غيرهم لتعود وحدة المسلمين أو يتحقق شيء من التقريب؟!

هل يمكنهم أن يحيدوا عن القول بأن لهم أئمَّة معدودين باثني عشر ـ مثلًا ـ وأن هؤلاء هم وحدهم المهديُّون؟! ومن بينهم الإمام المنتظَر، المختفي حيث يعلم الله، وإلى أن يشاء الله!

وهل هؤلاء الأئمَّة ـ من ظهر منهم، ومن اختفى ـ معصومون كعصمة الأنبياء! وإن لم يكونوا أنبياء؟!

وهل الوصيَّة لعليٍّ أمر معقول، فضلًا عن صحته واعتباره من أصول الدين؟

وهل زواج المتعــة قابل للتفاهم معهم في صحَّتــه أو بطلانه، وهم يستطيبوه وإن خالفوا؟!



وهل سبُّ الصحابة والتنكر لأشياخ الصحابة أمرٌ يرتضيه أدب الإسلام، وتسمح به تعاليم النبيِّ ﷺ، ويتفق مع ما صحَّ عنه ﷺ من التنويه بفضلهم؟

أمور ليست جديدة، والكلام فيها ليس مستحدثًا، والأمل في تصحيحها لا مطمع فيه، ولكن كلَّفتُ نفسي ذكرها، وكلَّفتُ القارئ قراءتها، لتحديد موقفنا من جماعة التقريب فيما هي تُوهمنا بالعمل على تذليله، ثمَّ هي في الوقت نفسه تدبُّ في خطاها إلى الأخذ بها، أو على الأقل هي تقود النَّاس إلى حيرة واضطراب بين ما يعرفون من طرق العلم الصحيحة، وبين ما يقرؤون لجماعة التقريب، أو لغيرها من الجماعات المنبثَّة بأسماء مختلفة، في جهات متعددة. وبعد: فما وراءك يا عصام[1]؟!

لقد أبى الأزهر من أوَّل أمره أن يكون وطنًا للتشيُّع، وأبت مصر من قديم أن تكون صومعة تفرخ فيها النِّحَل الباطلة كالبهائيَّة، والنحل المدخولة، كالبكتاشيَّة وغيرها، فما بالها تطمئنُّ إلى تركيز دعوات الفرقة فيها على مقربة من الأزهر، وهو المهيمن على التوجيه الديني، وهو المرجع المأخوذ عنه في اطمئنان؟

ولتتذكر مصر وعلماؤها أنَّها بلد القرآن؛ حفظًا ودراسة وصيانة، وأنها بلد الأزهر، فما يليق بها أن تدع هذا الدخن يتراكم حول هذا المصباح الوضَّاء.

ولا يصدُّنا عن ذلك أن يقال: حُرِّيَّة العقيدة مصونة في الدستور، فإنَّما يعني الدستور حرية العقيدة المعترف بها في الديار لأهل الكتاب، أمَّا

(١) مثل سائر تقوله العرب عند الاستخبار.



النزعات الهدَّامة الغريبة عنا، والدعوات الشاذة المفرّقة للجماعة على حساب الدين، فباطل كلُّه، ودستور مصر يجب ألا يحمي الأباطيل، وألَّا يحتضن المفسدين»(١).

العالم الشيخ موسى بن جار الله التركستاني (ت١٣٦٩هـ):

وممَّن وعى هذه الألعوبة من غير الأزهريِّين الشيخ موسى جار الله، هذا العالم الجليل من أكبر علماء روسيا، وهو شيخ مشايخ المسلمين هناك في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفيتي: سعى هذا العالم لجمع شمل الأمة وتوحيد أهل السُّنَّة والشيعة، وبذل جهودًا عظيمة في ذلك، وبدأ بدراسة كتب الشِّيعة باهتمام، ثمَّ زار ديارهم في عام ١٣٥٣هـ وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر، يزور المشاهد والحوزات، ويحضر المحافل والمآتم في النجف وغيرها. والتقى المرجع الشِّيعي الكبير محسن الأمين العاملي في طهران، وتحاور معه، وقدّم له رسالة، وأرسل رسائل مماثلة إلى علماء النجف والكاظمية، ورجاهم ببالغ الاحترام والتقدير الإجابة على أمور خطيرة في كتب الشِّيعة تحول بين الأمة والائتلاف! ومنها: تحريف القرآن، ولعن الصحابة، والغلو بالأئمَّة، وتكفير غير الشِّيعة وغيرها.

يقول الشيخ جار الله إنه انتظر سنة وزيادة، ولم يسمع جوابًا من أحد؛ إلا من كبير مجتهدي شيعة البصرة، الَّذي أجابه بكتاب من تسعين صفحة ملؤه الطعن واللعن لجيل الصحابة الأول! ما حمل الشيخ جار الله على تأليف كتابه: «الوشيعة في نقد عقائد الشِّيعة»، قال في مقدمته إنه

(١) مقال طوائف البهائية والبكتاشية ثم جماعة التقريب، مجلة الأزهر السنة الرابعة والعشرون، الجزء الثالث، غرة ربيع الأول ١٣٧٢هـ الموافق ١٩ نوفمبر ١٩٥٢م.



«يدافع بذلك عن شرف الأمة، وحرمة الدين، ويقضي به حقوق العصر الأوَّل عليه، وعلى كل الأمة»(١).

معوقات التقارب مع الشِّيعة:

والتقريب يعني: أنَّ هناك تباعدًا بين طرفين، نريد أن نقرِّب أحدهما من الآخر، أو نُقَرِّب كل واحد منهما من صاحبه.

فعلى الساحة الفكريَّة أو العقديَّة، فإنَّ التباعد قائم؛ وخصوصًا في قضيَّة «الإمامة» فهم يرونها من أصول العقيدة وأركانها، ونحن نراها من الفروع لا من الأصول، ومن العمليات لا من العقديَّات وهي عندهم أساس المذهب كله، فهو يقوم على: الوصيَّة والإمامة، والغَيْبة والرجعة.

وغلاة الشِّيعة يذكرون أمر «الإمامة» بعبارات قويَّة، وأن من لم يؤمن بها إيمانهم، وأنَّها منصوص عليها من رسول الله ﷺ، ابتداء من عليٍّ رضي الله عنه، فالأحد عشر إمامًا من بعده: فإنَّه لا يعد مؤمنًا. ويجعلون مسألة الإمامة من ضروريات الدين، وبعضهم يجعلها من ضروريات المذهب؛ وإن كان أكثر المتقدمين يجعلها من ضروريات الدين.

بل هم في الواقع لا يقفون عند أمر الإمامة وحدها، بل يتعدونها إلى أمر «الألوهية»، فهم يرون أهل السُّنَّة غير مؤمنين بالإله الَّذي يؤمنون به، وهذه نقطة خلاف أساسيَّة أيضًا، فمن المعلوم: أن الشِّيعة يتبنون في الإلهيَّات مذهب المعتزلة، الَّذين ينفون عن الله الصفات الثبوتية، مثل: العلم، والإرادة، والقدرة، وغيرها ويقولون: هو عالم

---

(١) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله صـ٣٩، نشر سهيل أكديمي، لاهور، باكستان، ط ٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.



بذاته، ولكن ليس له صفة اسمها العلم، وقادر بذاته، ولكن ليس له صفة اسمها القدرة! إلخ[١].

والمعركة بين المعتزلة وأهل السُّنَّة محتدمة حول هذه القضيَّة، وأهل السُّنَّة يسمون المعتزلة «المعطلة» أي المعطلة لله تعالى من إثبات صفاته.

ومن المعلوم أن الشِّيعة الأولى كانوا مجسمة، والمعتزلة منزّهة، والشيعة تعتمد نصوص الأئمَّة، والمعتزلة تعتمد العقل، والشيعة يوجبون الإمامة عقلا وعصمة الأئمَّة ولا يوجبون التعبد بالقياس، ويوجبون العمل بخبر الواحد في القطعيات، وكل هذه الأصول لا تقول بها المعتزلة، وكان رؤوس الاعتزال يكفّرون الإماميَّة، لكن لما نشب الصراع بين أهل السُّنَّة والمعتزلة، وقام أبو الحسن الأشعري بنقض عقائد الاعتزال، احتاج المعتزلة لحليف سياسي بعد إقصائهم من البلاط العباسي، فتقاربوا مع الشِّيعة، وقبلت الشِّيعة؛ مستغلين الخلاف العقدي بين الأشعرية والحنبلية، فالتقارب الشِّيعي المعتزلي هو تقارب سياسي محض، ولما تبنَّى مثل أبي القاسم المرتضى[٢] بعض عقائد الاعتزال في الصفات ونحوها نتيجة

---

(١) يلتقون في أكثرها مع المعتزلة، وهناك خلاف داخلي بينهم، فبعضهم يقول بحدوث الصفات، وبعضهم يقول إنها عين ذاته، ويتفق أكثرهم مع المعتزلة في إنكار قدم الصفات. ومن أحب التفصيل في تلك المسألة وغيرها من معتقداتهم، فلينظر: مسائل الاعتقاد عند الشيعة الاثني عشرية في ضوء مصادرهم الحديثية للدكتور محمد زكريا النداف، نشر دار السلام، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) العلامة الشريف المرتضى نقيب العلوية، أبو طالب وأبو القاسم علي بن حسين بن موسى القرشي العلوي الحسيني الموسوي البغدادي، من ولد موسى الكاظم (ت٤٣٦هـ). قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٨٩/١٧): وكان من الأذكياء الأولياء، المتبحرين في الكلام والاعتزال، والأدب والشعر، لكنه إمامي جلد؛ نسأل الله العفو.



لهــذا التقارب تبعه كثير مــن الشّــيعة، وإلا فالمعتزلة تباين الشّــيعة في الأصول كالفروع.

فأهل السُنَّة جميعا يعتبرون المعتزلة «مبتدعين» في اعتقادهم. ومن المُقَرَّر: **أنَّ بدعة الأقوال أشــدُّ من بدعة الأفعال، وبدعة الاعتقاد أشدُّ من بدعة العمل**. والمبتدع يعد «فاســقًا» ولكنَّه فســق تأويل، لا فسق سلوك وعمل.

ومعنى هذا: أن الشّــيعة في نظر أهل السُنَّة مبتدعون في عقيدتهم في شأن الألوهية، ولكن الاتّجاه العام والسائد عند أهل السُنَّة: أنَّهم لا يكفِّرون المبتدعين في العقائد، فلا يكفرون المعتزلة ولا المرجئة، ولا الجبرية، بل لا يكفرون الخوارج، الَّذين صحت الأحاديث بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق الســهم من الرمية، ويبقونهم على أصل الإسلام، ما داموا يقولون: لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، ويصلون إلى القبلة.

بل وجدنا من المُحَقِّقين من علمائنا السُــنَّة: من يعــذر المجتهد إذا أخطأ، سواء في ذلك الأصول والفروع، والعقائد أو الأعمال، ما دام أهلًا للاجتهاد، وما دام هو بذل جهده، واستفرغ وسعه في تحرِّي الحق وطلبه، ولكنَّه لم يهتدِ إليه. ولكن هذا وسعه، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

بل هذا المجتهد عندهم مأجور أجرًا واحدًا، لما بذله من جهد في الطلب، والله لا يضيع أجر من أحســن عملًا، وهذا هو رأي ابن تيمية ومن وافقه.

ولكن الشِّيعة ـ ولا سيَّما المتطرفين منهم ـ لا يكتفون بـ «تبديع» أهل السُنَّة، أو«تفسيقهم» تفســيق التأويل، بل يكفرونهم ويخرجونهم من الملَّة.



يقول الشيخ **نعمة الله الجزائري** (ت١٢١٢هـ) في كتابه «الأنوار النُّعمانيَّة» ـ وهو أخباري تالف هالك ـ عن أهل السُّنَّة والجماعة: «**إنَّنا لم نجتمع معهم على إله، ولا على نبيٍّ، ولا على إمامٍ. وذلك أنَّهم يقولون: إنَّ ربَّهم هو الَّذي كان مُحَمَّدًا نبيُّه، وخليفتَه أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الربِّ، ولا بذلك النبيِّ، بل نقول: إنَّ الربَّ الَّذي خليفته أبو بكر: ليس ربَّنا، ولا ذاك النبيّ نبيّنا**»[1]!

يقول الدكتور موسى الموسوي: من أهم عناصر الخلاف الموجودة بين الشِّيعة والسنَّة هو تجريح الشِّيعة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول ﷺ وبعض أزواجه، وإذا لم يرفع هذا العائق من قائمة الخلاف فسيبقى الخلاف مستحكِمًا بين الفريقين إلى أبد الآبدين!

وهنا أيضًا يسلك زعماء المذهب طريق التقيَّة أيضًا في معالجتهم لهذا الأمر، فينسبون التجريح والسب والشتم إلى جهال الشِّيعة، في حين أنَّ كتب الرواة والمحدثين والعلماء والفقهاء من الشِّيعة الإماميَّة هي الَّتي ذكرت تلك الأقوال، ومنها تسربت إلى قلب عامَّة الشِّيعة ولسانها، فيا ترى هل تقع الملامة على الخاصَّة أم على العامَّة[2]؟!

أهل السُّنَّة مع الشِّيعة على أقسام ثلاثة:

من ينظر إلى علاقة أهل السُّنَّة من المعاصرين بالشِّيعة الإماميَّة يجدهم على ثلاثة أقسام:

---

(١) الأنوار النعمانية (١٩١/٢)، نشر دار القارئ، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي صـ٥٧، ٥٨، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.



• الطرف الأوَّل مُكَفِّرو الشِّيعة:

فالطرف الأول، هم الَّذين يكفِّرون الشِّيعة عامَّة، ويُخرجونهم من ملَّة الإسلام، وقد نقل هذا عن بعض علماء السلف، وهو اتِّجاه غالب السلفيِّين.

ولعلَّ أهمَّ مَن كتب مُعَبِّرًا عن ذلك، هو الأستاذ السيِّد مُحِبُّ الدِّين الخطيب المُؤرِّخ والمُحقِّق، وصاحب مَجَلَّتي الفتح والزهراء، اللتَيْن حملتا لواء الإصلاح في زمنهما، ورئيس تحرير صحيفة «الإخوان المسلمون» اليوميَّة، ورئيس تحرير مَجَلَّة الأزهر لعدَّة سنوات.

كتب الأستاذ الخطيب رسالته الشهيرة تحت عنوان: «الخطوط العريضة للأسس الَّتي قام عليها دين الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة»، وأثار قضايا خطيرة عن القرآن عند الشِّيعة والقول بتحريفه ونقصه، ومَن أَلَّف في ذلك من الشِّيعة، وخصوصًا كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب» أي: القرآن العظيم، للنوري الطبرسي، الَّذي احتفل الشِّيعة بوفاته احتفالًا كبيرًا، ودفنوه بالقرب من قبر الإمام عليٍّ الرضا[1]، وبيَّن موقف الشِّيعة من السُّنَّة، وموقفهم من الصحابة، ومن التقيَّة، ومن عدَّة أمور، باين فيها مذهبهم مذهب أهل السُّنَّة مباينة واضحة قاطعة.

وكُتُب مُحِبُّ الدِّين الخطيب عدَّة كتب ورسائل يدافع فيها عن الصحابة، مثل تحقيقه وتعليقه ونشره للجزء الخاصِّ بموقف الصحابة من كتاب العلامة المالكي القاضي أبي بكر ابن العربي، المعروف باسم «العواصم من القواصم». ومثل حواشيه على كتاب «المنتقى» من منهاج

(١) الصواب أنه دفن بالمشهد المرتضوي بالنجف، وقبر الرضا في قم بإيران، وفرق بين مشهد الرضا والمشهد المرتضوي.



الاعتدال للذهبي. كما كتب كتابًا سمَّاه «مع الرعيل الأوَّل»، أبرز فيه مكانة الصحابة في الدِّين وجهادهم وجهودهم في نصرة خاتم النبيِّين.

وبعد ذلك بمدَّة، ظهر كتاب العالم الباكستاني الشهير إحسان إلهي ظهير، الَّذي وسَّع ما كتبه الخطيب، ودلَّل عليه من كتب الشِّيعة، ووقف بالمرصاد لردِّ دعاوى الشِّيعة، وإبطال شبهاتهم، حتَّى انتهى به الأمر إلى اغتياله في أحد الاحتفالات، وقد اتُّهم الشِّيعة بتدبير اغتياله.

ورأيي أنَّ في هذا الموقف بعض الغلوِّ ضدَّ عموم الشِّيعة، ولا سيَّما أنَّ قضيَّة التكفير ـ بمعنى الاتِّهام بالكفر الأكبر المُخْرِجِ من الملَّة ـ قضيَّة خطيرة، وقد كتبتُ فيها من زمنٍ طويل: رسالتي «ظاهرة الغلوِّ في التكفير»، وأرى الواجب في هذا المقام وجوب التحرِّي والتدقيق والأناة وطول البحث والمشاورة، قبل الحكم على فردٍ بالكفر، فكيف بالحكم على جماعة تُعَد بعشرات الملايين؟!

وأودُّ أن أقول: إنَّ لدى الشِّيعة أيضًا غلاةً مُكَفِّرين لأهل السُّنَّة، حتَّى إنَّ منهم من كفَّر الصحابة ﵃، ومنهم من كفَّر الأُمَّة كلها إلَّا فرقتهم، كما في كتاب «الأنوار النُّعمانيَّة» للشيخ نعمة الله الموسوي الجزائري.

- **الطرف الثاني من ينظر إلى الشِّيعة من خلال مواقفهم السياسيَّة فقط:**

والطرف الثاني، المقابل لهؤلاء المُكَفِّرين الَّذين لا ينظرون إلى الشِّيعة من خلال معتقداتهم ولا أصولهم، الَّتي خالفوا بها جماهير الأُمَّة المسلمة، ولا موقفهم من القرآن والسُّنَّة والصحابة، ولا إلى قولهم بأنَّ الأئمَّة معصومون ويعلمون من الغيوب ما لا يعلمه الأنبياء، ولا إلى قولهم بأنَّ إمامة هؤلاء من أصول الدِّين، ومن أنكرها فهو كافر، ولا إلى



سلوكيَّاتهم العجيبة الَّتي تُحَيِّر الألباب، مثل إحيائهم مأساة الحسين رضي الله عنه كلَّ عام، بلطم الخدود، وضرب الصدور إلى حدِّ إسالة الدم، وشقِّ الجيوب، وقد مضى عليها أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، ومثل إيمانهم بأنَّ المهدي موجود، وأنَّه دخل سردابًا لم يخرج منه، منذ أكثر من أحد عشر قرنًا، وهو خلاف سُنَّة الله المعتادة في البشر عامَّة، وفي هذه الأُمَّة خاصَّة.

أغفل هؤلاء كلَّ ذلك ونظروا إلى الإنجازات السياسيَّة الَّتي قامت بها ثورة الإمام الخميني، وأبرز ما فيها تحدِّي أمريكا: الشيطان الأكبر، وربيبتها إسرائيل، وتزعُّم «حزب الله» الشِّيعي المقاومةَ في لبنان، وتحقيقه نصرًا عليها، بإخراجهم من جلِّ جنوب لبنان، ووقوفه ضدَّ الغارة الإسرائيليَّة على جنوب لبنان صيف سنة ٢٠٠٦م.

ومن أجل ذلك يجب أن نسكت عن مذهبهم وعن معتقداتهم، وعن خططهم لغزو المجتمعات السنية، وما رُصد لذلك من ملايين؛ بل بلايين، وما أُعد لذلك من رجال قادرين على النزال، في حين ليس لدى أهل السُّنَّة أيَّ دفاع، وعلماؤهم لم يُحصِّنوهم بأيِّ ثقافة واقية، وتركوا صدورهم عارية؛ لأيِّ سهام توجَّه إليهم من يمين أو شمال.

وأرى هنا ضرورة التفريق بين الموقف السياسي والمذهب العقائدي، فنحن نشترك معهم في الموقف المُعْلَن من العدوان الصهيوني والأمريكي على الأُمَّة، ولقد ناصرت حزب الله في حربه مع إسرائيل، ورددتُ على العالم السعودي الكبير الشيخ ابن جِبْرين في فتواه عن مناصرة حزب الله في حربه مع إسرائيل، في حلقة كاملة من حلقات «الشريعة والحياة».

ولكن يبقى تحفُّظنا على المذهب قائمًا، ويبقى موقفنا من أصوله



واضحًا، ويبقى موقفنا من نشـــر المذهب في ديارنا السُّـــنِّيَّة ومجتمعاتنا المسالمة جليًّا وثابتًا.

• **الطرف الثالث فئة الوسط:**

وبين الطرفين المذكورين تقوم الفئة الوســط، الَّتي تعارض الشِّيعة فيما تختصُّ بـــه من معتقدات وأصول، وما تتفرَّد بها من ســـلوكيَّات أو شعائر؛ مثل الشــــهادات الثلاث في الأذان، ومثل إحياء البلوى بمصيبة الحســـين كل عام؛ مع أن الفقهاء يرون أنه لا عزاء بعد ثلاثة أيَّام! ولكن هؤلاء لا يصلون بالشِّـــيعة إلى حدِّ الكفر البـــواح، أو الكفر الأكبر، إلَّا ما لا يحتمل التأويل ويقطع بكفر صاحبه.

وأنا من هؤلاء الَّذين لا يُكَفِّرون عموم الشِّيعة، ولكن يخالفونهم في جملة قضايا أساسيَّة.

فرق واضح بين مذهب السُّنَّة ومذهب الشِّيعة الاثني عشريَّة

هناك من الشِّـــيعة من لا نرى بيننا وبينهم فرقًـــا كبيرًا، لا في أصول العقائد ولا فـــي الفروع، مثل جُلِّ الشِّـــيعة الزيديَّة، الَّذين يعيشـــون في اليمن، والَّذين يعترفون بكتب أهل السُّـــنَّة، مثل البخاري ومسلم وبقيَّة الكتب السِّـــتَّة، والموطَّأ ومسند أحمد، وســـائر دواوين كتب الحديث. وبعض كتبهم لا تختلـــف عن كتبنا فـــي المصادر وفـــي الاتِّجاه، مثل «الروض النضير» في شـــرح مجموع الإمام زيد رضي الله عنه . وقد يوجد خلاف في بعض فروع العقيدة، مثل بعض ما يوجد بين السُّنَّة والمعتزلة، ولكنَّ الزيديَّـــة يترضَّون عـــن الصحابـــة، ويؤمنون بـــأنَّ القرآن لا زيـــادة فيه ولا نقصان! إلخ.



ولكن الخــلاف في هذا المجال هو بين السُــنَّة والشِّــيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة.

أمَّا في الأمور الفقهيَّة والأحكام الفرعيَّة، فلا شكَّ أنَّ الخلاف أقلُّ؛ وإن كان هناك أشــياء عمليَّة منكرة عند الشِّيعة مثل الشهادات الثلاث في الأذان، بزيادة: وأشهد أنَّ عليًّا وليُّ الله! وإن كان علماؤهم يقولون بأنَّها زيادة منكرة عندهم، ولا أصل لها في فقههم، وإنَّما تركوها خشية هياج العوامِّ!

إنَّما الخلاف الحقيقي بين المذهبَيْن هو في الأصول لا الفروع، في المبادئ لا في التفصيلات. ولذا كان العنوان الأوضح لهذا الخلاف: أنَّه بين فِرْقَتَيْن: أهل السُنَّة والجماعة من جانب، والشيعة الإماميَّة من جانب، وليس بين مذهبَيْن فقهيَّيْن.

نعم هناك في الشِّيعة في العراق وإيران تيار إصلاحي في التقارب مع الســنة لكنَّه ضعيف، ومن الواجب على أهل السُــنَّة التقارب مع عقلاء الشِّيعة الإصلاحيِّين لقطع الطريق على الغُلاة.

من القضايا الأساسيَّة الَّتي يختلف فيها السُّنَّة والشِّيعة:

لا بدَّ أن نبدأ أوَّلًا بتحديد جملة الأركان والمعتقدات الأساسيَّة، الَّتي يقوم عليها مذهب الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة، الَّذين اعتبرناهم العمدة والأساس الركني لهؤلاء الشِّيعة في العالم اليوم.

فلا بدَّ أن نعلم أن الَّذي يخالف فيه الشِّــيعة الإماميَّة الاثنا عشريَّة، ليســت هي الفروع الفقهيَّــة، وإن كان أصــل نظرتنا إلى الفقه ليســت كنظرتهم!



وممَّا نخالفهم فيه من الأصول:

- **موقفهم من القرآن:**

فلديهم مَن يقول: إنَّ هناك آيات قد حذفت من هذا القرآن؛ سيأتي بها المهديُّ عند ظهوره! وإن كان كثير من مشايخهم يقولون: إنَّهم لا يؤمنون بذلك، ولكنَّهم لا يكفِّرون مَن قال به، وهو خلاف موقفنا أهل السُّنَّة؛ فمن يقول بالنقصان أو الزيادة في القرآن فهو كافرٌ بلا ريب!

ثمَّ إنَّ هذه الأقوال موجودة في كتبهم المعتمدة، مثل «الكافي» الَّذي هو كالبخاري عندنا، وهذه الكتب تُطْبع وتترجم، وتنشر وتوزع في العالم على نطاق واسع، دون تعليق عليها أو نقد لها. وقد قيل: الساكت عن الحقِّ كالناطق بالباطل!

- **موقفهم من السُّنَّة:**

وكذلك موقفهم من السُّنَّة، فنحن عندنا: السُّنَّة هي سنة مُحَمَّد رسول الله ﷺ. وهو الَّذي خصَّه الله بالعصمة، وأمر الأُمَّة بطاعته بجوار طاعته عز وجل.

ولكن عند الشِّيعة: السُّنَّة سُنَّة الرسول ﷺ، والمعصومين، أي سنة الرسول ﷺ، والأئمَّة الاثني عشر، أو الأحد عشر. فهؤلاء يجب أن يطاعوا، كما يطاع الله تعالى ورسوله المؤيد بالوحي. فقد أضافوا إلى ما أمر به القرآن من طاعة الله ورسوله، طاعة مخلوقين لم يأمر الله بطاعتهم! فضلًا عما نأخذه عليهم من الأخذ عن غير الثقات المشهورين بالعدالة وتمام الضبط.



- **موقفهم من الصحابة:**

الموقف من الصحابة: وهو موقف مبدئي وأساسي عند الشِّيعة، وهو فرع عن أصل ثابت، ونتيجة لمقدمة مسلمة. هذا الأصل أو المقدمة عندهم: أن الرسول ﷺ نص على أن يخلفه عليٌّ، وأن الصحابة أخفوا هذه الوصية، وغصبوا عليًّا حقَّه جهارًا نهارًا، وخانوا رسولهم الَّذي هداهم الله به، وعاشوا حياتهم في نصرته، وفدَوه بأرواحهم، وما ملكت أيديهم!

- **موقفهم من الإمامة:**

وممَّا يخالف فيه الشِّيعة الإماميَّة الاثنا عشريَّة: اعتبارهم إمامة سيِّدنا عليٍّ وبنيه من ذريَّة الحُسَيْن، من أصول الإيمان، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ فلا يصحُّ إيمانُ مسلمٍ ولا يُقبل عند الله تعالى، إذا لم يؤمن بأنَّ عليًّا خليفةٌ منصوص عليه من الله تبارك وتعالى، وكذلك الأحد عشر إمامًا من ذريته. ومن أنكر ذلك أو شكَّ فيه فهو كافرٌ مُخَلَّد في النَّار. وهذا ما نصُّوا عليه في رواياتهم المستفيضة في «الكافي» وغيره، وما نصَّت عليه كتب عقائدهم.

- **غُلُوِّهم في آل البيت:**

إن ممَّا سيطر على مفاهيم الشِّيعة الاثني عشريَّة فكرة «التقديسات» الكثيرة، والمبالغة الَّتي ابتليت بها أديان ونِحل كثيرة: وثنية، وكتابية؛ حتَّى تضخمت وتجسَّمت، وتجاوزت بها الحدود المعقولة، فلم تعد تُطاق من ناحية الواقع، ولم يعد حتَّى في الإمكان تصوّرها، وبذلك فاقت الخيال! ومن ذلك غلوهم في آل البيت.

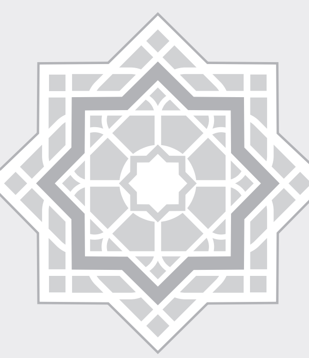


موقفهم من التقيَّة:

وممَّا يُؤخذ على المذهب الشِّـيعي في السلوك: اتِّخاذه «التقيَّة» مبدأ وأساسًا في السلوك والتعامل مع الناس. فهم يتديَّنون بهذا: أن يُظهر الشِّيعي غير ما يبطنه، وأن يكون له وجهان يلقى بأحدهما بعض الناس، ويلقى آخرين بالوجه الآخر، وله كذلك لسانان. وهم يستدلون على هذا بقول الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وواضحٌ أنَّ الآية تستثني حالة الضرورة الَّتي يلجأ فيها المسلم إلى مثل هذا الموقف، فرارًا من الهلكة، أو من ضرر كبير يحيق به، فهي حالة استثنائية أشبه بقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

* * *



الفصل الأوَّل

موقف الشِّيعة الاثني عشريَّة من القرآن الكريم





موقف الشِّيعة الاثني عشريَّة من القرآن الكريم

مكانة القرآن الكريم:

أكرمنا ربُّنا ـ نحن المسلمين ـ بخير كتابٍ أُنزل، وهو القرآن العظيم: الَّذي حوى جوامع الكلم، وجواهر الحِكم، وبدائع التشريع، وروائع التوجيه، وحقائق الوجود، ورواسي العقائد، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب؛ ما لم يرَ البشر مثله مجموعًا بين دفَّتي كتاب! هدى الله به من الضلالة، وأنقذ به من الجهالة.

ونحن المسلمين ـ وحدنا ـ الَّذين نملك الوثيقة السماوية الفذة، الَّتي تحمل كلمات الله الأخيرة لهداية البشرية، محفوظة من كل تبديل أو تحريف: لفظي أو معنوي، فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وذلك أن الله تعالى تكفَّل بحفظه من كلِّ تبديل وتحريف، ولم يكله إلى أحد من خلقه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وكان وعد ربِّي حقًّا؛ فلم يزل هذا الكتاب محفوظا في الصدور، متلوًّا بالألسنة، مكتوبًا في المصاحف، متعبَّدا بتلاوته في الصلوات وخارجها، في المساجد والمنازل، في السفر والحضر، حتَّى إن عشرات الألوف من المسلمين يحفظونه عن ظهر قلب، ومنهم صبيان لم يبلغوا العاشرة من عمرهم، ومنهم أعاجم، لا يُسقطون منه كلمة، ولا يخرمون



منه حرفًا، وهم لا يفهمون من العربيَّة شيئًا، وهذا من خصائص هذا الكتاب العزيز.

من خصائص القرآن الكريم:

ومن خصائص القرآن الكريم أنَّه:

• **إلهي المصدر**، لفظًا ومعنى، أوحاه الله إلى رسوله ونبيِّه مُحَمَّد ﷺ بطريق الوحي الجلي؛ وهو نزول «الرسول الملكي» جبريل على «الرسول البشري» مُحَمَّد، وليس بطرق الوحي الأخرى، من الإلهام أو النَّفْث في الرُّوع، ومن الرؤيا الصادقة، أو غيرها.

يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال سبحانه يخاطب رسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]، وقال: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٠٥].

• **كتاب هداية ونور**، أنزل الله هذا القرآن ليهدي البشريَّة إلى أفضل غاية، وإلى أقوم طريق. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال سبحانه: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فالقرآن «نور» من الله لعباده إلى جوار نور الفطرة والعقل ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]. وقد وصف الله القرآن بأنه «نور» في آيات كثيرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]، ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا﴾ [التغابن: ٨]، ووصف الصحابة بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧].



وهو ما عبر عنه البوصيري رَحِمَهُ اللَّهُ في لاميته فقال:

اللهُ أكبـرُ إنَّ ديـنَ مُحمَّـدٍ وكتابَه أهـدى وأقـومُ قِيلَا

لا تذكرِ الكُتبَ السوالفَ عندَه طلع الصباحُ فأطْفِئِ القِنْدِيلَا[(١)]

• **كتاب مُبِين**، ميسَّـر للذكر والفَهم، ليس ككتب الفلاسـفة المليئة بالغموض والألغاز، ولذا وصفه مُنزله الجليل بقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]. وبهذا يسَّره للفَهم والذكر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخـان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

• **كتاب معجز**، تَحـدَّى الله تعالى العرب أن يأتـوا بكتاب مثله، أو بسـورة من مثله، فعجزوا وانقطعوا، وحقَّت عليهـم كلمة الله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن أعظـم وجوه إعجاز القـرآن: روعة نظمه، وإبـداع بلاغته، الَّتي بهرت العرب مؤمنهم وكافرهم، حتَّى قال بعض المشركين في شأن القرآن: إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمُغْدِق[(٢)].

• **كتاب عالمـي**، فكما أنَّه كتاب الزمن كلِّه، هـو كتاب العالَم كلِّه، فليس كتاب العرب وحدهم، وإن نزل بلغتهم! وليس كتاب أهل الشرق وحدهم، وإن بُعث الرسول من بينهم!

---

(١) من لامية البوصيري، ومطلعها: جاء المسيحُ من الإله رسولاً. انظر: المجموعة النبهانية في المدائح النبوية لإسماعيل النبهاني (١٨٣/٣)، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٢٠هـ.

(٢) رواه الحاكم في التفسير (٥٠٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، والبيهقي في دلائل النبوة (١٩٨/٢)، وجوّد إسناده العراقي في تخريج الإحياء صـ٣٢٤، عن ابن عباس.



إنَّه كتاب ربِّ العالمين، لكلِّ العالمين، عربًا وعجمًا، شرقًا وغربًا، بيضًا وسُودًا وصفرًا، حكَّامًا ومحكومين، أغنياء وفقراء؛ فهو كتاب كلِّ الأجناس، وكلِّ الألوان، وكلِّ الأوطان، وكلِّ الألسنة، وكلِّ الطبقات.

يقول منزله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]. فغايته إخراج النَّاس كلِّ النَّاس من ظلمات الشِّرك والضَّلال والغَيِّ والانحراف، إلى نور التوحيد والهُدى والرُّشد والاستقامة.

• **كتاب معصوم،** ومن نعم الله على أمَّة الإسلام: أنَّها الأمَّة الوحيدة الَّتي تملك مصدرا إلهيًّا معصومًا، لم تخالطه أهواء البشر، ولا أوهام البشر، ولا انحرافات البشر، بل بقي مصونًا كما أنزله الله تعالى، حتَّى إن المسلمين ليتلونه كما كان النبي ﷺ وأصحابه يتلونه بغَنِّه ومدِّه، وحركاته وسكناته. ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ولم يوجد في الدُّنيا كتاب ديني أو دنيوي حفظ من التحريف والتبديل، كما حُفظ هذا القرآن، وإنَّ أحدًا لا يستطيع أن يزيد فيه حرفًا أو يخرم منه حرفًا.

آياته تُتْلى وتُسْمع وتُحْفظ وتُشْرح، كما أنزلها الله على محمَّد ﷺ بواسطة الرُّوح الأمين. ولقد اشتمل على مائة وأربع عشرة سورة (١١٤) ابتدأت كلُّها بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) إلَّا سورة واحدة منها: سورة التوبة، فجاءت خالية منها، فلم يجترئ أحد أن يزيد هذه البسملة في مطلع السورة لا خطًّا ولا لفظًا؛ لأنَّه لا مجال للرأي في القرآن.



لقد بلغ من اهتمام المسلمين بالقرآن أن عدُّوا آياته، بل كلماته، بل حروفه، فكيف يستطيع امرؤ أن يزيد أو ينقص في كتاب أُحصيت كلماته وحروفه؟!

كما أن المسلمين سلفهم وخلفهم أبَوا إلا أن يُبقوا على صورة المصحف كما كُتب في عهد عثمان الخليفة الثالث ﵁، واتفاق الصحابة عليه، فلم يغيِّروا فيه إلا ما اقْتَضته الضرورة من النَّقْط والشَّكْل، ثمَّ بقيت صورة الكلمات على ما كُتبت عليه أوَّلًا، بالرغم من تطوُّر قواعد الرسم والإملاء.

ولم يعرف في الدُّنيا كتاب يحفظه الألوف وعشرات الألوف؛ بل مئات الألوف؛ بل الملايين عن ظهر قلب، إلَّا القرآن الَّذي يسَّره الله للذكر والحفظ، فلا عجب أن نجد من الرجال والنساء من جمعه في قلبه ووعاه، كما حفظه كثير من صبيان المسلمين، لا يضيعون منه حرفًا، وكثير من الأعاجم غير العرب، لا يسقطون منه كلمة واحدة، وأحدهم لو سألته بالعربيَّة عن اسمه لم يجبك! فهو يحفظ كتاب ربِّه تعبُّدًا وتقرُّبًا إليه سبحانه، وإن لم يفهم ما يقرأ ويحفظ، لأنَّه بغير لغته.

ولم تُحفظ معاني القرآن وكلماته وألفاظه فحسب، بل طريقة أدائه ومخارج حروفه، وأنشؤوا له علما يضبط أداءه، ويحفظ نظامه الصوتي، وهو «علم مخارج الحروف»، وما ينبغي له من مدٍّ وغنٍّ، وإظهار وإدغام، وإخفاء وإقلاب، وهو ما قام به علم خاصٌّ سُمِّيَ علم «تجويد القرآن». وكثيرٌ منا حفظ متنًا في التجويد وفهمه، وهو في الكُتَّاب.

حتَّى رسم المصحف بقي يُرسم ويُطبع إلى اليوم، كما رسم في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﵁، رغم تطور قواعد الرسم والإملاء، ولم تجرؤ حكومة مسلمة ولا مجمع علمي إلى اليوم، على أن يغيِّر من



طريقة رسمه، وأن يُطبِّق عليه من قواعد الإملاء ما يطبَّق على سائر ما يكتب ويطبع من كتب ورسائل، ومجلات وصحف وغيرها.

• **كتاب محفوظ**، وهو كتاب محفوظ كما وعد سبحانه؛ لأنَّه آخر الكتب، كما أنَّ مَن أُنزل عليه هو آخر الرسل، فليس هو كتاب جيل أو عدَّة أجيال، ولا كتاب عصر أو جملة أعصار؛ بل هو كتاب الزمن كلِّه، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

فالقرآن هو المصدر الأوَّل لهذه الملَّة، والمنْبع الأوَّل عند هذه الأمَّة للعقيدة والشريعة والسلوك، تكفَّل الله بحفظه وصيانته، فلا يُحرَّف ولا يتبدل، وليس هناك كتاب في الدُّنيا خُدم كما خُدم القرآن الكريم.

حفظ الله تعالى للقرآن:

تولى الله تعالى حفظه بنفسه، ولم يَكِل حفظه إلى أحد، كما فعل مع الكتب المقدَّسة الأخرى، الَّتي استحفظها أهلها، كما قال تعالى: ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ومعنى حفظ القرآن: صيانته من كل تحريف وتبديل تتعرض لهما النصوص، كما تعرضت التوراة والإنجيل، من قبل.

أمَّا التوراة، فقد كانت ألواحًا مكتوبة في السطور، ولم تكن محفوظة في الصدور، فلما تعرضت النسخ المكتوبة للإحراق والضياع، عند غزو البابليين بقيادة (نبوخذ نصر) لبني إسرائيل، الَّذين ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ٥]. ولم يكن في القوم من يحفظ الكتاب كله! فكتبوا منه نسخة لفَّقوها من هنا وهناك، وقالوا: هذا من عند الله، كتبها «عزرا» الوراق، دون أصل يرجع إليه، وربما ساعده غيره.



وقد أثبت علماء المسلمين ـ من قديم ـ تحريف التوراة، من عهد كتاب «الملل والنِّحَل» لابن حزم وقبل ذلك؛ إلى عهد الشيخ رحمة الله الهندي صاحب «إظهار الحقِّ»، وأكَّد ذلك البحث العلمي في عصرنا.

والواقع أنَّ الدارس للعهد القديم يجد فيه تيارات عديدة شنيعة، منها: تشويه صورة الذات الإلهيَّة، وتلويث الأنبياء، ومجافاة العقل السليم، ومناقضة العلم الصحيح، والتناقضات العديدة بين أسفار العهد القديم، بل بين إصحاحات السفر الواحد. هذا إلى جانب التعصب الأعمى لشعب بني إسرائيل، ما يجعلنا لا نمنحه أي ثقة، ولا نضفي عليه أي تصديق[1].

وهذا يتَّفق مع ما انتهى إليه الغربيُّون من بحوث جادَّة حول الموضوع، فقد أثبتت الدراسات الحديثة للغربيِّين أنفسهم بالأدلَّة العلميَّة تحريف التَّوراة، وأنَّ فيها نصوصًا لا يمكن أن تكون ممَّا أنزله الله على موسى. فقد كتب إسبينوزا: الفيلسوف اليهودي المتحرر نقدًا قويًّا للعهد القديم، أثبت فيه عدم صحة نسبته لمن نسب إليهم من الأنبياء، وبخاصَّة التوراة، حيث أثبت بالدليل القاطع أنَّها كتبت بعد موسى بمئات السنين، وذلك في كتابه القيم: «رسالة في اللاهوت والسياسة».

وأمَّا الإنجيل، فيبدو أنه قد فُقد بعد المسيح عيسى بزمن قصير، ولم يعد يُعرف عنه شيء، كل ما يعرفه النَّاس هو «الأناجيل» المنسوبة إلى أصحابها. والمعروف منها الآن أربعة، لمَتَّى ومرقص ولوقا ويوحنَّا، وهذه الأربعة اختيرت من بين حوالي سبعين إنجيلًا، حُكم بتحريم قراءتها؛ بل بإتلافها.

(١) مقدمة د. علي عبد العظيم لكتاب د. بدران عن التوراة: العقل العلم التاريخ صـ٧، ٨، نشر دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.



وهذه الأناجيل لا تخرج عن كونها سيرة للمسيح، مشتملة على بعض مواعظه وأقواله، وهي مختلفة متناقضة فيما بين بعضها وبعض، بل كل إنجيل منها مُتناقض في نفسه.

وقد اختلف في تاريخ تأليف هذه الأناجيل، وفي اللُّغة الَّتي كُتِبَت بها أساسًا، والتي تُرْجِمَت إليها، وشكَّك الدارسون المُحقِّقون في صحَّة نسبتها إلى مؤلِّفيها. ونقل الشيخ رشيد رضا في «مجلة المنار» عن دائرة المعارف الفرنسيَّة: أنَّ الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النَّصارى لم تظهر إلَّا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح.

وقرَّر الأب عبد الواحد داود، المطران المسيحي الآشوري، الَّذي اعتنق الإسلام، في كتابه «الإنجيل والصليب» أنَّ الأناجيل المعتبرة الآن لم تكن معترفًا بها قبل القرن الرابع الميلادي[1].

وهذا الَّذي حدث للتوراة وللإنجيل من تحريف وتبديل وتضييع، ناشئ من أن الله تعالى لم يتكفَّل بحفظهما، بل وكَل ذلك إلى أهلهما؛ لأن كلًّا منهما كتاب موقوت، لرسالة موقوتة، لقوم مخصوصين. وهذا بخلاف رسالة الإسلام العامَّة والخالدة والدائمة، فهي تقتضي حفظ مصادرها من أن تمتد إليها يد التغيير.

---

(١) انظر: النصرانية والإسلام للمستشار محمد إسماعيل محمد الطهطاوي صـ١٤ ـ ٢٦، نشر دار الأنصار، القاهرة، والكتب المقدسة بين الصحة والتحريف للدكتور يحيى محمد ربيع صـ١١٥ ـ ١٨٥، فصل: سند الأناجيل، نشر دار الوفاء، مصر، ومحاضرات في النصرانية للعلامة الشيخ محمد أبو زهرة صـ٤٥، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٦م، والأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد وافي صـ٥٣ وما بعدها، فصل أسفار الديانة المسيحية، نشر نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.



ومن أجل هذا تكفَّل الله تعالى بحفظ هذا القرآن، ووعد بذلك وعدًا مؤكَّدًا، بقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والصيغةُ تدلُّ على التَّأكيد من عدَّة أوجه، يعرفها دارسو العربيَّة، منها: اسمية الجملة، وتأكيدها بحرف «إن»، ودخول اللام المؤكدة على الخبر «لحافظون».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ومن دلائل ذلك: أن أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمن مرَّت على نزول هذا القرآن، ولم يزل كما أنزله الله، وكما بلَّغه مُحَمَّد ﷺ، وكما تلقَّاه أصحابه، ومَن بعدهم، جيلًا إثر جيل، محفوظًا في الصدور، متلوًّا بالألسنة، مكتوبًا في المصاحف، يستظهره عشرات الألوف، بل الملايين من أبناء المسلمين، حتَّى الصبيان منهم، بل حتَّى الأعاجم الَّذين لا يعرفون لغته.

قول الباقلَّاني:

وأود هنا أن أنقل ما قاله الإمام الباقلاني في كتابه: «الانتصار للقرآن»، وهو يستعرض أدلة صحَّة نقل القرآن، وسلامة تأليفه وترتيبه، فقال: «وممَّا يدلُّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]. وقد ثبت بإجماع الأُمَّة منَّا ومنهم [يعني: السُّنَّة والشِّيعة] أن الله تعالى لم يُرِد بهاتين الآيتين أنه تعالى يحفظ القرآن على نفسه ولنفسه، وأنَّه يجمعه لنفسه وأهل سماواته دون أهل أرضه، وأنَّه إنَّما عنى بذلك أنه يحفظه



على المكلَّفين، للعمل بموجبه، والمصير إلـى مقتضاه ومتضمَّنه، وأنَّه يجمعه لهم فيكون محفوظًا عندهم، ومجموعًا لهم دونه، ومحروسًا من وجوه الخطأ والغلط والتخليط والالتباس.

وإذا كان ذلك كذلـك، وجب بهاتيـن الآيتين القطـع على صحة مصحف الجماعة [يعنـي مصحف عثمان الَّذي اجتمعـت عليه الأمة]، وسلامته من كل فساد ولبس؛ لأنَّه لو كان مُغيَّرًا أو مُبدَّلًا أو منقوصًا منه، أو مزيدًا فيـه، ومرتَّبًا على غير ما رتَّبه الله سـبحانه، لكان غير محفوظ علينا، ولا مجموع لنا! وكيف يسوغ لمسلم أن يقول بتفريق ما ضمن الله جمعه، وتضييع ما أخبر بحفظه له!»[1].

شهادة الفخر الرازي:

وقال الفخر الرازي: «في قولـه تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، يعني: وإنَّا نحفظ ذلك الذكر من التَّحريف والزيـادة والنقصان. ونظيره قوله تعالى في صفـة القـرآن: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢]، وقوله: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢]. وقال بعضهم: المراد بالحفظ هو أنَّ أحدًا لو حاول تغييره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا: هذا كذب وتغيير لكلام الله تعالى؛ حتَّى إن الشيخ المهيب لو اتفق له لحـن أو هفوة في حرف مـن كتاب الله تعالـى لقال له كل الصبيان: أخطأت أيها الشـيخ، وصوابه كذا وكذا، فهـذا هو المراد من قوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

(١) الانتصار للقرآن للباقلاني (١٣١/١)، تحقيق د. محمد عصام القضاة، نشر دار الفتح، عَمَّان، ودار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

واعلم أنه لم يتفق لشـــيء من الكتب مثل هذا الحفظ، فإنَّه لا كتاب إلا وقد دخله التَّصحيف والتحريف والتغييــر، إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتــاب مصونًا عن جميع جهــات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصــارى متوفِّرة على إبطاله وإفســاده من أعظم المعجزات»[١].

ولقد أورث الله قلب كل مؤمن غيرة عليه، فلا نرى أحدًا يتسامح في لحنةِ لاحنٍ فيه، ولو كان شيخًا عظيمًا، بل يسارع إلى رَدِّه إلى الصواب، ولا يخاف في الله لومةَ لائم.

قول صاحب الظلال:

ويقول شهيد الإسلام الأستاذ سيِّد قُطب: «ونحن ننظر اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر؛ فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربَّانيَّة هذا الكتاب ـ إلى جانب غيرها من الشـــواهد الكثيرة ـ ونرى أنَّ الأحوال والظروف والملابسات والعوامل الَّتي تقلبت على هذا الكتاب في خلال هذه القرون ما كان يمكن أن تتركــه مصُونًا محفوظًا لا تتبدل فيه كلمة، ولا تُحرَّف فيه جملة، لــولا أنَّ هنالك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابســات والعوامل، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل، وتصونه من العبث والتحريف.

لقد جاء على هذا القرآن زمان في أيَّام الفتن الأولى كثرت فيه الفرق، وكثر فيه النزاع، وطمَّت فيه الفتن، وتماوجت فيه الأحداث، وراحت كل فرقة تبحث لها عن ســند في هذا القرآن، وفي حديث رســول الله ﷺ،

---

(١) تفسير الرازي (١٩/١٢٣، ١٢٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.



ودخل في هــذه الفتن وســاقها أعداء هــذا الدين الأصلاء مــن اليهود ـ خاصَّة ـ ثمَّ من «القوميِّين» دعاة «القوميَّة» الَّذين تَسَمَّوا بالشُّعوبيِّين!

ولقد أدخلت هــذه الفرق على حديث رســول الله ﷺ ما احتاج إلى جهد عشرات العلماء الأتقياء الأذكياء، عشراتٍ من السنين، لتحرير سُنَّة رســول الله ﷺ، وغربلتها، وتنقيتها من كل دخيل عليها من كيد أولئك الكائدين لهذا الدِّين.

كما اســتطاعت هذه الفرق في تلك الفتن أن تُؤوِّل معاني النُّصوص القرآنيَّة، وأن تحاول أن تلوي هذه النصوص لتشهد لها بما تريد تقريره من الأحكام والاتِّجاهات!

ولكنها عجزت جميعًا ـ وفي أشدِّ أوقات الفتن حلوكة واضطرابًا ـ أن تُحَدِّث حدثًا واحدًا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ؛ وبقيت نصوصه كما أنزلها الله؛ حجَّة باقية علــى كلِّ مُحرِّف وكلِّ مُــؤَوِّل، وحُجَّة باقية كذلك على ربَّانيَّة هذا الذكر المحفوظ.

ثمَّ جاء على المســلمين زمان ما نزال نعانيه، ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم، وعن حماية عقيدتهم، وعن حماية نظامهم، وعن حماية أرضهم، وعن حماية أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم؛ وحتَّــى عن حماية عقولهم وإدراكهم! وغيَّر عليهم أعداؤهم الغالبــون كل معروف عندهم، وأحلُّوا مكانه كلَّ مُنْكر فيهم! وأصبح «المســلمون» بالأسماء وحدها مسلمين! ليس لهم من هذا الدين قليل ولا كثير، وباتوا غثاء كغثاء السيل لا يمنع ولا يدفع، ولا يصلح لشيءٍ إلَّا أن يكون وقودًا للنار! وهو وقود هزيل! ولكن أعداء هذا الدين ـ بعد هذا كله ـ لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتــاب ولا تحريفها. ولم يكونوا فــي هذا من الزاهديــن؛ فلقد كانوا



أحرصَ النَّاس على بلوغ هذا الهدف لو كان يُبلغ، وعلى نَيْل هذه الأُمْنِية لو كانت تُنال!

ولكنَّهم لم يقدروا على شيءٍ واحد، والظروف الظاهريَّة كلها مهيَّأة له؛ لم يقدروا على إحداث شيء في هذا الكتاب المحفوظ، الَّذي لا حماية له من أهله المنتسبين إليه، وهم بعد أن نبذوه وراء ظهورهم غثاء كغثاء السيل لا يدفع ولا يمنع؛ فدلَّ هذا مرَّة أخرى على ربَّانيَّة هذا الكتاب، وشهدت هذه المعجزة الباهرة بأنَّه حقًّا تنزيلٌ من عزيزٍ حكيم»[١].

والحقُّ أن ما ذكرناه من حفظ القرآن من الزيادة فيه والنقصان، وأن القرآن المحفوظ في الصُّدور، المتلوَّ بالألسنة، المكتوبَ في المصاحف، الَّذي يحفظه الآلاف، بل عشرات الآلاف، بل مئات الألوف، بل الملايين، هو القرآن الَّذي تعهَّد الله بحفظه، والمتواتر بنقل الكافة عن الكافة، إلى رسول الله ﷺ، إلى جبريل عليه السلام، إلى رب العزة سبحانه وتعالى، لا ينقص منه حرف ولا يزيد؛ هو قول الأُمَّة كافَّة؛ لكنْ لبعض الشِّيعة رأيٌ آخر، يخالفون به إجماع الأُمَّة، وينقضون به الأصل الأوَّل الَّذي انبنى عليه هذا الدِّين، وقامت عليه هذه الأُمَّة.

موقف الشِّيعة من القرآن الكريم:

ومع أنَّنا نرى أنَّ هذا المصحف المعروف عند أهل السُّنَّة هو نفسه الَّذي تطبعه مطابع الشِّيعة في إيران والعراق ولبنان، كما يطبع في مكة والمدينة والقاهرة، وهو الَّذي تذيعه إذاعاتهم المسموعة وقنواتهم

(١) في ظلال القرآن (٢١٢٧/٤ ـ ٢١٢٩)، نشر مكتبة الشروق، مصر، ط ٣٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.



المرئيَّة؛ إلَّا أنَّ لديهم مَن يقول بوقوع التَّحريف، والنقص في المصحف الشريف، وأنَّ هذا القرآن لا يحوي كلَّ ما أُنزل من الوحي، فهناك أشياء حُذفت منه، سيأتي بها المهدي عند ظهوره!

وعلى الرغم من أنَّ هناك أصواتًا من مشايخهم تقول: إنَّهم لا يؤمنون بهذا القول؛ ولكنَّهم مع ذلك لا يكفِّرون مَن قال به، بل يقولون بإمامته، وهو خلاف موقفنا أهل السُّـنَّة؛ فمن يقول عندنا بالنقصان أو الزيادة في القرآن فهو مكذِّب لآيات الكتاب، ولوعد الله تعالى بحفظ قرآنه أن تمتدَّ إليه يد آثمة بالتحريف أو التغيير، والقائل بذلك عندنا كافر بلا ريب!

وأقوالهم ورواياتهم هـذه موجودة في كتبهم المعتمـدة الَّتي تطبع وتترجم، وتنشر وتوزَّع في العالم على نطاق واسع، دون تعليق عليها، أو نقد لها. وقد قيل: الساكت عن الحق، كالناطق بالباطل!

القول بتحريف القرآن هو قول معظم علماء الشِّيعة الاثني عشريَّة:

والقول بنقص القرآن الكريـم الَّذي بين أيدينا، وأنَّه لم يسـلم من التغيير والتحريف، هو قول طائفة من علماء الشِّيعة، وقد ذكر هذا الرأي وجلَّاه بوضوح السـيِّد الطيب الموسـوي الجزائري في تقديمه لتحقيقه «تفسـير القمي» حيث قال: «هذا التفسـير كغيره من التفاسير القديمة، يشـتمل على روايات مفادها أن المصحف الَّذي بين أيدينا لم يسلم من التحريف والتغيير». ثمَّ قال: «وأما الخاصَّة [يعني هنا: السنة] فقد تسالموا على عدم الزيادة في القرآن، بل ادُّعِـيَ الإجماع عليه، أما النقيصة، فقد ذهب جماعة من علماء الإماميَّة إلى عدمها أيضًا، وأنكروها غاية الإنكار، كالصدوق، والسـيد مُرتضى، وأبو عليٍّ الطبرسـي في «مجمع البيان»، والشيخ الطوسي في «التبيان».



ولكن الظاهر من كلمات غيرهـــم من العلماء والمحدثين المتقدِّمين منهم والمتأخريـــن القول بالنقيصـــة، كالكُلَيْني، والبرقي، والعياشـــي، والنعماني، وفرات ابن إبراهيم، وأحمد بن أبي طالب الطبرسي صاحب «الاحتجاج»، والمجلسي، والســيد الجزائري، والحر العاملي، والعلامة الفتوني، والســيد البحراني، وقد تمســكوا في إثبات مذهبهم بالآيات والروايات الَّتـــي لا يمكن الإغماض عنهـــا. والَّذي يهـــوِّن الخطب أن التحريف اللازم على قولهم يسيرٌ جدًّا مخصوصٌ بآيات الولاية»[1].

وهكذا نرى أن الطَّيِّب الموســـوي لم يســـتطع أن ينكـــر أن جموع محدِّثي الشِّيعة ومفسريهم تقول بنقص القرآن الَّذي بين أيدينا، وأن الَّذي قال بعدم نقصه هـــم قلة بين علمائهـــم، وهم: الصـــدوق، والمرتضى، والطبرسي، والطوسي. وإن أراد أن يخفِّف من أثر ذلك بقوله: «التحريف اللازم على قولهم يسير جدًّا مخصوص بآيات الولاية».

نماذج من روايات تحريف القرآن الكريم في كتاب الكافي:

والَّذي ينظر في الكافي للكليني يجد كثيرًا من الروايات الَّتي يوحي ظاهرها بنقص القرآن الَّذي بين أيدينا، ومنها على سبيل المثال:

عن علي بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن القرآن الَّذي جاء به جبرئيل عليه السلام إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية[2].

قال المجلســـي معلِّقًا على هذا الحديث: «موثَّق. وفي بعض النسخ: عن هشام ابن سالم موضع هارون بن مسلم. فالخبر صحيح، ولا يخفى

(١) مقدمة تحقيق تفسير القمي (٢٣/١، ٢٤)، نشر دار الكتاب للطباعة والنشر، قُم، إيران.

(٢) أصول الكافي للكليني (٦٢٥/٢)، كتاب القرآن، باب النوادر.



أن هــذا الخبر وكثير من الأخبــار الصحيحة صريحة فــي نقص القرآن وتغييره. وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنًى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر(١)؟

فإن قيل: إنه يوجب رفع الاعتماد على القرآن؛ لأنَّه إذا ثبت تحريفه ففي كل آية يحتمل ذلك، وتجويزهم عليهم السلام على قراءة هذا القرآن، والعمل به متواتر معلوم؛ إذ لم يُنقل من أحد مــن الأصحاب أن أحدًا من أئمتنا أعطاه قرآنًا أو علَّمه قراءة، وهذا ظاهر لمن تتبَّع الأخبار»(٢).

ورواية «الكافي» هذه ترد ما ادعاه الطيب الموسوي من «أنَّ التحريف اللازم على قولهم يسير جدًّا مخصوص بآيات الولاية»!

وينقل علامة الهند مُحَمَّد منظور النعماني عن القزويني (ت١٠٨٩هـ) في كتابه «الصافي شــرح أصول الكافي» تعليقه على هذه الرواية بقوله: «معنى قول الإمام جعفر الصادق أن القرآن الحقيقي أُسقط منه جزء كبير، ولا يوجد في المصاحف المشهورة من القرآن الموجود»(٣).

وعن أحمد بن مهران، عن عبد العظيم بن عبــد الله، عن مُحَمَّد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله هكذا: «فبدل الَّذيــن ظلموا **آل مُحَمَّد حقَّهم** قولًا

---

(١) يعني أن أخبار تحريف القرآن في مستوى حجية أخبار الإمامة التي يقوم عليها مذهبهم.

(٢) مرآة العقول في شــرح أخبار آل الرّســول للمجلســي (٥٢٥/١٢)، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، نشر دار الكتب الإسلامية، إيران، ط٢.

(٣) استفتاء سماحة الشيخ محمد منظور النعماني وفتاوى علماء شبه القارة الهندية حول الخميني والشيعة الاثني عشرية (٣٠/١)، صدرت ١٤٠٨هـ، ونقلها إلى العربية مجموعة من طلبة معهد الإمام ولي الله الدهلوي.



غير الَّذي قيل لهم فأنزلنا على الَّذين ظلمــوا **آل مُحَمَّد حقَّهم** رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون».

وبهذا الإسناد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن مُحَمَّد ابن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا: «إن الَّذين ظلمــوا **آل مُحَمَّد حقهم** لم يكــن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقًا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يســيرا» ثمَّ قال: «يا أيها النَّاس قد جاءكم الرســول بالحق من ربكم **في ولاية علي** فآمنــوا خيرًا لكــم وإن تكفروا **بولاية علــيٍّ**؛ فإن لله ما في السماوات وما في الأرض»[1].

وعن مُحَمَّد بن يحيى، عن مُحَمَّد بن الحسين، عن عبد الرحمن ابن أبي هاشم، عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أســتمع حروفًا مــن القرآن ليــس علــى ما يقرؤهــا النــاس[2]، فقال أبو عبد الله عليه السلام : كف عن هذه القــراءة، اقرأ كما يقرأ الناس، حتَّى يقوم القائم، فإذا قام القائم عليه السلام قرأ كتاب الله عز وجل على حدِّه، وأخرج المصحف الَّذي كتبه علي عليه السلام . وقال: أخرجه علــي عليه السلام إلى النَّاس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله عز وجل كما أنزله الله على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ، وقد جمعته مــن اللَّوْحين. فقالوا: هــو ذا عندنا مصحف جامــع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه. فقال: أما والله ما ترونه بعــد يومكم هذا أبدًا، إنَّما كان عليَّ أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه[3].

---

(١) أصول الكافي (٤٨٠/١، ٤٨١)، كتاب الحجة، باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٢) وفي هذا دليل على أن هذه الروايات التي تزيد في القرآن كلمات وعبارات ليست من قبيل القراءة التفسيرية.

(٣) أصول الكافي (٦٢٣/٢، ٦٢٤)، كتاب فضل القرآن، باب النوادر.



كبار أئمَّة التفسير عند الشِّيعة يصرحون بالنقص والتحريف:

والذي يقرأ في الكتب الَّتي ألفها الشِّيعة في التفسير، يجدها مشحونة بالقول بتحريف القرآن وبنقصه.

القمي يقول بالنقص والتحريف:

يقول القمي ـ والَّذي يعد تفسيره أصلًا من أصول التفسير المعتبرة عندهم ـ: «فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ، ومنه محكم ومنه متشابه، ومنه عام ومنه خاص، ومنه تقديم ومنه تأخير، ومنه منقطع ومنه معطوف، ومنه حرفٌ مكانَ حرف، ومنه على خلاف ما أنزل الله»[١].

ثم يمثل لكل نوع من ذلك، فيقول: «**وأما التقديم والتأخير**، فإن آية عدة النساء الناسخة مقدَّمة على المنسوخة؛ لأن في التأليف [يعني: الجمع والترتيب الَّذي قام به الصحابة] قد قدمت آية عدة النساء أربعة أشهر وعشرا على آية عدة سنة كاملة، وكان يجب أولا أن تقدم المنسوخة[٢]. وكان يجب أولًا أن تقرأ المنسوخة الَّتي نزلت قبل، ثمَّ الناسخة الَّتي نزلت بعد[٣].

(١) تفسير القمي (٥/١).

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. وقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٤].

(٣) وقد اختلف أهل السنة في ترتيب سور المصحف هل هو توقيفي أم باجتهاد من الصحابة، لكنهم أجمعوا على أن ترتيب آيات السورة الواحدة توقيفي من الله.



وقولـه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. وإنَّما هو: «فلعلك باخع نفسك على آثارهم **أسفًا** إن لم يؤمنوا بهذا الحديث». ومثله كثير»[١].

ثمَّ يقول: «وأمَّا **ما هو كان على خلاف ما أنزل الله**، فهو قوله: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فقال أبو عبد الله عليه السلام لقارئ هذه الآية: خير أمة يقتلون أمير المؤمنين والحسين بن علي عليه السلام ؟! فقيل له: وكيف نزلت يا بن رسول الله؟ فقال: إنَّما نزلت: «كنتم خير **أئمَّة** أخرجت للناس». ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية: ﴿تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، ومثله آية قرئت على أبي عبد الله عليه السلام : ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. فقال أبو عبد الله عليه السلام : لقد سألوا الله عظيمًا أن يجعلهم للمتقين إمامًا! فقيل له: يا بن رسول الله، كيف نزلت؟ فقال إنَّما نزلت: «الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل **لنا من المتقين** إمامًا».

وأما ما هو محرف منه فهو قوله تعالى: «لكن الله يشهد بما أنزل إليك **في علي** وإن لم تفعل فما بلغت رسالته».

وقوله: «إن الَّذين كفروا وظلموا **آل مُحَمَّد حقهم** لم يكن الله ليغفر لهم». وقوله: «سيعلم الَّذين ظلموا **آل مُحَمَّد حقهم** أي منقلب ينقلبون». وقوله: «ولو ترى الَّذين ظلموا **آل مُحَمَّد حقهم** في غمرات الموت». ومثله كثير نذكره في مواضعه»[٢].

---

(١) تفسير القمي (١/٨ ـ ٩).

(٢) المصدر السابق (١/٣٠).



وعن مُحَمَّد بن همام، عن جعفر بن مُحَمَّد الفزاري، عن الحسن بن علي اللؤلؤي، عن الحسن بن أيوب، عن سليمان بن صالح، عن رجل، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]. قال: إنَّ الكتاب لم ينطق ولا ينطق، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الناطق بالكتاب، قال الله: «**هذا بكتابنا** ينطق عليكم بالحق» فقلت: إنا لا نقرؤها هكذا. فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، ولكنَّه فيما حُرِّف من كتاب الله[١].

وكذلك العياشي:

وفي مقدمة تفسير العياشي، تحت عنوان: «ما عني به الأئمَّة من القرآن» يروي عن ميسر، عن أبي جعفر مُحَمَّد الباقر عليه السلام: لولا أنه زِيد في كتاب الله ونُقِص منه، ما خفي حقُّنا على ذي حِجًا[٢].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩]، يروي: عن زيد الشحَّام، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية: «فبدل الَّذين ظلموا **آل مُحَمَّد حقهم** غير الَّذي قيل لهم فأنزلنا على الَّذين **ظلموا آل مُحَمَّد حقهم** رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون»[٣].

(١) تفسير القمي (٢٩٥/٢). وهذا أيضا يرد على من زعم منهم أن مثل هذه الزيادات، هو من قبيل الزيادات التفسيرية.

(٢) تفسير العياشي (٢٥/١)، تصحيح هاشم الرسولي المحلاتي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩١م.

(٣) المصدر السابق (٦٣/١).



بحار الأنوار وروايات التحريف:

وكتاب «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي مشحون بمثل هذه الروايات، ومن ذلك:

في باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على القوم في زمن عثمان: رواية سليم أنه قال طلحة لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن، شيء أريد أن أسألك عنه، رأيتك خرجت بثوب مختوم، فقلتَ: أيها الناس، إنِّي لم أزل مشتغلًا برسول الله صلى الله عليه وآله بغسله وكفنه ودفنه، ثمَّ اشتغلت بكتاب الله حتَّى جمعته، فهذا كتاب الله عندي مجموعًا، لم يسقط عني حرف واحد، ولم أرد لك الَّذي كتبت وألفت [يعني جمعت]. وقد رأيت عمر بعث إليك أن ابعث به إليَّ، فأبيتَ أن تفعل، فدعا عمر الناس، فإذا شهد رجلان على آية كتبها، وإذا لم يشهد عليها غير رجل واحد أرجأها، فلم يكتب، فقال عمر وأنا أسمع: إنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤون قرآنًا لا يقرؤه غيرهم، فقد ذهب، وقد جاءت شاة إلى صحيفة وكُتَّاب يكتبون فأكلتها، وذهب ما فيها، والكاتب يومئذ عثمان.

وسمعت عمر وأصحابه الَّذين ألَّفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان يقولون: إن الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة، وإن النور نيِّف ومائة آية، والحِجْر تسعون ومائة آية، فما هذا؟! وما يمنعك يرحمك الله أن تُخرج كتاب الله إلى الناس؟ وقد عهدتَ عثمان حين أخذ ما ألَّف عمر، فجمع له الكُتَّاب، وحمل النَّاس على قراءة واحدة، فمزَّق مصحف أبي بن كعب وابن مسعود وأحرقهما بالنار.

فقال له علي عليه السلام: يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله جل وعلا على مُحَمَّد صلى الله عليه وآله عندي، بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وخط يدي، وتأويل كل آية

أنزلها الله على مُحَمَّد ﷺ، وكل حلال وحرام، أو حد أو حكم، أو شيء تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، مكتوب بإملاء رسول الله ﷺ، وخط يدي، حتَّى أرش الخَدْش [يعني دية الجروح]. فقال طلحة: كل شيء من صغير أو كبير، أو خاص أو عام، كان أو يكون إلى يوم القيامة؛ فهو عندك مكتوب؟ قال: نعم، وسوى ذلك أن رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ في مرضه مفتاح ألف باب من العلم، يفتح كل باب ألف باب، ولو أنَّ الأُمَّة منذ قبض رسول الله ﷺ اتبعوني وأطاعوني، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم!

وساق الحديث إلى أن قال: ثمَّ قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عمَّا سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تظهره للناس؟ قال: يا طلحة، عمدًا كففتُ عن جوابك، فأخبرني عمَّا كتب عمر وعثمان، أقرآن كله، أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآنٌ كلُّه. قال: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار، ودخلتم الجنَّة، فإنَّ فيه حجَّتنا، وبيان حقِّنا، وفرض طاعتنا. قال طلحة: حسْبي، أمَّا إذا كان قرآنًا فحسْبي.

ثُمَّ قال طلحة: فأخبرني عمَّا في يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه، ومن صاحبه بعدك؟ قال: إلى الَّذي أمرني رسول الله ﷺ أن أدفعه إليه، وصيِّي، وأولى النَّاس بعدي بالناس، ابني الحسن، ثمَّ يدفعه ابني الحسن إلى ابني الحسين، ثمَّ يصير إلى واحدٍ بعد واحدٍ من ولد الحسين، حتَّى يرد آخرهم على رسول الله ﷺ حوضه، هم مع القرآن لا يفارقونه، والقرآن معهم لا يفارقهم[1].

---

(١) بحار الأنوار (٤٢/٨٩)، والاحتجاج لأحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (٢٠٣/١)، نشر انتشارات الشريف الرضي، ط١.

ويروي من رواية أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه: أنَّه لمَّا تُوُفِّي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع علـيٌّ عليه السلام القرآن، وجاء بـه إلى المهاجريـن والأنصار، وعرضه عليهم، كما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما فتحه أبو بكر خرج في أوَّل صفحة فتحهـا فضائح القوم، فوثـب عمر وقال: يا علـيّ، اردُدْه، فلا حاجة لنا فيه، فأخذه عليٌّ عليه السلام وانصرف.

ثمَّ أحضروا زيد بن ثابت، وكان قارئًا للقرآن، فقال له عمر: إنَّ عليًّا جاءنا بالقرآن، وفيـه فضائح المهاجرين والأنصار: وقـد رأينا أن نُؤَلِّف القرآن، ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار.

فأجابه زيد إلـى ذلك، ثمَّ قـال: فإن أنـا فرغت من القـرآن على ما سـألتم، وأظهر عليٌّ القرآن الَّذي أَلَّفه، أليس قد بطل ما قد عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلـم بالحيلة. فقال عمر: ما حيلة دون أن نقتله ونسـتريح منه. فدبَّر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك!!

فلما استخلف عمر سأل عليًّا عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسـن، إن جئت بالقرآن الَّـذي كنتَ جئتَ به إلى أبي بكر حتَّى نجتمع عليـه، فقال عليٌّ عليه السلام: هيهـات، ليس إلى ذلك سـبيل، إنَّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولـوا: ما جئتنا به. إنَّ القرآن الَّذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي. فقال عمر: فهل وقتٌ لإظهاره معلوم؟ قال علـي عليه السلام: نعم إذا قام القائم مـن ولدي، يظهره ويحمل النَّاس عليه فتجري السُّنَّة عليه[1].

---

(١) الاحتجاج (١/٢٠٥ ـ ٢٠٨)، وبحار الأنوار (٨٩/٤٣).



نوع جديد من تحريف معاني القرآن عند الشِّيعة:

لم يكتفِ علماء الشِّيعة الاثني عشريَّة من قولهم بتحريف القرآن، بأن المصحف الَّذي بأيدي النَّاس اليوم قد تم تحريفه والنقصان منه، وأن الَّذي سيُظهر النسخة الكاملة من القرآن الكريم كما أنزل على مُحَمَّد هو إمامهم الغائب!

لم يكتفِ هؤلاء بذلك الإفك، حتَّى جمعوا إليه تحريفًا من نوع آخر، وهو تحريف مراد الله سبحانه وتعالى من آيات كتابه، وحملها على معان مخالفة لظاهر القرآن، تقطع اللغة والأحاديث والآثار بخلافها، وما يقتضيه ذلك من مجافاة معاني الكلمات المعروفة، وقطع الآيات عن سياقها، وهو ما اصطلِحَ على تسميته عند علماء التفسير بالتفسير الباطني في القرآن.

وقد أخذوا يُنزلون نصوص القرآن على ما قرَّروه من هذه العقيدة، فجعلوا كل ما كان من آية مدح في علي وفاطمة وابنيه وبقيَّة أئمَّتهم وأشياعهم، وما كان من آية ذم أو وعيد أو تهديد في مخالفيهم.

وكان لرأيهم في الصحابة ـ وبخاصَّة الشيخان وابنتاهما وطلحة والزُّبَيْر ـ أثره في تفسيرهم، فقد جعلوا كثيرًا من آيات الذم الَّتي نزلت في الكافرين والمنافقين نزلت في هؤلاء الأكابر.

وقد وجدنا من مُفَسِّريهم وعلمائهم من قال: إنَّ جُلَّ القرآن ـ بل كُلَّه ـ أُنزِل في الإرشاد إلى الأئمَّة، والإعلان عنهم، والأمر بموافقتهم، والنهي عن مُخالفتهم.

من أمثلة هذا التحريف للكلم عن مواضعه، قول بعضهم في تفسير ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩، ٢٠]. قال: علي



وفاطمــة. ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾: النبــي ﷺ وآلــه. ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]: الحسن والحُسَيْن[١].

حتَّى لتحسب أنَّ بعض الشِّيعة قسم القرآن قســمَين: فكلُّ ما فيه مدح وثناء ووعد وجزاء بالجنَّة والنعيم، فهو لعليٍّ وفاطمة وأولادهما وشيعتهم[٢].

وكل ما فيه ذمٌّ ووعيد وجزاء بالنار والعذاب الأليم، فهو للمنافقين، الَّذين يقصدون بهم الصحابة، وعلى رأســهم أبو بكر وعمر، وعائشــة وعثمان ومعاوية، وطلحة والزُّبَيْر.

وهذا تحريف للكلم من بعد مواضعه، وتقزيم لمعاني القرآن الكريم، وهو كتاب هداية ورحمة للعالمين، جعله الشِّيعة أداة للصراع بينهم وبين أهل السُّنَّة، وكتب تفسيرهم مليئة بهذا، وبخاصَّة أخباريُّوهم ومحدِّثوهم، الَّذين حملوا ألفاظ القرآن على ما لا تحتمله، بمــا يروون من أحاديث ينسبونها إلى أئمَّة آل البيت.

وقد كانت عقيدة الإمامة، هي الدافع الأكبر في هذا الاتِّجاه؛ فأخذوا يُنزلون نصوص القرآن على ما قرَّروه من هذه العقيدة، فهم يرون أن جُلَّ القرآن بل كُلَّه، أُنزِل في الإرشــاد إلى الأئمَّة، والإعــلان عنهم، والأمر بموافقتهم، والنهي عن مخالفتهم.

وإنِّي لأعجب من تصرفات الشِّيعة الإماميَّة؛ فحتَّى القرآن الَّذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع لنا ولهم على التقارب نحو الوحدة، فإنَّ

(١) منهاج الســنة لابن تيمية (٢٤٤/٧، ٢٤٥)، تحقيق محمد رشــاد ســالم، نشــر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) انظر: الشيعة في القرآن لصادق الحسيني الشيرازي، نشر دار الوفاء، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.



أصول الدِّين عندهم قائمة من جذورها على تأويل آياته، وصرف معانيها إلى غير ما فهمـه منها الصحابة عن النبيِّ ﷺ، وإلى غير ما فهمه منها أئمَّة الإسلام، عن الجيل الَّذي نزل عليه القرآن، وعلى غير ما جاءت به لغة العرب!

خلاصة موقف الشِّيعة من تحريف القرآن:

وخلاصة موقف الشِّيعة الاثني عشريَّة من مسألة تحريف القرآن: أن كثيرًا من علمائهم يقول به، للآثار الواردة من طرقهم، وبعضهم ينفيه نفيًا قاطعًا، كالصدوق، والمرتضى، والطبرسي، والطوسي.

والتحريف الَّذي يقولون به ليس كتحريف أهل الكتاب؛ باختلاق الأخبار المكذوبة، والقصص الخيالية، والأوهام الساقطة. وإنَّما يعني: تغيير الكلام لفظًا؛ بالنقص منه، وذلك بحذف مناقب الأئمَّة، وأسماء المنافقين.

ويزعمون مع ذلك أن القول بنقص القرآن لا يعد طعنًا فيما هو موجود بين دفتي المصحف؛ لأنَّه معلوم صحته، وهو قرآن كله لا يرتاب فيه، ولا تمنع النقيصة منه من صحة الاحتجاج به وإعجازه!

ويرون أنه لا يترتب على القول بالتحريف مفسدة عند من يقول به من الشِّيعة؛ لأنَّ النقص لا يضرُّ، ولا ينقض الدخول في الإسلام، ولا يخل بالإيمان والاعتقاد، وأنَّه من جملة الاختلافات العقائديَّة الَّتي لا توجب الكفر أصلًا؛ بل لا يجوز رمي القائل بالتحريف بالغلو وطرح خبره بذلك؛ لأنَّه إنَّما قال بما ترجَّح لديه من الروايات، الَّتي لو نفاها لأمكن نفي الإمامة بنفي مثلها.



ويرون أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد جمع القرآن كاملًا بعد وفاة النبي ﷺ، ورفضه الصحابة، ثمَّ صار عند الأئمَّة يتلونه ويُطلعون عليه خواصهم، وأنَّ الشِّيعة مأمورون من الأئمَّة بتلاوة المصحف الموجود، إلى أن يقوم القائم فيظهر القرآن كاملًا.

* * *

الردُّ على افتراءات الشِّيعة حول القرآن

جمع النَّصّ القرآني وترتيب آياته توقيفي منذ عهد الرسول ﷺ:

والحقُّ أنِّي لأعجب غاية العجب من الاتِّجاهات الأساسيَّة والتصرفات الَّتي سار عليها الشِّيعة الإماميَّة الاثنا عشريَّة!

إنَّهم يتصرَّفون ويتحدَّثون ويعملون كأنَّهم في عالمٍ فارغٍ من البشر، وفي دُنيا خالية من الأحياء، هم يتحدَّثون عن القرآن، وكأنَّه كتاب من الكتب الَّتي يؤلِّفها البشر، ولا يتصوَّرون الأهميَّة الكبرى لهذا الكتاب الإلهي المُقَدَّس:

فهو كتابٌ معلوم أوَّله وآخره، مسجَّل في أمِّ الكتاب أو اللوح المحفوظ أو الكتاب المكنون، كما صرح بذلك القرآن نفسه: ﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤]، ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨٠].

يجب أن يُنظر إلى القرآن بوصفه «كلام الله» تعالى، المُعبِّر عما يحبه ويرضاه من خلقه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

ليس لجبريل أمين الوحي من القرآن إلَّا نقله من «أمِّ الكتاب» أو «اللوح المحفوظ» إلى قلب مُحمَّد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

وليس لمحمد منه إلا قراءته وحفظه حتَّى لا ينسى، كما قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]، ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧].

وقد كان من مهمة الرسول ﷺ تلاوة آيات الله على الناس، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، ثمَّ ترتيله وتدبره: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

ثم تبليغه إلى النَّاس كما أنزل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد بلَّغ عليه الصلاة والسلام **كل ما أنزل إليه** من ربِّه إلى النَّاس عامَّة، وإلى أصحابه خاصَّة، فحفظوه في صدورهم، وتلوه بألسنتهم، وكَتَبه «كُتَّاب الوحي» بأيديهم.

وكانت كلُّ عدَّة آيات تنزل من القرآن، كما هي العادة، يتلقنها الحفظة والكَتَبة المستعدُّون في غاية الشوق والشغف بكلام الله الجديد، فمَا أسرعهم لتلقيه! وما أسرعهم إلى حفظه! وما أعجلهم إلى كتابته! في كل ما هو موفور لديهم من وسائل الكتابة وأدواتها، في ذلك العصر، بما



يحفظ هذا الكلام الرباني، الَّذي هو حديث العهد من عند منزله الأعلى، وقد أخذوه من رسول الله، أوَّل ما أنزل عليه، فور تلقِّيه من جبريل، ليقوم الحافظون بحفظه في صدورهم، وتلاوته بألسنتهم، ويقوم الكاتبون، من «كُتَّاب الوحي» الَّذين اختارهم رسول الله ﷺ من أوَّل الأمر، ليكتبوا القرآن، حتَّى يكون كتابًا مسطورًا، كما يكون قرآنًا محفوظًا، فهو يُقرأ ويُكتب من أوَّل الأمر.

وهو كما أنزل الله ﷻ قرآنٌ مُبِين، وكتابٌ عزيز، وذكرٌ محفوظ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢].

الدكتور دراز يكتب: كيف جُمِع نَصُّ التنزيل الحكيم؟

ولن أكلِّف نفسي أن أعيد كتابة ما كتبه شيوخنا الأكابر رحمهم الله وتقبَّل منهم، وخصوصًا في أمر كتابة نص القرآن المنزَّل من السماء، والَّذي قرأه جبريل على رسول الله، ومن هنا اكتفيتُ **بما كتبه شيخي وإمامي وأستاذي العلَّامة الإمام الأستاذ الدكتور**: مُحَمَّد عبد الله دراز، الَّذي درَّس لي علم الأخلاق في تَخصُّص التدريس، حيث يقول: «نزل القرآن أجزاء متفرقة، تتباين أطوالها من سورة كاملة إلى آية واحدة، وأحيانًا إلى جزء من الآية.

وكان الرسول ﷺ يتلو كل جزء ينزل عليه، ويعلِّمه للسامعين، ليصل عن طريقهم إلى من لم يسمعه من فم الرسول مباشرة.

وكان النَّاس جميعًا ينتظرون الوحي بشغف، ويَتمنَّوْن أن يتلقَّوْه فورَ نزوله، **كما أنَّ أعداء الرسول أنفسهم لم يكونوا يهملون شأن القرآن**، بل

كانوا يحرصون على سماعه، إما للبحث عن نقاط ضعف فيه، تعينهم على مغالبته أو مهاجمته، وإما لإشباع حاجتهم الملحَّة في التذوق الأدبي.

ويمكننا أن نتصوَّر ـ إذن ـ مدى الاهتمام الَّذي كان يثيره القرآن في نفوس المؤمنين، فقد كان بالنسبة إليهم غذاء الروح، وقاعدة السلوك، ونصوص الصلاة، وأداة الدعوة إلى الإسلام! كان نشيدهم وتاريخهم! كان قانونهم الجوهري ودستورهم في كل شؤون الحياة.

قرآن يُتلى وكتاب يُدَوَّن:

غير أنَّ النصَّ المُنزل لم يقتصر على كونه «قرآنًا»، أو مجموعة من الآيات الَّتي تُتْلى أو تُقرأ، وتحفظ في الصدور. وإنَّما كان أيضًا «كتابًا» مدونًا بالمداد. فهاتان الصورتان تتضافران، وتصحح كل منهما الأخرى. ولهذا كان الرسول كلما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين، أملاه من فوره على كتبة الوحي، ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيديهم، مثل الورق، أو الخشب، أو قطع الجلد! إلخ.

هيئة رقاع القرآن في حياة النبي:

ومن الجليّ أن هذه المخطوطات على هيئتها البدائيَّة، لم تكن تمثِّل مجموعة متجانسة ومنظَّمة ومرقَّمة. وكما أن الرسول لم يكن عنده شيء مكتوب، فلم يكن عند الأفراد في هذه الحقبة نسخة واحدة كاملة من القرآن، وإنَّما كانت المخطوطات متفرِّقة ومبعثرة بين المؤمنين، ولم تأخذ شكلها النهائي في صدورهم إلا قُرب نهاية حياة الرسول.

ولقد لوحظ منذ وقت مبكر أنَّ مجموعات الآيات المنزَّلة لم تكن لتبقى منعزلة بعضها عن بعض، ولا أن تتوالى في ترتيب زمني بعضها



تلو الأخرى؛ حسب نزول الوحي، فقد كانت مجموعات كثيرة منها تتزايد بمعزل عن مجموعات أخرى، وتُكَوِّن تدريجيًّا وحدات مستقلة بعد أن تنضمَّ إليها آيات أخرى نزلت بعدها، وأنَّ بعضها كانت تضاف هنا، والأخرى تتداخل مع غيرها هناك، بحسب أمر الرَّسول الصريح، الَّذي كان يتلقَّاه بدوره من الرُّوح القدس. وحتَّى تتاح الفرصة لسور القرآن، لكي يتمَّ بناؤها تدريجيًّا.

انتظار اكتمال الوحي:

كان ينبغي الانتظار إلى أن يكتمل الوحي كله، لإخراج القرآن في شكل وحدة كاملة، إلا أنَّ غياب هذا التَّتابع بين الآيات المكتوبة في هذه المرحلة، لم يحل بين المؤمنين وبين المعرفة الشفويَّة لموضع كل آية جديدة من كل سورة على وجه التَّحديد، وفي كل مرحلة من مراحل نزول الوحي.

جمع المصحف أيَّام أبي بكر:

ولم يمضِ عام واحد بعد أن قُبِض الرسول إلا وبدت الحاجة ملحَّة لجمع وثائق القرآن المبعثرة في مجموعة مدونة، سهلة الاستعمال، حيث تتتابع آيات كل سورة، كما هو ثابت من قَبْل في حافظة جماعة المؤمنين. ولقد تقدم بالفكرة عمر بن الخطَّاب إلى الخليفة الأوَّل عقب معركة اليمامة مع مسيلمة الكذاب الَّتي قُتل فيها مئات من المسلمين، منهم «سبعون من حملة القرآن»، فخشية أن يتناقص تدريجيًّا عدد هؤلاء القرَّاء بسبب الحروب المحتملة، كان عمر يهدف بهذه الطريقة ليس فقط إلى حفظ المُدوَّن من التَّنزيل في مأمن من الأخطار، وفي صورة يسهل الرجوع إليها؛ وإنَّما كان يقصد أيضًا إقرار الشكل النهائي لهذا الكتاب



المقدَّس، وتوثيقه عن طريق حفظته الباقين على قيد الحياة، واعتماده من الصحابة الَّذين كان كل منهم يحفظ منه أجزاء كبيرة أو صغيرة.

طريقة الجمع:

ولقد وضعت قاعـدة للعمل وطبقت بكل عنايـة، وهي تقضي بألَّا يؤخذ بأي مخطوط لا يشهد شخصان على أنه مكتوب ليس من الذاكرة وإنَّما بإملاء الرسول ذاته، وأنَّه جزء من التنزيل في صورته النهائية.

وفضلًا عن كماله المطلق، يتميَّز أوَّل مصحف رسـمي (الَّذي يمكن أن نشـبهه بملف يجمع صحفًا مرتبة وغير مجلَّدة) عن النسخ الأخرى الكاملـة أو الناقصة الَّتي كانـت عند الأفراد، بمطابقتـه المطلقة للنصِّ المُنَزَّل. ولكن رغم قيمة هذا المصحف العظيمة، ورغم ما يسـتحقُّه من العنايـة الَّتي بُذلت فـي جمعه، فإنَّ مُجَـرَّد بقائه محفوظًـا بعناية عند الخليفتَيْن الأوَّلَيْن: أسبغ عليه الطابع الفردي أو الشخصي بعض الشيء، ولم يصبح وثيقة للبشر كافَّة إلَّا من يوم نشره.

مصحف عثمان:

ولكن فرصة نشـره لم تتَح إلَّا في خلافة عثمان بعد معارك أرمينيَّة وأذربيجان.

فقد تجمَّعت جيوش المسـلمين الوافدة من الشـام ومـن العراق، ولاحظوا بعض الاختلاف في القراءات؛ إذ كان الشـاميُّون يتَّبعون قراءة «أُبَـيٍّ» والعراقيُّون يتَّبعون قراءة «ابن مسـعود»، فقـال بعضهم لبعض: «قراءتُنا خيرٌ من قراءتكم». ففزع حُذَيْفة بـنُ اليَمَان إلى عثمان، وطلب إليه أن يضع حدًّا لهذا اللَّجاج؛ الَّذي قد يُؤَدِّي إلى مثل ما وقع فيه اليهود



والنصارى من فرقة بشأن كتبهم، فشكَّل عثمان لجنة من أربعة نسَّاخ منهم زيد بن ثابت نفسه ـ وهو من الأنصار ـ وعبد الله بن الزُّبَيْر، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام من المهاجرين. وكلَّفهم بنسخ مصحف حفصة بعددٍ من النسخ يعادل عدد الأمصار الرئيسيَّة في الدولة الإسلاميَّة.

ظن الشِّيعة:

ولقد ظن بعض الشِّيعة أن عثمان قد بدَّل في نص القرآن، أو أنه على وجه التحديد أسقط شيئًا يتعلق بعلي بن أبي طالب. فلو صحَّ ذلك لراجعه حملة القرآن، وما أكثرهم في وقت نشر مصحف عثمان، عند مضاهاته على ما يحفظونه في صدورهم. إلا أنه حتَّى ابن مسعود نفسه الَّذي كان لديه أكثر من سبب لكيلا يرضى عن السياسة، قد أقرَّ بصحَّة مصحف عثمان، بل وتنبَّأ أنه سوف يوجد فيما بعد قرَّاء كثيرون، وقليل من العلماء، وأنَّ آيات القرآن ستظل مقدَّسة في النفوس وسيُهمل تطبيقها.

جمع المصحف على أكمل صورة:

ونظرًا لغيرة المسلمين الأوائل ـ وهم بطبيعة الحال أكثر تحمسًا لكلام الله ممن خلفوهم ـ يستحيل علينا أن نعلِّل قبول الكافة لمصحف عثمان دون منازعة أو معارضة، بأنه راجع إلى انقياد غير متبصِّر من جانبهم. ولقد قرر المستشرق الألماني «نولدكه» أن ذلك يعدُّ أقوى دليل على أن النصّ القرآني «على أحسن صورة من الكمال والمطابقة».

ومهما يكن من أمر، فإن هذا المصحف هو الوحيد المتداول في العالم الإسلامي ـ بما فيه من فرق الشِّيعة ـ منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.



وبناء على ذلك أكد المستشرق الفرنسي لوبلوا «أن القرآن هو اليوم الكتاب الربَّاني الوحيد الَّذي ليس فيه أي تغيير يذكر». وكان المستشرق الأسكتلندي «وليم موير» قد أعلن ذلك قبله إذ قال: «إن المصحف الَّذي جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتَّى وصل إلينا بدون أي تحريف. ولقد حُفِظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول: إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ الَّتي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلاميَّة الواسعة»[1].

تعليق الأستاذ مُحِبِّ الدِّين الخطيب على روايات الشِّيعة في تحريف القرآن:

وقد تناول العلَّامة والمُؤَرِّخ والكاتب الإسلامي الكبير مُحِبُّ الدِّين الخطيب ـ في أثناء تعليقه على النشاط الشِّيعي المحموم في البلاد الإسلاميَّة، حول فكرة التقريب والتفاهم بين السُّنَّة والشِّيعة ـ عددًا من الأسباب الَّتي تمنع قيام هذا التقريب حقيقة من جانب الشِّيعة، **وأهمُّها: قولهم بتحريف القرآن، مستدلًّا بتأليف أحد كبار أئمَّتهم الحاج ميرزا حسين الطبرسي كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، وكيف وجد هذا المؤلِّف من التكريم عند الشِّيعة في حياته وعند وفاته.**

فيقول: «إنَّ أحد كبار علماء النجف، وهو الحاج ميرزا حسين بن مُحَمَّد تقي النوري الطبرسي، الَّذي بلغ من إجلالهم له عند وفاته سنة ١٣٢٠هـ أنَّهم دفنوه في بناء المشهد المرتضوي بالنجف في إيوان حجرة

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم حقائق تاريخية للدكتور محمد عبد الله دراز (٣٣ ـ ٤٢)، نشر دار القلم، الكويت، ١٩٨٤م.



«بانو العظمى» بنت السلطان الناصر لدين الله، وهو ديوان الحجرة القبلية عن يمين الداخل إلى الصحن المرتضوي، من باب القبلة في النجف، بأقدس البقاع عندهم. هذا العالم النجفي أَلَّف في سنة ١٢٩٢هـ وهو في النجف عند القبر المنسوب إلى الإمام عليٍّ كتابًا سمَّاه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب» جمع فيه مئات النصوص عن علماء الشِّيعة ومجتهديهم في مختلف العصور، بأن القرآن قد زِيدَ فيه ونُقِص منه.

وقد طُبع كتاب الطبرسي هذا في إيران سنة ١٢٩٨هـ، وعند طبعه قامت حوله ضجَّة؛ لأنَّهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصورًا بين خاصتهم، ومتفرِّقًا في مئات الكتب المعتبرة عندهم، وألَّا يجمع ذلك كله في كتاب واحد، تطبع منه ألوف من النسخ، ويطَّلع عليه خصومهم، فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع، ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه، وألف كتابًا آخر سماه «رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وقد كتب هذا الدفاع في أواخر حياته قبل موته بنحو سنتَيْن، **وقد كافؤوه على هذا المجهود في إثبات أن القرآن محرَّف، بأنْ دفنوه في ذلك المكان الممتاز، من بناء المشهد العلوي في النجف**»[1].

ثمَّ ينقل الأستاذ مُحِبُّ الدِّين الخطيب بعض الاستشهادات الَّتي استشهد بها الطبرسي في كتابه، على إثبات تحريف القرآن الكريم، فيقول: «وممَّا استشهد به هذا العالم النجفي على وقوع النقص من القرآن إيراده في الصفحة (١٨٠) من كتابه سورة تسميها الشِّيعة «سورة الولاية»

---

(١) الخطوط العريضة صـ١١.

مذكور فيها ولاية علي «يا أيها الَّذين آمنوا بالنبي والولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى الصراط المستقيم!» إلخ.

وقد اطلع الثقة المأمون الأستاذ مُحَمَّد علي سعودي، الَّذي كان كبير خبراء وزارة العدل بمصر، ومن خواص تلاميذ الشيخ مُحَمَّد عبده، على مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق براين. فنقل منه هذه السورة بالفوتغراف، وفوق سطورها العربيَّة ترجمتها باللغة الإيرانيَّة. وكما أثبتها الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» فإنَّها ثابتة أيضًا في كتابهم «دبستان مذاهب» باللغة الإيرانيَّة لمؤلفه محسن فاني الكشميري، وهو مطبوع في إيران طبعات متعددة، ونقل عنه هذه السورة المكذوبة على الله العلامة المستشرق نولدكه في كتابه «تاريخ المصاحف»[(١)]، ونشرتها الجريدة الآسيويَّة الفرنسيَّة سنة ١٨٤٢م[(٢)(٣)].

كما ورد في كتاب «الكافي» طبعة سنة ١٢٧٨ بإيران[(٤)]، وهو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عند أهل السُّنَّة: روى عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن مُحَمَّد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن عليه السلام (أي: أبو الحسن الثاني علي بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٠٦) قال: قلتُ له: جُعلتُ فداك، إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بُلِّغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا. اقرؤوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يُعَلِّمكم[(٥)].

(١) (١٠٢/٢).
(٢) صـ٤٣١ ـ ٤٣٩
(٣) الخطوط العريضة صـ١١ ـ ١٣.
(٤) صـ٢٨٩.
(٥) أصول الكافي (٦١١/٢)، كتاب فضل القرآن، باب أن القرآن يرفع كما أنزل.



ولا شكَّ أنَّ هذا الكلام قد اختلقته الشِّيعة على إمامها علي بن موسى الرضا، ولكن معناه عندهم، والفتوى بأنَّه لا يأثم من قرأ القرآن كما يتعلمه النَّاس في المصحف العثماني، ثمَّ إنَّ الخاصَّة من الشِّيعة سيُعلِّم بعضهم بعضًا ما يخالف ذلك؛ ممَّا يزعمون أنَّه موجود، أو كان موجودًا عند أئمَّتهم من أهل البيت.

والمقارنة بين هذا الكلام المزعوم الَّذي يُسِرُّ به بعضهم إلى بعض، ولا يجهرون به عملًا بعقيدة التَّقيَّة، وبين ذلك القرآن المعلوم والشائع المرسوم في المصحف العثماني هي الَّتي ألف حسين بن مُحَمَّد تقي النوري الطبرسي كتابه «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» للقيام بها، ومهما تظاهر الشِّيعة بالبراءة من كتاب النوري الطبرسي عملًا بعقيدة التَّقيَّة، فإنّ الكتاب ينطوي على مئات النصوص عن علمائهم في كتبهم المعتبرة، يثبت بها أنَّهم جازمون بالتحريف ومؤمنون به، ولكن لا يحبون أن تثور الضجَّة حول عقيدتهم هذه في القرآن. ويبقى بعد ذلك أنَّ هناك قرآنَيْن أحدهما عام معلوم، والآخر خاص مكتوم، ومنه سورة الولاية، وهم بذلك يعملون بالكلمة الَّتي أَقَرُّوها على إمامهم عليِّ بن موسى الرضا: اقرؤوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يُعَلِّمكم»[1].

ويقول الأستاذ محبّ الدّين الخطيب أيضًا: «وممَّا تزعم الشِّيعة أنه أسقط من القرآن آية «وجعلنا عليًّا صهرك» زعموا أنَّها أسقطت من سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع علمهم بأن سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ مكية، ولم يكن علي صهرًا للنبي ﷺ بمكة، وإنَّما كان صهره الوحيد فيها العاص بن الربيع الأموي الَّذي أثنى عليه صلوات الله عليه

(١) الخطوط العريضة صـ١٣، ١٤.



على منبر مسجده النبوي، لما أراد عليٌّ رضي الله عنه أن يتزوَّج بنت أبي جهل على فاطمة، فشكت ذلك فاطمة إلى أبيها صلوات الله عليه[١]، وإذا كان عليٌّ صهرًا للنبي ﷺ على إحدى بناته، فقد جعل الله عثمان بن عفان صهرًا له على ابنتيه الاثنتين).

(وعند ظهور كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» وانتشاره في الأوساط الشيعيَّة وغيرها في إيران والنجف والبلاد الأخرى قبل بضع وثمانين سنة[٢] ـ وهو مشحون بالعشرات والمئات من أمثال هذه الأكاذيب على الله وصفوة خلقه ـ استبشر به المبشرون من أعداء الإسلام، وترجموه بلغاتهم»[٣].

كما ينقل الأستاذ الخطيب من كتاب الكافي رواية الكُلَيْني، عن جابر الجعفي، يستدل بها على القول بتحريف القرآن عند الشِّيعة، بالاعتماد على الكذابين كجابر الجعفي هذا، إذ يروي الكُلَيْني، عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادَّعى أحد من النَّاس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب، والأئمَّة من بعده[٤].

يقول محبُّ الدِّين الخطيب: «وكلُّ شيعيٍّ يقرأ كتاب الكافي هذا، الَّذي هو عندهم بمنزلة صحيح البخاري عندنا، يؤمن بهذا النص. أما

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٢٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩)، عن المسور بن مخرمة.

(٢) والكلام لمحب الدين الخطيب.

(٣) الخطوط العريضة صـ١٥، ١٦ بتصرف.

(٤) أصول الكافي (١/٢٥٤، ٢٥٥)، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنَّهم يعلمون علمه كله.



نحن أهل السُّنَّة فنقول: إنَّ الشِّيعة كذبوا ذلك على الباقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بدليل أن سيِّدنا عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يكن يعمل في مدة خلافته وهو بالكوفة إلا بالمصحف الَّذي أنعم الله على أخيه سيِّدنا عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بجمعه وإذاعته في الأمصار، وتعميم العمل به في جميع الأعصار إلى الآن، وإلى يوم القيامة، ولو كان عند علي مصحف غيره، وهو خليفة حاكم لا ينازعه أحد في نطاق حكمه؛ لعمل به، ولأمر المسلمين بتعميمه، والعمل به، ولو أنه كان عنده غيره وكتمه عن المسلمين: لكان خائنًا لله ورسوله والدين الإسلامي.

وجابر الجعفي الَّذي يزعم أنه سمع تلك الكلمة الآثمة من الإمام أبي جعفر مُحَمَّد الباقر، وإن كان موثوقًا عندهم، فهو معروف عند أئمَّة المسلمين بالكذب، قال أبو يحيى الحِمَّاني: سمعت أبا حنيفة يقول: ما رأيت فيمن رأيت أفضل من عطاء، ولا أكذب من جابر الجعفي[١]!

هذه النصوص الشِّيعيَّة المكذوبة على أئمَّة أهل البيت قديمة العهد، وقد سجَّلها مُحَمَّد بن يعقوب الكُلَيْني الرازي في كتابه «الكافي» قبل أكثر من ألف سنة، وهي أقدم منه؛ لأنَّه يرويها عن أسلافه من أعلام الكذبة، مهندسي بناء التشيُّع.

ويوم كانت إسبانيا تحت سلطان العروبة والإسلام، كان الإمام أبو مُحَمَّد ابن حزم يتناظر مع قسسها في نصوص كتبهم، ويقيم لهم الحجج على تحريفها؛ بل ضياع أصولها، فكان أولئك القسس يحتجون عليه بأن الشِّيعة قرروا: أن القرآن أيضًا مُحرَّف؛ فأجابهم ابن حزم بأن

---

(١) ميزان الاعتدال (٣٥١/١)، تحقيق محمد رضوان عرقسوسي وآخرين، نشر مؤسسة الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.



«دعوى الشِّيعة ليست حجة على القرآن، ولا على المسلمين؛ لأن الشِّيعة غير مسلمين»[١].

صوتٌ معتدل من أبناء الشِّيعة:

ومن الأصوات المعتدلة الَّتي لها إسهامات كبرى في حركة التصحيح والمراجعات لدى الشِّيعة الاثني عشريَّة العلامة الدكتور موسى الموسوي، الَّذي يُعَدُّ كتابه «الشيعة والتصحيح» من الكتابات المهمة على درب المصارحة والمكاشفة في بيان طبيعة الخلاف بين السُّنَّة والشِّيعة.

يقول: «لست أدري كيف يستطيع المرء أن يقول بتحريف القرآن، وهو أمام نص صريح يدحض كل الأقوال حول التحريف، ولست أدري أيضًا كيف يستطيع أحد أن يكون مؤمنًا بالقرآن، وهو يدلي رأيًا يناقض ما جاء فيه. والآية الكريمة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. تغنينا عن الاستدلال بعدم تحريف القرآن المُنزَّل على مُحَمَّد رسول الله ﷺ، فالوعد الإلهي صريح بأنه تعالى يحفظ الذكر الحكيم من أي تلاعب أو تحريف أو إضافة».

ويضيف الدكتور الموسوي: «وتحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى أعلام الشِّيعة وهو إقرار الإمام «علي» في أيَّام خلافته بهذا القرآن الموجود بين أيدي المسلمين، فلو كانت هناك سور أو آيات مُحرَّفة لتحدث عنها الإمام «علي» وأثبتها في القرآن»[٢].

(١) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب صـ١٧ ـ ١٩ بتصرف.

(٢) الشيعة والتصحيح صـ١٣١.

نقد علمي لروايات الشِّيعة:

ويقول الدكتور الموسـوي: «إن فقهاءنا وعلماءنا يستدلون على وجود مصحف للإمام «علي» برواية يذكرها الطبرسي في كتاب «الاحتجاج» وهي أن الإمام قال: يا طلحة، إن كل آية أنزلها الله تعالى على مُحَمَّد ﷺ عندي بإملاء رسـول الله وخـط يدي، وتأويـل كل آيـة أنزلهـا الله تعالى على مُحَمَّد ﷺ، وكل حلال أو حرام أو حكم تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة فهو عندي مكتوب بإملاء رسول الله وخط يدي، حتَّى أرش الخدش[1].

وكما قلنا: في هذه الرواية ضعف واضح، وغرابة مذهلة؛ ومنها تتفرع أسـئلة عديدة لا عدَّ لها ولا حصر، وقبل كل شيء: لماذا خصَّ الرسول الكريم ﷺ الإمام «عليًّـا» بتعليم أحـكام تحتاج إليها أمتـه إلى يوم القيامة، ولكن لم يخبر بها أمته؛ بل أخفاها عليهم والقرآن الكريم يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨] ويقول في موضع آخر: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ الآية [المائدة: ٣٠].

ولماذا لم يتحدث الإمام «علي» عن تلك الأحكام في خلافة الخلفاء الَّذين سـبقوه أو في زمن خلافته؟! ولماذا أخفـى أحكامًا تحتاج إليها الأمَّة إلى يوم القيامة وفيها حلاله وحرامه، وحتَّى أرش الخدش؟ حقًّا إنه اضطراب مُخلٌّ بالتعقُّل؛ نقرؤه في عقـول الَّذين وضعوا روايات كهذه، ونسـبوها إلى الإمام «علي»، وأدهى منه أن فقهاءنا سامحهم الله استندوا عليها، وحكموا عليها حكم المُسلَّمات»[2].

(١) انظر: تفسير البيان للخوئي صـ٢٢٢، نشر أنوار الهدى، ط ٨، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
(٢) الشيعة والتصحيح صـ١٣٣، ١٣٤.

تحليل نفسي لسبب ورود روايات مصحف الإمام:

يقول الدكتور الموسوي: «إنَّ كلَّ ما قيل وذُكر في الكتب الشِّيعيَّة عن مصحف الإمام «علي» ليس أكثر من إضفاء هالة من الغلو على شخصيَّة الإمام «علي» حسب زعم الَّذين كانوا وراء وضع هذه الأساطير، وإثبات أنَّ الإمام «عليًّا» إنَّما هو تالي تِلْوٍ، وأحق بخلافة الرسول ﷺ من غيره، ولذلك يحتفظ بمصحف خاص، لا يحتفظ به غيره!

هذا في ظاهر الأمر؛ ولكنَّهم في الحقيقة أساؤوا إلى الإمام من ناحية أخرى، فعرَّفوا الإمام بأنه يخفي أحكامًا إلهيَّة فيها حدوده وحلاله وحرامه، وكل ما تحتاج إليه الأمَّة إلى يوم القيامة، ولم يدلِ بها إلا لأولاده الَّذين هم الأئمَّة، والأئمَّة بدورهم أخفوها عن المسلمين، وحتَّى عن شيعتهم؛ إلى أن اختفت كل تلك العلوم باختفاء الإمام الثاني عشر! وهكذا نرى أن الحب الجارف عندما يتجاوز حده ينتهي إلى الإساءة المطلقة؛ والشيء إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده»[1].

* * *

(١) الشيعة والتصحيح صـ١٣٤، ١٣٥.

تحريف القرآن! روايتان عند الشِّيعة هل هو خلاف في المذهب أم نوع من التقيَّة؟!

والمتتبع لأقوال الشِّيعة الاثني عشـريَّة قديمًا وحديثًا يجد نفسه بين مدرستين:

أولاهما: تؤكـد وتجزم بتحريف القـرآن، ويعنون بذلك نقصان آيات منه، وينسـبون هذا التحريف إلى الصحابة رضوان الله عليهم، وأنَّهم فعلوا ذلك على علم منهم، ورفضوا المصحف الكامل الَّذي جمعه أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالب ﵁، لمـا فيه من ذكر فضائل أهل البيـت وحقهم في الولاية، وذكر أسـماء المرتدين من الصحابة، ومخازي المهاجرين والأنصـار! هكذا يزعمون! وهؤلاء معظم علمائهم.

والفريق الآخر لا يقبل هذا القول، ولكنَّه في الوقت ذاته لا يكفر أو يضلل القائلين به، وإنَّما يقدم لهم المعاذير؛ ويجعله خلافًا سائغًا؛ حيث اعتمد القائلون به على روايات عدة! والقائلون بذلك قلة منهم.

قال المجلسي: اختلف أصحابنا في ذلك، فذهب الصدوق ابن بابويه وجماعة إلى أن القرآن لم يتغير عما أنزل، ولم ينقص منه شيء.

وذهب الكُلَيْني والشـيخ المفيد قدَّس الله روحهما وجماعة إلى أن جميع القرآن عند الأئمَّة، وما في المصاحف بعضه، وجمع أمير

المؤمنين صلوات الله عليه كما أنزل بعد الرسـول ﷺ، وأخرج إلى الصحابـة المنافقين، فلم يقبلوا منه، وهم قصـدوا لجمعه في زمن عمر وعثمان!

قال شـيخنا السـيِّد المفيد روَّح الله روحـه، في جواب المسـائل السرورية: إن الَّذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله، وليس فيه شـيء من كلام البشـر، وهو جمهور المنزل، والباقي ممَّا أنزله الله تعالى قرآنًا عند المستحفَظ للشـريعة، المستودَع للأحكام، لم يضِعْ منه شيء، وإن كان الَّذي جَمَعَ بين الدفتين الآن لم يجعله من جملة ما جمع لأسـباب دعته لذلك، منها قصوره عن معرفة بعضه، ومنها ما شك فيه، ومنها ما عمد بنفيه، ومنها ما تعمد إخراجه عنه.

وقد جمع أميـر المؤمنين القرآن من أوله إلى آخره، وألَّفه بحسـب ما وجب من تأليفه، فقدَّم المكي على المدني، والمنسوخ على الناسخ، ووضع كل شـيء منه فـي موضعـه، فلذلك قـال جعفر بـن مُحَمَّد الصادق عليه السلام: أما والله لو قرئ القرآن كما أنزل، لألفيتمونا فيه مسـمَّيْن كما سمِّي من كان قبلنا[1].

يقول الدكتور الموسوي: وقد ذهب رهط من علماء الشِّيعة إلى عدم التحريف واستشهدوا بالآية الكريمة الَّتي أوردناها[2]، ولكن ذهب آخرون إلى التحريف بإصرار وعناد، منهـم «النوري» الَّذي ألَّف كتابًا أسـماه «فصل الخطاب في تحريف الكتاب» وذكر في الكتاب المذكور عبارات زعم أنَّها آيات قرآنية محرَّفة!

---

(١) بحار الأنوار (٧٤/٨٩).

(٢) يقصد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.



والمتتبع المنصف لا يشك أبدًا أن السبب الَّذي حدا بالمحدِّثين أن يذهبوا إلى تحريف الكتاب هو الاستدلال بآيات منصوصة في إمامة «علي» كانت مذكورة في السور والآيات المُحرَّفة على حد زعمهم، وبذلك كان بعض أعلام الشِّيعة يدافع عن عدم وجود نصّ إلهي في القرآن حول الإمامة بتلك الآيات المزعومة التحريف[1].

هل هناك قرآن آخر للشيعة؟

ومع كثرة الروايات الَّتي يتناقلها الشِّيعة الاثني عشريَّة عن تحريف القرآن ونقصانه، في كتبهم ومجامعهم وملتقياتهم، بل وفي دروسهم وخطبهم؛ يتساءل علماء الإسلام من أهل السُّنَّة: هل الشِّيعة لهم قرآن آخر؟!

قال الكُلَيْني في الكافي ما نصه: عن أبي الحسن قال: قلت: جُعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن، ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم، فسيجيئكم من يُعلِّمكم[2].

ويقول المفيد: «إن الخبر قد صحَّ عن أئمتنا عليهم السلام أنَّهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وألَّا نتعدَّاه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتَّى يقوم القائم عليه السلام؛ فيقرأ النَّاس القرآن على ما أنزله الله تعالى، وجمعه أمير المؤمنين»[3].

وقال نعمة الله الجزائري: «قد رُوِيَ في الأخبار أنَّهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها، والعمل بأحكامه، حتَّى

(١) الشيعة والتصحيح صـ١٣٢.

(٢) أصول الكافي (٦١١/٢)، كتاب فضل القرآن، باب أن القرآن يرفع كما أنزل.

(٣) بحار الأنوار (٧٤/٨٩).



يظهر مولانا صاحب الزمـان؛ فيرتفع هـذا القرآن من أيـدي النَّاس إلى السماء، ويخرج القرآن الَّذي ألفه أمير المؤمنين؛ فيقرأ ويعمل بأحكامه»[١].

وكذلك روى النعماني في «الغَيْبة» ما يشـبه الرواية السابقة، فقد روى بإسـناده إلى أمير المؤمنين علي قال: كأني بالعجم فساطيطهم في مسـجد الكوفة يُعلِّمون النَّـاس القرآن كما أنـزل. قلت: يا أمير المؤمنين: أوَليس هو كما أنزل؟ فقال: لا، مُحِيَ منه سبعون من قريش بأسـمائهم وأسـماء آبائهـم، ومـا تُـرك أبو لهـب إلَّا إزراءً على رسول الله ﷺ؛ لأنَّه عمُّه[٢].

تواتر القول بالتحريف:

يقول المجلسـي: والأخبار من طريق الخاصَّة والعامة[٣] في النقص والتغيير متواترة، والعقـل يحكم بأنه إذ كان القرآن متفرقًا منتشـرًا عند الناس، وتصدَّى غير المعصوم لجمعه، يمتنع عادة أن يكون جمعه كاملًا موافقًـا للواقع، لكن لا ريـب في أن النَّـاس مكلَّفون بالعمـل بما في المصاحف وتلاوته؛ حتَّى يظهر القائم عليه السلام، وهذا معلوم متواتر من طريق أهل البيت عليهم السلام، وأكثر أخبار هذا الباب ممَّا يدل على النقص والتغيير[٤].

---

(١) الأنـوار النعمانيـة (٢/٢٤٨)، وانظـر: أصول مذهـب الشـيعة الإمامية لناصـر القفاري (١/٢٩٦، ٢٩٧)، نشر دار الرضا، الجيزة، ط ٤، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.

(٢) الغيبة للنعماني صـ٣٣٣، ٣٣٤، نشر دار الجوادين، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٣) وهم يجمعون في هذا الباب ما جاء عن الصحابة من قراءات تفسيرية وما ورد من نصوص استشهد بها من قال بالمنسوخ تلاوة ليثبتوا أن أهل السنة يقولون بأن القرآن الذي جمع أيام أبي بكر وعثمان ناقص.

(٤) مرآة العقول للمجلسي (٣/٣٢)، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله.



ويرى المفيد ـ وهو إمام الشِّيعة في عصره ـ إجماع الإماميَّة على تحريف القرآن، فقال: «واتفقوا ـ أي الإماميَّة ـ على أن أئمَّة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي ﷺ»[١].

المنكرون من علماء الشِّيعة لتحريف القرآن الكريم:

لكننا نجد علماء آخرين ينكرون نسبة القول بالتحريف إلى الشِّيعة.

١ ـ ابن بابويه ينكر وقوع التحريف، وينكر نسبة هذا القول للطائفة الإماميَّة:

من هؤلاء ابن بابويه الَّذي يقول: «اعتقادنا أن القرآن الَّذي أنزله الله تعالى على نبيِّه محمَّد ﷺ، هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، وليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند النَّاس مائة وأربعة عشر سورة[٢]، وعندنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة، ومن نسب إلينا أنا نقول: إنه أكثر من ذلك فهو كاذب»[٣].

ثمَّ يأتي بروايات تؤيِّد التحريف!

ولكن لم تسلم كل كتب ابن بابويه من الروايات المشيرة إلى وقوع التحريف، فقد جاء في كتابه «ثواب الأعمال» في ثواب من قرأ سورة الأحزاب، عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال: من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار مُحَمَّد ﷺ وأزواجه! إلى أن قال: إن سورة

(١) أوائل المقالات للمفيد صـ٣٦، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ.

(٢) كذا في الأصل وهو خطأ لغوي، والصحيح «أربع عشرة سورة».

(٣) الاعتقادات لابن بابويه صـ٨٤، نشر دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

الأحزاب فضحت نســاء قريش من العرب، وكانت أطول من سورة البقرة، ولكن نقصوهــا وحرفوها[١]. وهذه الرواية باطلة، ولا تنســب إليه لأنَّه ذكر هذه الرواية الباطلة، دون أن يشير إلى اعتمادها وتصحيحها، ومن الإنصاف: اعتماد ما ذكره في كتاب الاعتقادات من نفي تحريف القرآن الكريم.

٢ ـ الطوسي:

وممَّن أنكر قضيَّة التحريف: الطوســي، فقد قــال: «وأما الكلام في زيادته ونقصانه ممَّا لا يليق به أيضًا؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منــه فالظاهر أيضًا من مذهب المســلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، ورُويت روايات كثيرة مــن جهة العامَّة والخاصَّة بنقصان كثير من آي القرآن، ونقل شيءٍ منه من موضع إلى موضع، لكن طريقها الآحــاد الَّتي لا تُوجِــب علمًا، فالأولى الإعــراض عنها، وترك التَّشــاغل بها؛ لأنَّه يمكن تأويلها. ولو صَحَّت لمــا كان ذلك طعنًا على ما هو موجودٌ بين الدفَّتين، فإنّ ذلك معلومٌ صحَّتُه، لا يعترضه أحدٌ من الأئمَّة ولا يدفعه.

ورواياتنا متناصرة بالحثّ على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه، فما وافقه عمل عليه، وما يخالف يُجتنب ولم يلتفــت إليه. وقد وردت عــن النبيِّ ﷺ رواية لا يدفعها أحد، أنه قال: «إني مخلِّف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترة أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقــا حتَّى يردا عليَّ الحــوض». وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنَّه لا يجوز أن يأمر الأمة بالتمسُّــك بما لا تقدر

(١) ثواب الأعمال للصدوق صـ١١٠، نشر مطبعة أمير، قُم، ط ٢، ١٣٦٨.



على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعًا على صحته فينبغي أن نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه»[١].

التناقض في كلام الطوسي:

لم تسلم أقوال الطوسي من التناقض كذلك؛ فقد نقل في تهذيبه لرجال الكشي: «لا تأخذن معالم دينك من غير شيعتنا، فإنك إن تعديتهم أخذت دينك عن الخائنين الَّذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم، إنَّهم اؤتمنوا على كتاب الله جل وعلا فحرّفوه وبدّلوه»[٢].

وهذه الرواية تغمز بصورة واضحة خير جيل ظهر في الإسلام، الَّذين اصطفاهم الله لصحبة نبيه مُحَمَّد ﷺ. وإنْ أوَّلنا قوله هنا بالتحريف والتبديل الَّذي ينسبه لغير شيعتهم إلى تحريف المعنى دون النص القرآني، لأنَّه ذكر في تفسيره «التبيان» ما يؤكد سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل.

ونحن هنا لا ندري هل هذه الروايات القائلة بالتحريف ممَّا دسَّت في كتبهم من قبل بعض المغرضين، أم أنَّها تمثل رأيهم الحقيقي، وأن ما قالوه أولًا نوع من التَّقيَّة؟!

من علمائهم المعاصرين:

السيد أبو القاسم الخُوئي: وهو من علماء الشِّيعة المعاصرين، وقد بحث قضيَّة التحريف في كتابه «البيان في تفسير القرآن»، وأنكرها بشدة

(١) التبيان في تفسير القرآن للطوسي (٣/١، ٤)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، نشر مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٢) رجال الكشي للطوسي صـ١٥، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤٢٧هـ ق.

ثمَّ قال: «قد تبين للقارئ أن حديث تحريف القرآن حديث خرافة وخيال، لا يقول به إلا من ضعف عقله، أو من لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو من ألجأه إليه يحبِّب القول به. والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته»(١).

تناقض الخُوئي:

ثم يقول في تفسيره «البيان»: «إن وجود مصحف لأمير المؤمنين عليه السلام يغاير القرآن الموجود في ترتيب السور ممَّا لا ينبغي الشك فيه. وتسالم العلماء والأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته، كما أن اشتمال قرآنه عليه السلام على زيادات ليست في القرآن الموجود وإن كان صحيحًا إلا أنه لا دلالة في ذلك على أن هذه الزيادات كانت من القرآن؛ وقد أسقطت منه بالتحريف؛ بل الصحيح أن تلك الزيادات كانت تفسيرًا بعنوان التأويل، وما يؤول إليه الكلام أو بعنوان التنزيل من الله شرحًا للمراد»(٢).

وبهذه العبارات يريد الخوئي إثبات مصحف للإمام «علي» يختلف عن القرآن، ولكنَّه في الوقت نفسه يضيف جملة محيرة وهي: «أو بعنوان التنزيل من الله شرحًا للمراد» ولست أدري ما هذا الإصرار على تسمية شرح للقرآن وتفسير له بالمصحف، ثمَّ ما هو هذا الإجماع الَّذي يدَّعيه بقوله: «تسالم العلماء الأعلام على وجوده أغنانا عن التكلف لإثباته» ومتى أجمع العلماء على ذلك، اللهمَّ إلا نفر قليل استندوا على كلام ينسب إلى الإمام «علي» ذكره «الطبرسي» في «الاحتجاج»!

---

(١) البيان في تفسير القرآن للخوئي صـ٢٥٩، نشر أنوار الهدى، ط ٨، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.
(٢) المصدر السابق صـ٢٢٣.



يقول الدكتور موسى الموسوي: وإذا لم تخنِّي الذاكرة فقد ناقشت موضوع هذا المصحف مع العلامة الكبير «الخوئي» ولم يأتِ بشيء أكثر من الاستشهاد على رواية الطبرسي، وانتهى الحوار إلى جدل عنيف وحاد[١].

جعفر السبحاني:

وقد أدان فكرة تحريف القرآن بشدَّة، وأدان من يرمي الشِّيعة الإماميَّة بها تحججًا بما كتبه صاحب «فصل الخطاب»، وكان ممَّا قال: «إنّ المتحاملين على الشِّيعة في مسألة تحريف القرآن يستندون إلى كتاب «فصل الخطاب» للمحدِّث النوري الَّذي جمع فيه المسانيد والمراسيل، الَّتي استدل بها على النقيصة، ولكن غفل المتحامل عن الرسائل الكثيرة التي أُلِّفت ردًّا عليه».

ثمَّ عرج السبحاني على الكُلَيْني وكتاب «الكافي» المليء بروايات التحريف قائلًا: «إنّ كلّ من يتهم الشِّيعة بالقول بالتحريف يستند إلى وجود روايات التحريف في الكافي، ولكنَّه غفل عن أنَّ كتاب الكافي في نظر الإماميَّة ليس كالصحاح في نظر أهل السُّنَّة الَّذين يقولون: إن كل ما في البخاري صحيح. وإنَّما هو كتاب فيه الصحيح والضعيف والمراسيل، وما يوافق الكتاب وما يخالف، فلا يمكن الاستدلال بوجود الرواية فيه على عقيدة الشِّيعة»[٢]. وهذا كلام واضح لا غبار عليه في نفي القول بتحريف القرآن لعموم الشِّيعة، ولا ينبغي أن نلزمهم بكتاب «فصل الخطاب» الَّذي أعلن العقلاء والحكماء تبرأهم منه.

---

(١) الشيعة والتصحيح صـ١٣٢، ١٣٣.

(٢) مفاهيم القرآن لجعفر السبحاني (٤٤٦/١٠)، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م.



القول بالتحريف لا يخل بالمذهب!

وممَّن دافع عن صحَّة نص القرآن وأنَّه لم يحرف: آية الله السيِّد علي الفاني في كتابه «آراء حول القرآن»؛ مناقشًا مسألة التحريف، وأثر ذلك على عقيدة من يقول به؛ فقد انتهى إلى أن القائل بالتحريف لا يخرجه ذلك عن الإسلام، فيقول: لا يضر القول بالتحريف بمذهب القائل به؛ لأن الإسلام يطلق تارة على الإسلام الصوري النظامي؛ وهو يتحقق بأداء كلمتي الشهادتين؛ بشرط ألَّا ينقضهما في مرحلة الظاهر بإظهار ما يخالفهما، وأخرى على أدائهما مع الاعتقاد القلبي بمضمونهما، وما جاء به النبي ﷺ مع العمل بالوظائف الدِّينيَّة.

والقول بالتحريف لا يخل بالأول قطعًا، لا دلالة له بالمطابقة، أو بالالتزام على إبطال الشهادتين، ولا يخل بالثاني أيضًا؛ لأنَّه لا دليل على لزوم الاعتقاد بعدم وقوع التحريف في القرآن، فالقول بالتحريف أو القول بعدمه لا ربط لهما بالإسلام بالمعنى الثاني، ولذا نقول بأن جملة من الاختلافات العقائديَّة لا توجب الكفر أصلًا؛ كنفي بعض المناقب ـ علم الغيب مثلًا ـ عن الأئمَّة عليهم السلام، أو الاعتقاد بعدم مقام الشفاعة لهم يوم القيامة، أو عدم رجوعهم إلى الدُّنيا حين ظهور قائمهم «عليه السلام». كما أن إثبات بعض المناقب لهم لا يوجب الكفر، فلا يجوز رمي القائل به بالغلو وطرح خبره لذلك.

فيجب علينا ألَّا نبادر بالتجاسر على القائل بالتحريف، بل القائل به إنَّما ترجح بنظره التحريف لأجل الروايات الآتية الناظرة بنظره إليه، من دون نظر ثاقب إلى أسانيدها ومداليلها؛ تورُّعًا في الدين وحذرًا من التشكيك في الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وإن ضعفت



أسانيدها، وحفظًا لظواهرها، وإن خالفت العقل، فتجد في كلام القائلين بالتحريف أنه لو لم نأخذ بتلك الأخبار فبأي شيء نثبت الإمامة والأحكام الشرعيَّة! إلخ. نعم علينا نحن إيضاح الحق بما يقتضيه المنطق الصحيح والبرهان الصريح.

فقد نشأ القول بالتحريف استنادًا إلى الأخبار واستظهارًا منها، فالقول بأن هذا الرأي خرافة إفراط في التعبير، إذ إنَّ الخرافة عبارة عن الخيالات الفاسدة الَّتي لا أساس لها أبدًا، والقول بالتحريف وإن كان اشتباها إلا أن له منشأ وهو الأخبار، فاللازم تحليلها سندًا ودلالة، لا رمي القائل به بالخرافة»[1].

هل القول بعدم التحريف محاولة التعايش مع الواقع؟

وهنا يجب أن نتساءل هل القول بعدم التحريف عقيدة صادقة عند من قالوا به من علماء الشِّيعة الاثني عشريَّة، أم أنه نوع من التَّقيَّة، ولون من ألوان التعايش مع الواقع الَّذي يعيشونه؛ خشية أن يفتضح أمرهم، وتُكشف سريرتهم.

قال المجلسي: غير أن الخبر الصحيح عن أئمتنا عليهم السلام أنَّهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وألا نتعداه إلى الزيادة فيه ولا النقصان منه، حتَّى يقوم القائم عليه السلام ، فيقرأ النَّاس القرآن على ما أنزل الله، وجمعه أمير المؤمنين عليه السلام ، وإنَّما نهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت من المصحف؛ لأنَّها لم تأتِ على التواتر، وإنَّما جاءت بها الآحاد، والواحد قد يغلط فيما ينقله، ولأنَّه متى قرأ الإنسان بما

---

(١) آراء حول القرآن صـ٨٧، ٨٨، نشر دار الهادي، ط١.



يخالف ما بين الدفَّتَين غرَّر بنفسه من أهل الخلاف، وأغرى به الجبَّارين، وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا عليهم السلام عن قراءة القرآن بخلاف ما ثبت بين الدفتين لما ذكرناه[1].

مناقشة الدكتور عبد المنعم النمر للتسخيري:

وقد نقل فضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف المصري السابق في كتابه: «الشيعة، المهدي، الدروز! تاريخ ووثائق» الحوار الَّذي دار بينه وبين الشيخ مُحَمَّد علي تسخيري داعية التقريب.

قال رحمه الله: «التقيت بالشيخ مُحَمَّد علي تسخيري في أوَّل جلسة، وتبادلنا التحية والمصافحة، وذكَّرني بأن أوَّل لقاء كان في أحد الملتقيات الفكريَّة في مدينة قسنطينة بالجزائر في أوائل الثمانينيَّات.

وفي اليوم الثاني خرجنا سويًّا من الجلسة للاستراحة، ودار بيننا حديث بدأه هو، حين قال لي: لقد ظلمتنا حين نسبت إلينا أنَّنا نقول بتحريف القرآن، وأن الصحابة الَّذين جمعوه قد أسقطوا منه سورًا وكلمات، تثبت حق علي رضي الله عنه في الإمامة بعد الرسول.

قلت له: نعم؛ ذكرتُ ذلك، معتمدًا على ما جاء في كتبكم، وذكرت هذه الكتب، وعلى رأسها كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الَّذي ألفه عالمكم الكبير «الشيخ حسين النوري الطبرسي» في آخر القرن الثالث عشر الهجري، وطبع في إيران «سنة ١٢٩٨هـ»، ونقلت بعض ما جاء في هذا الكتاب بالنص، فكيف أكون قد ظلمتكم،

(١) مرآة العقول (٣١/٣)، كتاب الحجة، باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام وأنهم يعلمون علمه كله.



وأنا لم أذكر كلمة في ذلك إلا من نص كتبكم، وما قرَّره علماؤكم، وقد أحطتم مؤلف كتاب «فصل الخطاب» هذا بكل تكريم عند وفاته «سنة١٣٢٠هـ»، حيث دفن في مشهد الإمام المرتضوي بالنجف، أشرف البقاع عندكم!

قال: هذا الكتاب لا يساوي شيئًا، وأنا أضعه تحت قدمي «وضرب الأرض بقدمه» وهو منفعل.

قلت له: ولماذا تبقون عليه مُعتَبرًا عندكم، إذا كان الأمر كذلك؟ لماذا لم تعلنوا أنكم لا تقرون ما جاء في هذا الكتاب، وتنشروا هذا على نطاق واسع، حتَّى أعلم أنا وغيري أن هذا الكتاب لا يعبر عن رأيكم، ولا رأي المذهب والمتمذهبين به؟ وهل صدر قرار أو بيان على الأقل من المرجع الأعلى للشيعة وهو الآن «آية الله الخميني»[1] بعدم صحة ما جاء في كتبكم، وعلى رأسها كتاب الطبرسي هذا، من اتهامكم للصحابة الَّذين جمعوا القرآن بأنهم حرفوه؟ وذلك حتَّى تقوموا بحذف هذه الاتِّهامات من هذه الكتب عند إعادة طبعها، أتعجزون عن هذا؟!

لم يحصل منكم شيء من ذلك، وأنا أعرف أن بعض علمائكم يتبرؤون في مجالسهم من ادِّعاء تحريف القرآن، لكن الصوت العالي والرواج هو للرأي الَّذي يدَّعي أن الصحابة حرَّفوا القرآن، فلماذا لم تصدروا بيانًا للشعب الَّذي يتعلَّم من هذه الكتب، باستنكاركم لهذا الاتِّهام؟!

قال لي: وقد تحدثتَ أيضًا عن قولنا بأن هناك مصحفًا يقال له «مصحف فاطمة»، ونحن لا نقول بهذا.

(١) كان هذا في حينه.

قلت له: نعم؛ تحدثـتُ عما تقوله أوثق المصـادر عندكم من أن الوحـي كان ينزل على السـيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بعد وفـاة والدها، وكان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو كاتـب الوحـي، حتَّى تجمع مـن ذلك ما سـمَّيتموه «مصحف فاطمة».

وكان أوَّل علمـي بهذا اطلاعي على خطبة للخمينـي أذاعتها إذاعة طهران، قـال فيها حيـن كان يخطب في اجتماع للسـيدات، بمناسـبة الاحتفال بذكرى مولد السـيدة فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ : إنني أجد نفسي عاجزًا عن الحديث عن السـيدة فاطمة، ولكني أكتفي برواية مدعمة بالأدلَّة ذكرها كتاب «الكافي»! وذكر للسيدات هذه الرواية.

وكتاب «الكافي» للإمـام الكُلَيْني عندكم هو البخـاري عندنا، وقد اضطرني هـذا إلى أن أذهب للنجـف في زيارة أحـد علمائكم الكبار، واسـتطعت أن أطلع في مكتبته على ما ذكره من هذا الكتاب «الكافي» وهو مطبوع في إيران.

وقد أثبـتُّ في كتابي الجـزء والباب الَّذي ذكر نـزول الوحي على فاطمة، ومصحفها بكل صراحة. فهل أكون متجنِّيًا عليكم وظالمًا لكم، حين أسـتقي معلوماتي من أوثق المصادر عندكـم؟ وأنقلها بالنص من كتبكم؟

قال لي: هذه الكتب لا قيمة لها، ولا يوثق بها.

قلت له: كيف، وأنتم تنشرون كتاب «الكافي» هذا على نطاق واسع في العالم، حتَّى في أمريكا، بل وتترجمونه إلى اللغة الإنجليزية، ليقرأه كل من يعـرف الإنجليزية في الغرب والشـرق، وتحت يدي ملازم من



الطبعة الجديدة مــن الترجمة، فهل يمكن أن يقــال عن كتاب «الكافي» هذا: إنه لا قيمة له عندكم؟! وأنتم تبذلون ما تبذلون من جهد ومال في طباعته وترجمته بمئات الآلاف من النســخ، لتوزعــوه في أنحاء العالم كدعاية لكم ولمذهبكم، هل يعقل هذا؟!

قال: إنَّ عندكم كتبًا في التفســير فيها كثير من الإســرائيليَّات، فهل معنى ذلك أنَّكم تقرُّونها؟

قلتُ: صحيح أن هناك إســرائيليَّاتٍ وأحاديثَ غير صحيحة، ولكن كان بعض المفسرين ينبِّهون إليها، ويقرِّرون كذبها، ونحن الآن نُحاربها، ونؤلِّف الكتب فــي بيانها، والتحذير من تصديقهــا، وقام بعض علمائنا بتهذيب هذه الكتــب، وإبعاد ما جاء فيهــا من إســرائيليَّات وأحاديث موضوعة وغير صحيحة! بينما نراكم تعنون بتجديد طباعة كتب تقولون عنها الآن إنها لا قيمة لها، بل وتترجمونها وتطبعون الترجمة على أوسع نطاق! فأيهما نُصدِّق؟ الكلام الَّذي ينقصه الدليل ولو ضعيفًا، أو الواقع وهو أقوى دليل؟!»[(١)].

القرآن متبوع لا تابع:

ينبغي لمن يتلقى القــرآن الكريم: أن يتجرَّد مــن اعتقاداته وأفكاره السابقة. وأن يكون موقفه من القرآن موقف المتلقي الَّذي يهتدي بهداه، وينظر إليه على أنه الأصل الَّذي يرجع إليه، ويعوِّل عليه، ويســتمِدُّ منه، ويُحكِّم عند التنــازع. فهو المتبــوع لا التابع، والحاكــم لا المحكوم، والأصل لا الفرع.

(١) مقدمة الطبعة الرابعة: «من الشيعة، المهدي، الدروز» للدكتور عبد المنعم النمر.



لقد قال عالم كبير من علماء الحنفيَّة في باكستان[١] لطلابه ومريديه كلمــة جديرة بالتســجيل والتنويه، وذلك حين كان يــدرس لهم ـ وهم أحناف ـ علم الحديث، قال لهم منصفًا: لا بأس أن تتمســكوا بمذهبكم الحنفي، وأن تستدلوا له، ولكن إياكم أن تجعلوا الحديث حنفيًّا!

وصدق الشيخ. فالحديث لا ينبغي أن يُمذهَب: لا أن يُحنَّف، ولا أن يُملَّك، ولا أن يُشفَّع، ولا أن يُحنبل! فالحديث فوق المذاهب كلها، وهي تتبعه ولا يتبعها.

وهذا الَّذي قيل في الحديث الشريف، يجب ويلزم من باب أولى أن يقال فــي القرآن العظيــم؛ فلا يجوز ولا يليــق أن يكون القــرآن تابعًا لمذهب في الفقه، أو نِحلَة في الكلام، أو مقولة في الفلسفة، أو شطحة في التصوف.

لا يجوز أن يكون القرآن حنفيًّا ولا شــافعيًّا، ولا مالكيًّا ولا حنبليًّا، ولا ظاهريًّا ولا إباضيًّا، ولا زيديًّا ولا جعفريًّا.

لا يجوز أن يكون القرآن معتزليًّا ولا أشعريًّا، ولا خارجيًّا ولا شيعيًّا.

لا يجوز أن يكون القرآن إسماعيليًّا ولا نُصيريًّا ولا قاديانيًّا.

لا يجوز أن يكون القرآن جُنَيديًّا ولا قُشيريًّا ولا قادريًّا ولا نقشبنديًّا.

بل يجب أن يكــون القرآن فوق الجميع، ومرجــع الجميع، وحاكم الجميع.

---

(١) هو العلامة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان في عصره، وهو والد صديقنا الفقيه محمد تقي العثماني حفظه الله.



نداء إلى علماء الشِّيعة:

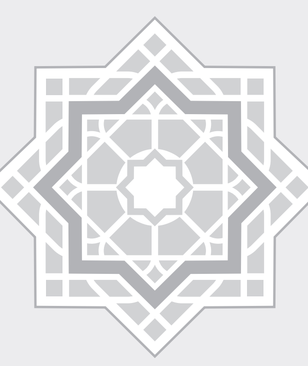
إننا لا نقبل القول بتحريف القرآن أو نقصانه، الَّتي امتلأت بها كتب الحديث والتفسير وغيرها عند الشِّيعة، والتي أصبحت معلومة لا تُنكَر، ظاهرة لا تستر، وانتشر القول بها بين العامَّة والخاصَّة؛ كيف لا وقد نسبت إلى أساطين المذهب وعلمائه، وتناقلتها الكتب والمراجع، ولهج بها الخطباء والوعاظ، وسارت بها الركبان؛ حتَّى لُصقت بالمذهب الاثني عشري.

وعلماء المسلمين من أهل السُّنَّة والجماعة وجماهيرهم يرون القول بهذا كفرًا بيِّنًا، وتكذيبًا صريحًا لآيات الكتاب العزيز، ولوعد الله الصادق أن يحفظ على هذه الأمة دينها وقرآنها: أن تمتد إليه يد آثمة، أو تعبث به فئة ضالة.

ولا يقبل علماء الإسلام في هذه المسألة أقل من أن تصدر المجامع الشِّيعيَّة العِلميَّة، وكبار علمائهم بيانًا واضحًا، أو فتوى ظاهرة لا تحتمل اللبس أو التأويل؛ بالبراءة من هذه الفرية، وتكذيب هذه الرّوايات المختلقة، وتخطئة العلماء القائلين بها.

وإلا فما معنى أن نقول في المجالس الخاصَّة شيئًا، ثمَّ لا ننكر خلافه في المجالس العامَّة، وكما قيل: الساكت عن الحق كالمتكلم بالباطل!

* * *



الفصل الثاني

الشيعة الاثنا عشريَّة والسُّنَّة النبويَّة



الشيعة الاثنا عشريَّة والسُّنَّة النبويَّة

تعريف السنة:

السُّنَّة في اللغة: الطريقة المُتَّبعة؛ حسنة كانت أم سيِّئة. ومنه قوله ﷺ: «**مَن سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة، فله أجرُها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومَن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[(١)].

السُّنَّة في الاصطلاح:

السُّنَّة عندنا نحن أهلَ السُّنَّة والجماعة معروفة بيِّنة، وهي: ما أضيف إلى سيِّدنا مُحَمَّد ﷺ من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة.

والصحيح من السنَّة هو: ما اتَّصل سنده، برواية عدل تامِّ الضبط، من أوَّل السند إلى منتهاه، من غير شذوذ ولا علَّة.

منزلة السُّنَّة في الإسلام:

إذا كان القرآن الكريم هو الآية العظمى والمعجزة الكبرى لمحمد ﷺ، وهو الكتاب المحفوظ الخالد الَّذي لا يأتيه الباطل من بين

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦)، عن جرير بن عبد الله.



يديه ولا من خلفه، وهو المصدر الأوَّل المقطوع بثبوته، من أوله إلى آخره، وبه يُحتج على كل مصادر الإسلام وأدلته الأخرى، ولا يُستدل بها عليه. فإنَّ السنَّة النبويَّة تأتي مصدرًا تاليًا للقرآن، مُبَيِّنًا له، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. فالرسول هو المبيِّن للقرآن بقوله وعمله وتقريره.

وبهذا نعلم أن السنة هي التفسير العملي للقرآن، والتطبيق الواقعي والمثالي أيضًا للإسلام، فقد كان النبي ﷺ هو القرآن مُفَسَّرًا، وَالإسلام مُجَسَّمًا.

وقد أدركت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا المعنى، بفقهها وبصيرتها، ومعايشتها لرسول الله ﷺ؛ فعبرت عن ذلك بعبارة مشرقة بليغة، حين سُئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت: كان خُلُقه القرآن[1].

فمن أراد أن يعرف المنهج العملي للإسلام بخصائصه وأركانه، فليعرفه مفصَّلًا مُجسَّدًا في السنَّة النبويَّة القوليَّة والعمليَّة والتقريريَّة.

فالقرآن هو الدستور الَّذي يحوي الأصول والقواعد الأساسيَّة للإسلام: عقائده، وعباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وآدابه.

والسُّنة: هي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن في ذلك كله.

ولهذا يجب اتباعها والعمل بما جاءت به من أحكام وتوجيهات. وطاعة الرسول فيها واجبة، كما يُطاع فيما بلَّغه من آيات القرآن.

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأحمد (٢٤٦٠١).

حجيَّة السُّنة ومكانتها في التشريع والتوجيه:

والسـنَّة النبويَّة حُجَّة في التشـريع والتوجيه والبيان؛ دَلَّ على ذلك القرآن الكريم، ودَلَّت على ذلك السُّـنة نفسـها، ودَلَّ على ذلك إجماع الأُمة، ودَلَّ على ذلك العقل والنظر.

الدليل من القرآن:

أوْجب القرآن الكريم على المسلمين طاعة الرسول بجوار طاعة الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

وجعل طاعتـه طاعـةً لله تعالـى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وأبان أن ثمرة طاعته الاهتداء: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤].

وجعل اتباعه دليلًا على محبة الله ﷻ ومغفرته: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: ٣١].

وأمرهم باتباعه فيما يأمر به، وينهى عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

وأمرهم بالاسـتجابة لدعوته، واعتبـر ما يدعوهم إليه هـو الحياة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وحذَّر مـن مخالفة أمـره: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وأوجب الرجوع إليـه عند التنـازع: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].



ولم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة خيارًا في قبول حُكمه: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأقسم على نفي الإيمان عمَّن أعرض عن تحكيمه، أو لم يقبل حكمه راضيًا مُسلِّمًا: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

وجعل قبول حُكمه هـو ما يميِّز الإيمان من النفـاق: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٥١].

ورغَّب في الاقتداء به: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

الدليل من السُّنة:

وأما السُّـنة، فقد دَلَّت الأحاديـث الكثيرة على وجـوب اتِّباعه ﷺ وطاعته.

من ذلك ما رواه أبو هُرَيْرة أنه قال: «**كل أمَّتي يدخلون الجنَّة إلا مَن أبى**». قيل: ومَنْ يَأبى، يا رسولَ الله؟ قال: «**مَن أطاعني دخل الجنَّة، ومَن عصاني فقد أبى**»[1].

وعن العِرباض بن سارية قال: وعظنا رسـول الله ﷺ موعظة وجِلتْ منها القلوب، وذرِفتْ منها العيون، فقلنا: يا رسـولَ الله، كأنها موعظة

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٠).



مُوَدِّع! فأَوْصِنا. قال: «**أُوصِيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة؛ وإن تأمَّر عليكم عبد، وإنه مَن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدَثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[١].

فهو يوصيهم أن يرجعوا إلى السُّنَّة عند كثرة الاختلاف، لتجتمع كلمتهم، فلا تُضلهم البِدع، ولا تتفرَّق بهم السُّبُل.

ومما ينبغي ذكره هنا: الأحاديث الَّتي حَذَّرت من دعوى الاستغناء بالقرآن عن السُّنة، كما هو شأن قِلَّة من أهل الترف والاسترخاء، كشف النبي عليه السلام النقاب عنهم من وراء الغيب؛ كأنه يشاهدهم رأيَ العين. وذلك في قوله ﷺ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتاب ومثله معه، ألا إنِّي أوتيتُ القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعانًا على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحِلُّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه**»[٢].

وقال ﷺ: «**لا ألفينَّ أحدكم متَّكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري ممَّا أمرتُ به، أو نهيتُ عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**»[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٤)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود في السنة (٤٦٠٧)، والترمذي في العلم (٢٦٧٦): وقال: حسن صحيح. والحاكم في العلم (١٧٤/١)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد (١٧١٧٤): وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي في العلم (٢٦٦٤): وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤٣)، عن المقدام بن معديكرب.

(٣) رواه أحمد (٢٣٨٧٦): وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في السنة (٤٦٠٥)، والترمذي في العلم (٢٦٦٣)، وابن ماجه في المقدمة (١٣)، والحاكم في العلم (١٠٨/١)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٣)، عن أبي رافع.



ولا غـرو أن حثَّ على تبليغ السُّـنَّة، ونشـرها، كما فـي الحديث المشهور: «**نَضَّرَ الله امرأً سـمع منَّا حديثًا فحفظه حتَّى يبلِّغه غيره، فرُبَّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه**»[1].

وقال في حجَّة الوداع: «**ليبلِّغ الشـاهدُ الغائبَ، فإنَّ الشاهد عسى أن يبلِّغ مَن هو أوعى له منه**»[2].

إجماع الصحابة والأمَّة من بعدهم على حُجِّيَّة السنَّة:

وقد «أجمـع» أصحاب رسـول الله ﷺ علـى الرجوع إلى السُّـنَّة، واعتبارها مصدرًا للأحكام الشرعيَّة مع القرآن، ومضى على ذلك الخلفاء الراشدون، ومَن بعدَهم قولًا وعملًا.

واسـتمرَّ الصحابة ومَن تبعهم بإحسـان في الرجوع إلى السُّنة بعد القرآن، لمعرفة ما تعبَّد الله به عباده من الحلال والحرام وسائر الأحكام، في العبادات والمعاملات. واسـتمرَّ من بعد الصحابـة والتابعين فقهاءُ الأمصار، وأئمَّةُ المذاهب المتبوعة، وأصحابُهم وتلاميذهم، وغدت السُّنة للجميع المصدرَ الغنيَّ الخِصب في كلِّ أبواب الفقه.

جُلُّ أحكام الفقه مرجعها السُّنة:

والحق الَّذي لا مراء فيه: أنَّ جُلَّ الأحكام الَّتي يدور عليها الفقه في شـتَّى المذاهب المعتبَرَة قد ثبت بالسُّنة. ومَن طالع كُتُب الفقه تبيَّن له ذلك بكل جلاء! ولو حذفنا السُّـنَن، وما تفرَّع عليها واستُنْبط منها من

(١) رواه أحمد (٢١٥٩٠): وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦): وقال: حسن. كلاهما في العلم. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٠) عن زيد بن ثابت.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

تراثنا الفقهـــي، ما بقي عندنا فقه يُذكــر! ولهذا كان مبحث «السُّـــنة» باعتبارها الدليل التالـــي للقرآن في جميع كتب أصـــول الفقه، ولدى جميع المذاهب المعتبَرة مبحثًا ضافيًا طويـــل الذيول، يتناول حجيَّتها وثبوتها، وشروط قبولها، ودلالتها وأقسامها، إلى غير ذلك ممَّا لا يخفى على الدارسين.

وهذا كمـــا قلت ينطبـــق على جميـــع المذاهب، مـــن مذهب داود وابن حزم الظاهري المنكرين للقياس والتعليل، إلى أبي حنيفة وأصحابه الَّذين يُعرفون باسم «مدرسة الرأي» في تاريخ الفقه الإسلامي.

* * *

عناية أهل السُّنَّة بالسُّنَّة النبويَّة

للسُّنَّة في الأمَّة الإسلاميَّة مكانة عظيمة في مصادرنا الأصليَّة، فهي دائمًا تُذكر بجوار القرآن الكريم، نقول دائمًا: مصادرنا الأصلية المعصومة هي: كتاب الله تعالى، وسنَّة نبيِّه ﷺ.

والسُّنَّة النبويَّة هي مصدر التشريع الثاني بعد القرآن الكريم، وهي ترجمة عمليَّة لأحكامه؛ مبيِّنة له، ومُخصِّصة لعمومه، ومقيِّدة لإطلاقه، ومفسِّرة لمبهمه، وموضِّحة بعض ما فيه من مفاهيم مهمَّة، ومصطلحات وكليَّات قد تلتبس جزئيَّاتها أو بعضها على بعض الناس، فيقوم الرسول الكريم بتبيينها، وتوضيح أيّ غامض فيها، فترتد بصيرة بينة مفهومة.

وحين نتحدث عن السنة عند أمَّة الإسلام الكبرى «أهل السُّنَّة والجماعة»، فإننا نتحدَّث عن شيء كبير، وعن حجم هائل، وعن مكتبة ضخمة من العلوم والمعارف، وصلت فيما ذكر العلَّامة الحافظ السيوطي (ت٩١١هـ) إلى تسعين علمًا من علوم السنَّة أو الحديث.

وإذا نظرت إلى هذه الدواوين الكبيرة وجدنا أمامنا ذخيرة رائعة، بدأها علماء الأمة منذ القرن الأوَّل الهجري، ثمَّ أخذت تتَّسع وتمتد من القرن الثاني، إلى الثالث وما بعده حتَّى اليوم.

فأمامنا الصحيحان: اللذان يعتبران أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى،



وهما: صحيح الإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ) وصحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) وكتب السنن الأربعة: سنن أبي داود (ت٢٧٥هـ)، والترمذي (ت٢٧٩هـ)، والنسائي (ت٣٠٣هـ) وابن ماجه (ت٢٧٣هـ).

ويضاف إليها موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة (ت١٧٩هـ)، ثمَّ يأتي من المسانيد: مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) ثمَّ هناك صحيح ابن خزيمة (ت٣١١هـ)، وبعده صحيح ابن حبان (ت٣٥٤هـ)، ومستدرك الحاكم (ت٤٠٥هـ)، والسنن الكبرى للبيهقي (ت٤٥٨هـ)، وغيرها من الكتب والمصنفات.

عمل المحدِّثين من أهل السُّنَّة فخر لمن ينتسب إلى الإسلام:

خلَّف علماء الحديث لمن بعدهم تراثًا يفخر به كل من ينتسب إلى الإسلام، فقد درسوا الحديث رواية ودراية، وإسنادًا ومتنًا، رواة وعللًا؛ بما لا يدع زيادة لمستزيد، وكان علمهم ممَّا تفرَّد به أهل الإسلام عن الأمم الأخرى.

المنهج الَّذي سار عليه السلف في تلقي الحديث وتدوينه:

وقد كان لسلف الأمة من المحدثين منهج لتلقِّي الحديث وتدوينه بل للاستيثاق من الأخبار، قلَّ أن تجد عند أمَّة من الأمم مثله، تتمثَّل لبناته الأساسيَّة في:

تلقِّي الحديث من العلماء المتقنين:

وقد كان المُحدِّثون يأخذون الحديث من أهله العارفين به، المتقنين له، كما قال مالك: «أدركتُ هذا المسجد، وفيه سبعون شيخًا



ممن أدرك أصحاب رسـول الله ﷺ، وروى عـن التابعين! ولا يُحمَل الحديث إلا مِن أهله».

وقال أبو الزِّنَاد: «أدركـتُ بالمدينة مائة كلهم مأمون، لا يؤخذ عنهم العلم، كان يُقال: ليس هم من أهله»[1].

نقد الرواة:

وقد وضعوا ضوابط لمن تقبل روايته، ومن لا تقبل، ووضعوا قرائن التعديـل والتجريح، والعدالـة والضبـط، وتَتَبَّعوا الرواة فـي بلدانهم، واختبروا ضبطهم وحفظهم، في فترات حياة أحدهم منذ بدأ طلب العلم حتَّى وفاته، ومن خلال رحلاته المتشابِكة: متى ضبط؟ ومتى اختل؟ متى سلك الجادَّة؟ ومتى انحدر؟ عمَّن ضبط؟ وعمَّن تساهل؟ متى حدَّث مِن حِفظه؟ ومتـى حدَّث مِن كتابـه؟ أين خرجت رواياته مسـتقيمة؟ وأين انحرفت؟ من روى عنه حال إتقانه؟ ومن روى عنه إذا تغيَّر واختلط؟

هذا النقد للراوي ومروياته لا مثيل لـه في أمَّة من الأمم أو حضارة من الحضـارات، مع حياد قـلَّ أن يوجَد نظيـره، وموضوعيَّة لا تعرف المُحاباة لقرابة أو نسب، حتَّى وُجِد من يضَعِّف أباه، ومن يوصي بترك حديث أخيه، ومن يتتبع أخطاء شيوخه، إحقاقًا للحق، وذودًا عن حِياض السنة المشرفة.

الجرح والتعديل نصيحة في الدين وليس غِيبة:

كان علماء الحديث وجهابذة الجرح والتعديل يقومون بعملهم حفاظا على السُّـنَّة؛ لا رغبة في غِيبة الناس. يقول البيهقـي: «حتى كان الابن

(١) الكامل لابن عدي (١/١٧٧)، نشر الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

يقدح في أبيه إذا عثر منه على ما يوجب رد خبره، والأب في ولده، والأخ في أخيه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تمنعه في ذلك شُجْنة رحم، ولا صلة مال»[١].

وقال عبد الرحمن بن مَهديٍّ: «خَصلتان لا يستقيم فيهما حُسن الظن: الحُكْم والحديث»[٢].

ويقول يحيى بن سعيد القطان وقد سُئل: أما تخشى أن يكون هؤلاء (الذين ضعَّفهم) خصماءك عند الله تعالى؟ فقال: «لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليَّ من أن يكون خَصمي رسول الله ﷺ، يقول: لِمَ حدثتَ عني حديثًا ترى أنه كذب؟»[٣].

نقد الأسانيد:

وكانت عناية أئمَّة النقد بالأسانيد، ونقدهم لها، والحرص على معرفتها، من دعائم المنهج الحديثي الصارم، حيث بلغت عنايتهم درجة تصل إلى حد أنَّهم لم يدَعوا زيادة لمستزيد، وقد خلفت آثارهم أركان منهج علمي دقيق، يقوم على التَّحقُّق من اتِّصال تلك الأسانيد أو انقطاعها، ومعرفة المرفوع من الموقوف، والمسند من المرسل، والكشف عن المدلِّسين وأحوالهم وتعيينهم بأسمائهم.

فقد جعل الله الإسناد خصيصةً لهذه الأمَّة، ومظهرًا من مظاهر تكريمها وتشريفها، وسببًا من أسباب الحفاظ على ما بأيديها من تراثها،

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٤٧/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٥/٢)، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٩٣/٥٤).



وما أُثر من رســولها الكريم، بخلاف غيرها من الأمم. قال ابن سيرين: «الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء»[١].

وقال سُفْيان الثوري: «الإسناد سلاحُ المؤمن، إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيء يقاتل؟»[٢].

وقال ابن المُبارَك: «مَثَل الَّذي يطلب أمر دينه بلا إسناد؛ كمثل الَّذي يرتقي السطح بلا سُلَّم»[٣].

نقد المتون:

وكذلك قام المحدِّثون بنقد متن الحديث الشــريف خير قيام، وهذا ما يتَّضح من قول الشافعي: «ولا يستدل على أكثر صدق الحديث وكذبه إلا بصدق المخبر وكذبه، إلا في الخاص القليل من الحديث، وذلك أن يســتدل على الصدق والكذب فيه؛ بأن يحدِّث المُحدِّث ما لا يجوز أن يكون مثله، أو ما يخالفه ما هو أثبت وأكثر دلالات بالصدق منه»[٤].

إنَّ المُحَدِّثين لم يحكموا بمُجرَّد العلم بأحوال الرواة على المرويَّات ولا ألغوا عقولهم، ولا رووا ما لا تستســيغه العقــول وأعطوها دلالات الصحة، وإنَّما كانت لهم مقاييسهم النقدية للمتون.

يقول ابن الجوزي: المستحيل لو صدر عن الثقات رُدَّ ونُسِبَ إليهم الخطأ؛ ألا ترى أنه لو اجتمع خلقٌ من الثقــات، فأخبروا أن الجمل قد

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/١٥)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث.

(٢) المجروحين لابن حبان (١/٢٧)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، نشر دار الوعي، ١٤٠٢هـ.

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب صـ٣٩٣، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٤) الرسالة للشافعي صـ٣٩٩، تحقيق أحمد شاكر، نشــر مكتبه الحلبي، مصر، ط١، ١٣٥٨هـ ـ ١٩٤٠م.



دخل في سَـمِّ الخِياط لما نفعتنا ثقتهم، ولا أثرت فـي خبرهم، لأنَّهم أخبروا بمسـتحيل، فـكل حديث رأيتـه يخالف المعقـول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع؛ فلا تتكلف اعتباره[١].

ويقول الإمام ابن القيم وقد سُـئل رَحِمَهُ اللَّهُ عن إمكانيَّة معرفة الحديث الموضوع بضابط غير فحص السند والتَّعرف على رواة الحديث، فأجاب: «إنَّما يعلم ذلك مَن تَضلَّع في معرفة السُّنَن الصحيحة، واختلطت بلحمه ودمه، وصار له فيها مَلَكَة، وصار له اختصاص شـديد بمعرفة السُّـنن والآثار، ومعرفة سـيرة رسـول الله ﷺ وهديه، فيما يأمر به وينهى عنه، ويخبر به ويدعو إليه، ويحبه ويكرهه، ويشرعه للأمة، بحيث كأنَّه مخالطٌ للرسول ﷺ كواحد من أصحابه»[٢].

وقد أُلِّفت في كل جزئية من جزئيـات علوم الحديث مئات الكتب: في الرواية والدراية، ومصطلح الحديث، وكتب الرجال، والسـؤالات، وكتب التخريج، وغريب الحديث، ومشـكل الحديث، وناسخ الحديث ومنسـوخه، وأسـباب ورود الحديث، وعلل الحديث، إلـى آخر هذه العلوم! كما دُوِّنت الصِّحاح والسـنن والمسـانيد الَّتي تجمع الحديثَ النبويَّ، ثمَّ كتب التخريج، وكتب الضعيف والموضوع.

رواية أهل السُّنَّة عن أهل البدع:

إذا كان التلبُّس بالبدعة من الأسباب الَّتي تدعو إلى الريبة، وترك رواية الراوي، خشـية أن تدعوه بدعته لرواية ما ينصـر هواه، ويؤيد

(١) الموضوعات لابن الجوزي (١٠٦/١)، نشر المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١.

(٢) المنار المنيف لابـن القيم صـ٤٤، تحقيـق عبد الفتاح أبو غدة، نشـر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

بدعته؛ فإن جمهــور المحدثين قــد فرَّقوا بين المبتــدع الداعي إلى بدعته، والَّذي لا يدعو، فقبلوا رواية من لــم يَدْعُ إلى بدعته، وتركوا رواية الداعية.

قال مالك: «لا يُؤْخَذ حديث رســول الله ﷺ من صاحب هوًى يدعو النَّاس إلى هواه، ولا مِن كذَّاب يكذب في حديث الناس!»(١).

قال عبد الرحمن بن مهدي: «من رأى رأيًا ولم يَدْعُ إليه احتُمل، ومن رأى رأيًا ودعا إليه فقد استحقَّ التَّرك»(٢).

وقيل لأحمد بــن حنبــل: «يا أبا عبد الله، ســمعتَ مــن أبي قَطَن القَدَري؟! قال: لم أره داعية، ولو كان داعية لم أسمع منه»(٣).

وكان كثير من المحدِّثين يوثِّقون الراوي مع ذكر بدعته، دلالة إلى أن هذه البدعة لم تُؤثِّر في صِحَّة روايته والوثــوق به، ومن هؤلاء عَبَّاد بن يعقوب الكوفي، وقد كان شيعيًّا غاليًا في التشيُّع، كما قال ابن عدي(٤). وقال فيه ابن خُزيمة: حدَّثنــا الثقة في روايته المتَّهم فــي دينه عبَّاد بن يعقوب(٥). وقال الدارقطني: شيعي صدوق(٦).

---

(١) المدخل إلى الإكليل للحاكم صـ٤٩، تحقيق د. فؤاد عبد المنعم أحمد، نشــر دار الدعوة، الإسكندرية.

(٢) الكفاية للخطيب صـ١٢٦، ١٢٧.

(٣) المصدر السابق صـ١٢٨.

(٤) الكامل لابن عدي (٥٥٩/٥).

(٥) المدخل إلى الإكليل للحاكم صـ٤٩.

(٦) سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني صـ٢٥٣، تحقيق د. موفق ابن عبد الله بن عبد القادر، نشر مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.



وكما كانوا يقبلون رواية من يصدق فــي روايته من أهل البدع؛ وإن فحشـــت بدعته. ومن هــؤلاء عبد الرحمن بن صالــح الأزدي. قال ابن معين: ثقة صدوق شــيعي؛ لأن يخرَّ من السماء أحبُّ إليه من أن يكذب في نصف حرْف»[1].

* * *

(١) تاريخ بغداد (١١/٥٤٣)، تحقيق د. بشـــار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

موقف الشِّيعة الاثني عشريَّة من السُّنَّة

عرفنا موقف الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة من القرآن الكريم، وأن كثيرًا من علمائهم قالوا بتحريفه؛ وهم يؤمنون بأنَّ يد النقص قد امتدت إليه؛ فحُذفت آياتُ الولاية، وكثيرٌ من فضائل آل البيت، كما حُذف كثير من نقائص المهاجرين والأنصار!

هكذا يقولون! وتلك عقيدتهم! وإن كانوا يعملون بقرآن أهل السُّنَّة؛ حتَّى يأتي الإمام القائم (الإمام الغائب) بالنسخة الصحيحة الكاملة من القرآن الكريم، لتعمل بها أمَّة الإسلام عند ظهوره!

فهل يستطيع الاثنا عشريون أن يبينوا لنا موقفهم من السنة، بعد أن بيَّنَّا تماما موقفهم من القرآن الكريم، كما نطقت به كتبهم، وكما قرره علماؤهم، وكما يحفظ تلاميذهم، وكما يحفظه عامتهم؟!

تعريف السُّنَّة عند الشِّيعة الاثني عشريَّة:

قال السيِّد مُحَمَّد الحسيني الشِّيرازي، الملقب بآية الله العظمى: «السنة في الاصطلاح عبارة عن قول المعصوم وفعله وتقريره»[1]. وهذا التعريف هو المُعوَّل عليه عند الإماميَّة بوجه عام.

(١) الفقه حول السنة المطهرة للسيد محمد الحسيني الشيرازي صـ٧، ٨، نشر دار العلوم، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.



ويقول الشـيخ مُحَمَّد رضا المظفر: «أما فقهاء الإماميَّة بالخصوص، فلما ثبت لديهم أن المعصوم من آل البيت يجري قوله مجرى قول النبي، من كونه حُجَّة على العباد واجب الاتِّباع، فقد توسَّعوا في اصطلاح السنَّة إلى ما يشـمل قول كل واحد من المعصومين أو فعله أو تقريره، فكانت السنَّة باصطلاحهم: **قول المعصوم أو فعله أو تقريره**».

ويؤكد الشـيخ المظفر أن بيان المعصومين للأحكام ليس من «نوع رواية السـنة وحكايتها، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشـريع؛ بل هم أنفسـهم مصدر للتشـريع، **فقولهم**: «**سُـنَّة**» **لا حكاية السُّنَّة**»[1].

يقـول الأخ الدكتور عدنـان زرزور: وفحوى ذلك أن السـنة بهذا المفهوم لم يستكمل بناؤها قبل مضي عصر الأئمَّة الاثني عشر؛ بل إن هـذه الفترة تمتد حتَّـى نهاية عصر الغيبـة الصغرى عـام «٣٢٩هـ»[2] للمهدي المنتظر؛ لأن إجاباتـه «وتوقيعاته» لم تنقطع عندهم حتَّى هذا التاريخ! وفي وسـعنا أن نقول بناء على هذا: إن الشِّـيعة خلال ثلاثة قرون لم تعمل بـ «سُنَّة» متكاملة، ولكن بسنن مطردة، تزداد نصوصها مع كل إمام من الأئمَّة! وهذا عندنا مـن الغرائب! لأن معناه أن أجيالًا

---

(١) أصول الفقه لمحمد رضا المظفر (٢/٥٥، ٥٦)، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) يقسم الشيعة غيبة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري إلى غيبتين: غيبة صغرى، تمتد منذ غيابه في السرداب في سـامراء سنة ٢٦٠هـ حتى سنة ٣٢٩هـ، لم يطَّلع على مكانه فيها أحد من الناس إلا خاصَّة مواليه والمقرَّبين منه فقط، وكانوا يتصلون به عبر سفراء أربعة توالوا على هذا المنصب، والغيبة الأخرى هي الغيبة الكبرى التي بدأت بموت السفير الرابع وتمتد إلى ظهور المهدي مرة أخرى.



من الشِّيعة عملت «بسُنَّة ناقصة» في الأصول والفروع. أي: إن دينها كان ناقصًا لم يُستكمل بعد(١).

اعتقادهم في السنة:

يقول الدكتور ناصر القفاري: تروي الشِّيعة عن أئمَّتها «أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف»(٢). وهو يفيد أن الشِّيعة لا تنكر سُنَّة رسول الله ﷺ؛ بل تعتمد عليها! وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم.

غير أن الدارس لنصوص الشِّيعة ورواياتها قد ينتهي إلى الحكم بأن الشِّيعة تقول بالسنة ظاهرًا، وتنكرها باطنًا؛ إذ إن معظم رواياتهم وأقوالهم تتَّجه اتجاهًا مجانفًا للسنة الَّتي يعرفها المسلمون، في الفهم والتطبيق، وفي الأسانيد والمتون.

فالشيعة تعطي صفة العصمة لآخرين غير رسول الله ﷺ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله، وهم الأئمَّة الاثنا عشر، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى!

فهم «ليسوا من قبيل الرواة عن النبيِّ والمحدِّثين عنه، ليكون قولهم حجة من جهة أنَّهم ثقات في الرواية؛ بل لأنَّهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعيَّة، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعيَّة عند الله تعالى كما هي»(٣).

---

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية للدكتور عدنان زرزور (١/٢٢٦، ٢٢٧)، نشر دار سلطان، أمريكا، ط٢، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

(٢) صحيح الكافي للبهبودي (١/١١)، نشر الدار الإسلامية، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٣) أصول الفقه للمظفر (٢/٥٥).

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سنّ الطفولة، وسنّ النضج العقلي؛ إذ إنَّهم في نظرهم لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا، طوال حياتهم، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: «إن الاعتقاد بعصمة الأئمَّة جعل الأحاديث الَّتي تصــدر عنهم صحيحة، دون أن يشــترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ، كما هو الحال عند أهل السُّنَّة»[١]، ذلك إن الإمامة عندهم «استمرار للنبوة»[٢]، وأنَّ الأئمَّة كالرسل «قولهم قول الله، وأمرهم أمر الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، وإنهم لم ينطقوا إلا عن الله تعالى وعن وحيه»[٣].

وعليه فليس بيانهم للأحكام من نوع رواية السنَّة وحكايتها، ولا من نوع الاجتهاد في الرأي والاستنباط من مصادر التشريع؛ بل هم أنفسهم مصدر للتشريع، فقولهم «سنة» لا حكاية للسنة.

قول المعصوم يجري مجرى قول النبي:

وبنظرتهم هــذه للســنة وللأئمة فإنَّهــم ـ كما يقــول الدكتور علي الســالوس ـ جعلوا للإمام ما للنبيّ المصطفى من بيــان القرآن الكريم، وتقييد مطلقه، وتخصيص عامه. والأخباريون منعوا العمل بظاهر القرآن الكريم؛ لأنَّهم لا يستمدون شريعتهم إلا ممَّا ورد عن أئمَّتهم.

وحتى يكــون الإمام مصدرًا للتشــريع قائمًا بذاته جُعــل له الإلهام مقابلًا للوحي بالنسبة للرسول ﷺ[٤].

(١) تاريخ الإمامية لعبد الله فياض صـ١٤٠، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

(٢) عقائد الإمامية لمحمد رضا المظفر صـ٧٤، نشر مركز الأبحاث العقائدية، قُم، ١٤٢٢هـ.

(٣) الاعتقادات لابن بابويه صـ٩٢، وانظر: أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٣٥٦/١، ٣٥٧).

(٤) مع الشيعة الاثني عشرية للدكتور علي الســالوس صـ٧٠٤، نشر دار الثقافة، الدوحة، ط٧، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.



يقول الشيخ مُحَمَّد رضا المظفر: «وإذا ثبت أنَّ السنَّة بما لها من المعنى الواسع الَّذي عندنا هي مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، فإن حصل عليها الإنسان بنفسه بالسماع من نفس المعصوم ومشاهدته، فقد أخذ الحكم الواقعي من مصدره الأصلي، على سبيل الجزم واليقين من ناحية السند، كالأخذ من القرآن ثقل الله الأكبر، والأئمَّة من آل البيت ثقله الأصغر.

أما إذا لم يحصل ذلك لطالب الحكم الواقعي كما في العهود المتأخرة عن عصرهم، فإنَّه لا بدَّ له في أخذ الأحكام من أن يرجع ـ بعد القرآن الكريم ـ إلى الأحاديث الَّتي تنقل السنَّة، إما من طريق التواتر، أو من طريق أخبار الآحاد! وعلى هذا، فالأحاديث ليست هي السنة، بل هي الناقلة لها، والحاكية عنها، ولكن قد تسمى بالسنة توسعًا، من أجل كونها مثبتة لها»[(١)].

يقول الدكتور ناصر القفاري: وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة:

الأصل الأول: علم الأئمَّة يتحقق عن طريق الإلهام والوحي: وحقيقته كما قال صاحب الكافي في روايته عن أئمته: «النَّكْت في القلوب»[(٢)]، وفي لفظ آخر له: «فقذفٌ في القلوب»، وصرح أن ذلك هو الإلهام حيث قال: «وأما النَّكْت في القلوب فإلهام»[(٣)]، أي أن العلم ينقدح في قلب الإمام، فيُلهَم القول الَّذي لا يتصور فيه الخطأ؛ لأن الإمام معصوم.

---

(١) أصول الفقه للمظفر (٥٦/٢).

(٢) أصول الكافي (٢٩١/١)، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام.

(٣) نفس الموضع من المصدر السابق.



والإلهام ليس هو الوسيلة الوحيدة في هذا؛ بل صرح صاحب الكافي في أن هناك طرقًا أخرى غيره، حيث ذكر فـي بعض رواياته أن من وجوه علوم الأئمَّة «النقر في الأسماع» من قِبَل المَلَك، وفرَّق بين هذا والإلهام حيث قال: «وأما النَّكْت في القلوب فإلهام، وأما النَّقْر في الأسماع فأمر المَلَك»[(١)].

إذن هناك وسـيلة أخرى غير الإلهام، وهو نَقْر في الأسماع بتحديث الملك[(٢)]، وهو يسـمع الصوت ولا يرى الملك؛ كما جاء في الروايات الأربع في باب «الفرق بين الرسـول والنبي والمحـدَّث»[(٣)] من أصول الكافي، وكلهـا قالـت: إن «الإمام هو الَّذي يسـمع الـكلام ولا يرى الشـخص». وذكر صاحب البحار رواية في هذا المعنى، في باب عقده بعنوان: «باب أنَّهم محدَّثون مُفهَّمون»[(٤)].

ولكن كيـف يعلم أنـه كلام الملك وهـو لا يـراه؟ روى الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنه يُعطَى السكينة والوقار؛ حتَّى يعلم أنه كلام الملك»[(٥)].

إذن الإمام يُلهم، ويسـمع صوت الملَك، ويأتيـه الملك في المنام واليقظة، وفي بيته ومجلسه، أو يرسل له ما هو أعظم من جبرائيل يخبره ويسدده، وهو ما يسمونه: الروح[(٦)]!

---

(١) أصول الكافي (٢٩١/١)، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام.

(٢) مـرآة العقول في شـرح أخبار آل الرسـول (١٣٦/٣)، كتـاب الحجة، بـاب جهات علوم الأئمة عليهم السلام.

(٣) انظر: أصول الكافي (١٩٥/١ ـ ١٩٧)، كتاب الحجة، وقد صحح هذه الروايات عبد الحسـين المظفر في الشافي شرح الكافي (٢٩/٣)، نشر مطبعة الغرى، النجف، ط٢، ١٣٨٩هـ.

(٤) بحار الأنوار (٦٦/٢٦).

(٥) أصول الكافي (٢٩٩/١)، كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون، وبحار الأنوار (٦٨/٢٦).

(٦) انظر: أصول الكافي (٣٠١/١) وما بعدها، كتاب الحجة، باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة.



الأصل الثاني: خزن العلم وإيداع الشريعة عند الأئمَّة: جاء في الكافي عن موسى بن جعفر قال؛ كما يزعمون: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ، وغابر، وحادث؛ فأما الماضي فمفسّر، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع؛ وهو أفضل علمنا»[1].

العلم الحادث: هو ما تقدم بيانه، وهو كما أشارت الرواية يعد من أفضل علومهم؛ لأنَّه كما يقول بعض شيوخهم: حصل لهم من الله بلا واسطة[2]؛ أي من الله مباشرة، بلا واسطة مَلَك من الملائكة.

وقد أوضح شارح الكافي أن **الماضي المفسّر** يعني: الماضي الَّذي تعلق علمنا به؛ وهو كل ما كان مفسَّرًا لنا بالتفسير النبوي.

والغابر المزبور الَّذي تعلَّق علمنا به: هو كل ما يكون مزبورًا مكتوبًا عندنا، بخط عليٍّ رضي الله عنه، وإملاء الرسول، وإملاء الملائكة».

فبهذا يتبين أن العلم المستودع عند الأئمَّة نوعان: كتب ورثوها عن النبي، أو علم تلقوه مشافهة منه ﷺ.

وفحوى هذا الاعتقاد الَّذي يعتبر من ضرورات مذهبهم وأركان دينهم: أن رسول الله ﷺ بلَّغ جزءًا من الشريعة، وكتم الباقي وأودعه الإمام عليًّا؛ فأظهر عليٌّ منه جزءًا في حياته، وعند موته أودعه الحسن، وهكذا كل إمام يظهر منه جزءًا حسب الحاجة، ثمَّ يعهد بالباقي لمن يليه، إلى أن صار عند إمامهم المنتظر.

---

(١) أصول الكافي (٢٩١/١)، كتاب الحجة، باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام.

(٢) شرح جامع للمازندراني (٤٤/٦)، نشر المكتبة الإسلامية، طهران، ١٣٨٤هـ.

وقد عقد صاحب الكافي بابًا بعنوان: «باب أن الأئمَّة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه»[١]، وبابًا آخر بعنــوان: «أن الأئمَّة ورثوا علــم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الَّذين من قبلهم»[٢]، وبابًا ثالثًا بعنوان: «أن الأئمَّة يعلمون جميع العلوم الَّتي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل عليهم السلام»[٣][٤].

ويؤخذ من الكلام السابق ما يلي:

أن الشِّــيعة الإماميَّة وإن كانت تؤكد أن السُّــنَّة النبويَّة هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن، إلا أن مفهومها للســنَّة يختلف اختلافا كليًّا عن مفهوم أهل السُّنَّة لها.

مفهوم الشِّيعة للسنة ينبني على اعتقادهم في الأئمَّة أنَّهم معصومون عن الخطأ، ومنصوص عليهم من الله سبحانه وتعالى، ومن ثَمَّ جعلوا قولهم وفعلهم وتقريرهم مســاويًا تمامًا من الناحية التشــريعية لقــول النبي ﷺ وفعله وتقريره، فالسنة عندنا ســنة النبي ﷺ، والسنة عندهم سنة المعصومين؛ النبي والأئمَّة الاثني عشر.

الأئمَّة منصوبون من الله لتبليغ الأحكام، وهم يتلقون الأحكام من الله لتبليغها عن طريق الإلهام، أو طريق التلقِّي من المعصوم الَّذي قبله، كما يتلقاها النبي ﷺ عن طريق الوحي.

الأئمَّة ليســوا رواة أو مجتهدين، وإنَّما هم أنفسهم مصدر التشريع، وقولهم سنة، لا حكاية لسنة النبي ﷺ.

---

(١) أصول الكافي (٢١٥/١، ٢١٦)، كتاب الحجة.

(٢) المصدر السابق (٢٥٠/١ ـ ٢٥٣).

(٣) المصدر السابق (٢٨١/١، ٢٨٢).

(٤) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٣٥٩/١ ـ ٣٦٧) بتصرف.



هذا ما جاء به الاثنا عشريَّة جميعهم، وهو ما أنكرناه عليهم، فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. والمراد بعبده هنا هو مُحَمَّد ﷺ، وهو الَّذي قال الله فيه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال الله ﷻ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

فلا يوجد في كتاب الله سورة ولا بعض سورة، ولا آية، ولا جزء من آية يدل على أن الَّذين زعموهم اثني عشر، لهم نبوة مثل نبوة الرسول ﷺ، ولا مقام مثل مقام الرُّسُل وقدرهم.

نصوص من كتب الشِّيعة تناقض دعواهم:

ومن يرجع إلى ما روته الشِّيعة عن سيِّدنا عليٍّ وذريته، يتبين له أنَّهم ما قالوا بعصمتهم عن الخطأ أبدًا، ولا أن قولهم تشريع كقول النبي ﷺ سواء بسواء!

يقول سيِّدنا عليٌّ رضي الله عنه ـ كما في كتبهم ـ بإحدى خطبه بصفين: «فلا تكفوا عن مقالةٍ بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي! فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب، لا رب غيره، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا، وأخرجنا ممَّا كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرة بعد العمى»(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١١/١٠١، ١٠٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.



ويقول جعفر الصادق رضي الله عنه: «لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي عليه السلام، فسلبه الله الإيمان! فوالله ما نحن إلا عبيد الَّذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضرٍّ ولا نفع! وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبورون، ومُنشرون ومبعوثون، وموقوفون ومسؤولون.

وَيْلهم ما لهم، لعنهم الله! لقد آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، صلوات الله عليهم، وهأنذا بين أظهركم لحم رسول الله، وجلد رسول الله صلى الله عليه، أبيت على فراشي خائفًا وجلًا مرعوبًا: يأمنون وأفزع، ينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري!

أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله، وما معي براءة من الله: إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذَّبني عذابًا شديدًا، أو أشد عذابه»[1].

فأين هذا ممَّا تدَّعيه الشِّيعة للأئمة، وقد نصوا بأنفسهم أنَّهم يخطئون، وأنَّهم محتاجون للنصح والمشورة ممن حولهم، وأن الله أخذ بنواصيهم من الضلال إلى الهدى، ومن العمى إلى البصيرة. وقد تبرؤوا ممن يفتري عليهم، فيرفعهم فوق قدرهم، وأنَّهم لا يقدرون على ضر أو نفع، وأن أمرهم إلى الله إن شاء رحم، وإن شاء عذَّب، ليس لهم على الله حجة، ولا معهم منه براءة!

---

(١) بحار الأنوار (٢٩٠/٢٥).



مزاعم خطيرة وادعاءات باطلة:

يقول الدكتور القفاري: وهذه المزاعم الخطيرة الَّتي دوَّنها الروافض في المعتمد من كتبهم تحمل أمورًا خطيرة:

تحمل دعوى استمرار الوحي الإلهي، وهو باطل! قامت الأدلَّة النقلية والعقلية على بطلانه، وأجمع المسلمون على أن «الوحي قد انقطع منذ مات النبي ﷺ، والوحي لا يكون إلا لنبي، وقد قال الله سبحانه: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ثم هي تدعي أن الدين لم يكمل وهي مخالفة صريحة لقول الله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ !

كما تزعم بأن رسول الهدى ﷺ لم يُبلِّغ جميع ما أنزل إليه، وأنَّه لم يتمثَّل أمر ربه في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد جاء في تفسير الصافي، من كتب الشِّيعة: أنه عليه السلام سُئل هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وآله شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال: لا، والَّذي فلق الحبَّة، وبرأ النَّسَمة، إلَّا أن يُعطى العبد فهمًا في كتابه[١].

بل قال جعفر الصَّادق؛ كما تنقل كتب الشِّيعة نفسها: إن الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء؛ حتَّى ـ والله ـ ما ترك الله شيئًا يحتاج إليه العباد حتَّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن! إلا وقد أنزل الله فيه[٢]. فكل ما تنسبه الشِّيعة بعد هذا كذب.

---

(١) تفسير الصافي (٣١/١)، نشر مكتبة الصدر إيران، ط ٣، ١٣٧٩ شمسية.

(٢) أصول الكافي (٨٠/١)، كتاب فضل العلم، باب الرد إلى الكتاب والسنة.



لمَ كل هذه الدعاوى؟

وأين هذه «المصادر» اليوم؟ وماذا ينتظر «منتظرهم» حتَّى يخرج بها إلى الناس؟ وهل النَّاس بحاجة إليها في دينهم؟ فإن كان النَّاس بحاجة فلمَ تبقى الأمة منذ اختفاء الإمام «المزعوم» منذ أكثر من أحد عشر قرنًا بعيدة عن مصدر هدايتها؟ وما ذنب كل هذه الأجيال المتعاقبة لتحرم من هذه «الفيوضات» والكنوز؟!

وإن لم تكن الأمة في حاجة إليها فَلِم كل هذه الدعاوى؟ ولِم يصرف هؤلاء الشِّيعة عن مصدر هدايتهم وهو كتاب الله وسنَّة نبيه؟!

إنَّ الحقَّ الَّذي لا ريب فيه أنَّ الله أكمل لنا ديننا ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، وكل دعوى بعد ذلك فهي باطل من القول وزور[1].

سُنَّة النبيِّ لا تمثل أكثر من (٥٪) في كتب السنة عند الشِّيعة:

ومن يطالع كتب السنة عند الشِّيعة الإماميَّة، ويقارن نسبة أحاديث الرسول ﷺ، إلى نسبة أحاديث أئمَّتهم المعصومين، أو بالأحرى إلى أحاديث جعفر الصادق، يجد أحاديث جعفر هي الغالبة، وهذا ما أثبته صديقنا الدكتور عدنان زرزور في دراسته التطبيقيَّة المقارنة «السُّنَّة النبويَّة وعلومها بين أهل السُّنَّة والشِّيعة الإماميَّة»؛ فيقول: «إن السُّنَّة النبويَّة لا تزيد في كتب الحديث عند الإماميَّة على خمسة بالمائة، وقد تتراوح في بعض أبواب الأصول والعقائد ما بين خمسة وعشرة بالمائة.

أمَّا كتب الفروع، فلا يقع فيها الباحث على حديث نبوي إلَّا في القليل النادر!! فأهل السُّنَّة يتحدثون عن «السُّنَّة النبويَّة» والشيعة الإماميَّة

(١) أصول مذهب الشيعة لناصر القفاري (٣٧٨/١ ـ ٣٨٠).



يتحدَّثون عن سُـنَّة الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق ﵁، أو عن السُّنَّة الجعفريَّة، وعن سنن سائر الأئمَّة حتَّى عصر الغَيْبة الكبرى!

بـل إنَّ الملاحظ أيضًـا أنَّ «السُّـنَّة» المنقولة عن سـيِّدنا علي بن أبي طالـب ﵁، لا تحظـى إلَّا بأقـلَّ من تلـك المنقولة عـن النبيِّ الأكرم!»[١].

«وقد يحمل هذا الموقف تناقضًا في مصادر الفكر الشـيعي، سـواء أحمل فـي طيَّاته الدلالـة على الإعلاء من شـأن الأئمَّة على حسـاب الرسول ﷺ أم لم يحمل»[٢].

وبالنظر إلى محتوى السنَّة عند الإماميَّة؛ فماذا يكون لسنَّة مُحَمَّد ﷺ إذا أضيف إليها من أقوال الأئمَّة الاثني عشر وأفعالهم وتقريراتهم؟!

وماذا يبقى من السنَّة، إن رفضت رواية الصحابة وكفرتهم واتهمتهم بالردة والنفاق، ولم تقبل إلا رواية أهل البيت، وعدة نفر لا يبلغون عشرة من الصحابـة؟ وأهملت مـا رواه كبار الصحابـة: عائشـة، والعبادلة، وأبو هُرَيْرة، وأنس، وغيرهم!

الجهة منفكة كما يقال!

«فأهل السُّـنَّة والجماعة يتحدَّثون عن «السُّـنَّة النبويَّة»، والشـيعة الإماميَّة يتحدَّثون عن «سنة الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق ﵇»، أو عن السنة الجعفريَّة، وعن سنن سـائر الأئمَّة ـ على نُدرتها ـ حتَّى عصر الغَيْبة الكبرى؛ بل إن من الملاحظ أيضًا أن «السنة» المنقولة عن سيِّدنا

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (١/٢٣٩، ٢٤٠) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (١/٢٤٣).



عليٍّ بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لا تحظى إلَّا بأقلَّ من تلك المنقولة عن النبيِّ الأكرم ﷺ!»[١].

ويمكن أن نرجع تفسير هذا الموقف إلى السببَيْن الآتيَيْن:

«**السبب الأوَّل**: أنَّ النقل عن النبيِّ ﷺ لا بدَّ أن يتمَّ عبر طبقتَيْن على الأقلِّ، هما الصحابة والتابعون، ولكن الإماميَّة عزلوا هاتين الطبقتَيْن؛ بل طعنوا في رجالهما طعنًا شديدًا؛ وصل عند الرافضة منهم إلى حد تكفير الصحابة، أو الحكم بردتهم عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ!

فقد روى الكُلَيْني في كتابه «الكافي» ثلاثة وثلاثين حديثًا، عقد لها الفيض الكاشاني بابًا خاصًّا تحت عنوان: «باب أن عامَّة الصحابة نقضوا عهدهم وارتدوا بعد رسول الله ﷺ»[٢]. وفي «رجال الكَشِّي» للطُّوسي عن أبي جعفر عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: «كان النَّاس أهل الردَّة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. ثمَّ عرف النَّاس بعد يسير. وقال: هؤلاء الَّذين دارت عليهم الرحى، وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر؛ حتَّى جاؤوا بأمير المؤمنين عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مكرهًا، فبايع!»[٣].

والمفارقة العجيبة هنا أن عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يكن من بين هؤلاء الثلاثة! والمفارقة الأعجب أن الصحابة الكرام هم الَّذين نهضوا بعد وفاة النبي الأكرم بحرب المرتدين، في المعارك الَّتي خطَّط لها ببراعة وحزم الخليفة الأوَّل العظيم.

---

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٢٤٠/١).

(٢) انظر: الوافي (١٨٤/٢ ـ ٢١٥).

(٣) رجال الكشي للطوسي صـ١٩، ٢٠.



يضاف إلى ذلك أن الإماميَّة اشــترطوا لقبول رواية الراوي أن يكون إماميًّا؛ لأن غير الإمامي ليس عدلًا، وبغض النظر في هذا الســياق عن مســألة وجود رواة «إماميين» قبل عصر الإمام الثاني عشر! الأمر الَّذي يجعل شرط أن يكون الراوي إماميًّا عجيبًا غريبًا، أو لا معنى له!

ولنا أن نتساءل عن عدد الأحاديث الَّتي رواها الإماميَّة عن الصحابة الثلاثة المذكورين الَّذين لم يرتدوا!

أما طبقة **التابعين** فإن الطعن فيها بعد هذا الطعن الخاص بالصحابة والطعن بســائر المســلمين لم يعد بحاجة إلى تعليق، ونكتفي في هذا بقول آية الله العظمى السيِّد مُحَمَّد الحسيني الشيرازي قال: «وإذا كان هذا حال الصحابة الَّذين أسلموا على يد الرسول ﷺ وسمعوا حديثه وخدموه، فكيف يكون حال التابعين الَّذين ربَّاهم أمثال معاوية!»[(١)].

السبب الثاني: أما السبب الآخر فهو أن عامَّة المسلمين تصدَّوا لرواية السُّنَّة النبويَّة، ولم يقوموا برواية ما دعاه الإماميَّة سنة؛ لأن هذه «السنة» الإماميَّة لم تعرف إلا في عصــر الإمام أبي عبد الله جعفر بن مُحَمَّد ـ أو في عصر لاحق هو عصر التدوين ـ وقد يســمح كل ما قلناه ونقلناه عن ســنة الإمام أبي عبد الله أن نقول: يبعد أن يكون هناك أصل من الأصول الأربعمائة فــي الفترة الممتدة مــن وفاة النبي ﷺ، أو مــن عهد الإمام علي رضي الله عنه حتَّى عصر الإمام جعفر (٨٣ ـ ١٤٨هـ).

وأيًّا ما كان الأمر فإن ما نُقل عن الإمام أبي عبد الله [جعفر الصادق] لم يُنظر إليه على أنه سُنَّة أو تشريع يضاف إلى سنَّة المصطفى عليه الصلاة والسلام الَّتي

(١) الفقه حول السنة المطهرة صـ٣٨.



أمرنا القرآن بالأخذ بها واتباعها؛ بل نظـر إليه على أنه فقه واجتهاد، أو فهوم واجتهادات فقهيَّة، مثله في ذلـك مثل فقه واجتهاد معاصره الإمام أبي حنيفة النعمـان رضي الله عنه (٨٠ ـ ١٥٠هـ) أي أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه أحد أئمَّة الاجتهاد الكبار في التاريخ الإسـلامي! ويقوم على فقهه عدد قلَّ أو كثر من التلاميذ، ويقلِّده مَن يقلِّده مِن عامَّة المسلمين[1].

مصادر مرويات السنة عند الشِّيعة:

الأصول الأربعمائة:

يقول الدكتور عدنان زرزور: «أما «السُّنَّة» الإماميَّة قبل عصر التدوين؛ فإن الإماميَّة يقولون: إنه كانـت لديهم أصول أربعمائـة «من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبي مُحَمَّد العسكري (ت٢٦٠هـ)» تم تدوينها أو تصنيفها بدقة قبل تدوين الكُلَيْني (ت٣٢٩هـ) والصدوق (ت٣٨١هـ)؛ بل إن الكُلَيْني والصدوق وشيخ الطائفة الطوسي (ت٤٦٠هـ) أصحاب الكتب الأربعة المعتمدة عندهم؛ إنَّما عوَّلوا في حركـة التدوين الَّتي قاموا بها على هذه الأصول. بل يقولون إن السبب في إهمال هذه الأصول أو عدم استمرار العناية بها يعود إلى هذا التعويل أو هذا الاستيعاب»[2].

ويقول مؤلف كتاب «دراسـة حول الأصول الأربعمائة»: «إن أعيان هذه الأصول قد أهملت نظـرًا لاحتواء الكتب الأربعـة وجوامع الحديث لهذه الأصول وغيرها من مصادر أحاديث الشِّيعة، ولأجل ذلك استغنى المُحدِّثون عن الأصـول بأعيانها لوجود مضامينها وروایاتها فـي هذه الكتب المتأخر

(١) راجع: السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (١/٢٤٣ ـ ٢٥١).

(٢) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (١/٢٣٣، ٢٣٤).



تأليفها زمنًا عن زمن تأليف الأصول». ويضيف: «ولم أقف ـ حسب تتبعي ـ للأصول الَّتي ذكرها الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) على أكثر من ثلاثة أصول موجودة اليوم، ومن الكتب الَّتي وُصفت بأنَّها أصول على أكثر من سبعة وعشرين كتابًا، وعساني أوفَّق للاطلاع عليها في المستقبل»[١].

وقال زين الدين بن علي العاملي الملقب بالشهيد الثاني (٩١١ ـ ٩٦٥هـ) في «شرح الدراية»: «كان قد استقر أمر المتقدمين على أربعمائة مصنَّف لأربعمائة مصنِّف سموها أصولًا، فكان عليها اعتمادهم»[٢].

يقول د. عدنان زرزور: نذكر هنا في التعقيب على هذه «الأقوال» الملاحظات السريعة الآتية:

الملاحظة الأولى: للمرء أن يتساءل عن أصحاب هذه الكتب، الَّذين لخصوا أو جمعوا هذه الأصول: لماذا لم ينص واحد منهم على أن كتابه قام على هذا الجمع والتلخيص؟ أو أنه عوَّل فيما قام به على هذه الأصول، أو استند إليها، فضلًا عن ضرورة وصف حالها، وكيف وقف عليها، أو كيف انتهت إليه! وبخاصَّة أن صاحب كتاب الكافي توفي عام ٣٢٩هـ، وصاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» توفي عام ٣٨١هـ، أما صاحب كتابي: «التهذيب» و«الاستبصار» فقد توفي عام ٤٦٠هـ! وفي الوقت الَّذي وردت كلمة أو مفردة «الأصول» أو أصولهم في سياق الإشارة إلى الكتب والمصنفات والنوادر الَّتي نقل عنها ابن بابويه والطوسي؛ فإن الكُلَيْني لم يشر في مقدمة «الكافي» إلى أي كتاب أو مؤلف أو «أصل» سابق!

(١) دراسات حول الأصول الأربعمائة صـ٤٩، نشر مركز الانتشارات الأعلمي، طهران.

(٢) راجع هامش الاستبصار (٢/١)، نشر مطبعة النجف، ١٣٧٥هـ.

الملاحظة الثانية: أن هذه الأصول الأربعمائة مرويَّة في جملتها عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أي: ليس فيها أحاديث نبوية، اللهمَّ إلا ما رفعه الإمام أبو عبد الله نفسه إلى النبي ﷺ، ونعني بالرفع مجرد الإضافة إلى مقام النبي ﷺ، بغير إسناد. قال مؤلف الكتاب المذكور (دراسات حول الأصول الأربعمائة): «بلغ الرواة عنه ـ أي الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ أربعة آلاف رجل[1] وانصرفت طائفة كبيرة من هؤلاء لضبط ما رووه عن الإمام سماعًا في كتاب خاص، في مواضيع الفقه والتفسير والعقائد وغيرها. وقد اصطلح التاريخ الشِّيعي على تسمية هذه الكتب بالأصول، كما حصرها في أربعمائة أصل. وهذا ما نعنيه بالأصول الأربعمائة»[2].

وقد يفهم من هذا أن هذه الأصول الأربعمائة مرويَّة جميعها عن الإمام جعفر، أو مسموعة منه، سواء أكانت جميع أحاديثها من أقواله، أم كان معظمها له، وبعضها النادر عن آبائه. وعلى أية حال فإن أقوال الإماميَّة في مرجع أو مصدر هذه الأصول مضطربة!

قال الشيخ السبحاني ـ وهو من علماء الإماميَّة المعاصرين ـ: «قام تلامذة أئمَّة أهل البيت بتأليف أصول أربعمائة ما بين عصر الإمام الصادق عليه السلام إلى نهاية عصر الإمام الرضا عليه السلام. وهذه الأصول هي المعروفة بالأصول الأربعمائة، فلها من الاعتبار والمكانة ما ليس لغيرها»[3]!

---

(١) وقال المحقق المشار إليه: «ورجال الصادق عليه السلام من العامة والخاصة على ما قاله المفيد في إرشاده: زهاء أربعة آلاف رجل». انظر: الوافي (٢٢/١).

(٢) دراسات حول الأصول الأربعمائة صـ٧.

(٣) أدوار الفقه الإمامي للشيخ جعفر السبحاني صـ٣٤.



قال الدكتور زرزور: وهـــذا يناقض الرواية القائلـــة إن هذه الأصول «صنّفها الإماميَّة ـ ولم يكن وصفهم هذا أو تسمية الشِّيعة بهذا الاسم قد ظهر بعد ـ من عهد أمير المؤمنين إلى عهد الحسن العسكري؛ لأننا في هذه الروايـــة أمام أحاديث رويـــت أو نقلت عن أحد عشـــر إمامًا! وفي الرواية الأخرى نحن أمام أحاديث مدوّنة عن ثلاثة من الأئمَّة فقط، وهم: جعفر بن مُحَمَّد، وموســـى الكاظم ابن جعفر، وعلي الرضا بن موســـى (ت٢٢٠هـ)، أو على الأقل هذه الرواية تسقط ثلاثة أئمَّة بعد علي الرضا. وبغض النظر ـ في هذا الســـياق ـ عن حظ سائر الأئمَّة، فيما وراء الإمام جعفر، من النقل عنهم، أو الاحتفاء بآرائهم، اللهمَّ إن كانت منزلتهم في الفقه والاجتهاد تداني منزلة الإمام جعفر رَحِمَهُ اللهُ»[1].

الكتب الأربعة:

للجعفريَّـــة الاثني عشـــريَّة كتب كثيـــرة تروي ســـنة المعصومين عندهم، ولكن الَّذي يعنينا هنا الكتب المعتمدة لديهم، وهذه الكتب المعتمدة أربعة:

أولها: «الكافي» لأبي جعفـــر مُحَمَّد بن يعقـــوب الكُلَيْني، الملقب بحجة الإسلام وثقته، المتوفى سنة ٣٢٩هـ.

والثاني: «من لا يحضره الفقيه» لمحمد بـــن بابويه القمي، الملقب بالصَّدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هـ.

والآخران هما: «التهذيب» و«الاســـتبصار»، وهما لمحمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة، المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

---

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٢٣٧/١).

«الكافي» للكليني:

وينعتون صاحبه بثقة الإسلام وعَلم الأعلام، وبالشيخ الصدوق أيضًا في بعض الأحيان. وقال الدكتور حسين علي محفوظ المظفر في مقدمته لأصول الكافي: «وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشِّيعة على تفضيل هذا الكتاب، والأخذ به، والثقة بخبره، والاكتفاء بأحكامه. وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره، على أنه القطب الَّذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم، وهو عندهم أجل وأفضل من سائر أصول الأحاديث»[(١)]. وقد عدَّ صاحب «الوافي» كتاب «الكافي» «أشرف الكتب الأربعة وأوثقها، وأتمها وأجمعها؛ لاشتماله على الأصول من بينها، وخلوه من الفضول وشينها»[(٢)].

والكافي له المقام الأعلى عند الجعفريَّة، يقول عبد الحسين المظفر في مقدمته لأصول الكافي: «وهي أوَّل موسوعة إسلاميَّة استطاع مؤلفها أن يرسم بين دفتيها مثل هذا العدد من الأحاديث، وقد كلفته هذه المجموعة أن يضحي من عمره عشرين سنة؛ قضاها في رحلاته متنقلًا من بلدة إلى أخرى، لا يبلغه عن أحدٍ مؤلف، أو يروي حديثًا؛ إلا وشدَّ الرحال إليه، ومهما كلفه الأمر، فلا يبرح حتَّى يجتمع به، ويأخذ عنه، ولذلك تمكن من جمع الأحاديث الصحيحة. وهذه الأحاديث الَّتي جاءت في الكافي جميعها ذهب المؤلف إلى صحتها، ولذلك عبر عنها بالصحيحة»[(٣)].

---

(١) مقدمة أصول الكافي صـ٢١، نشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.

(٢) الوافي للفيض الكاشاني (٥/١).

(٣) مقدمة أصول الكافي صـ٨.



ويقول: «ويعتقد بعـــض العلماء أنه عرض علـــى القائم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يعني الإمام الثاني عشر ـ فاستحسنه وقال: كافٍ لشيعتنا»[١].

وقال عنه المجلســي: «أضبط الأصول وأجمعها، وأحســن مؤلفات الفرقة الناجية وأعظمها». وقــال المولى مُحَمَّد أمين الإســترابادي في «الفوائد المدنية»: «وقد سمعنا عن مشايخنا وعلمائنا؛ أنه لم يصنَّف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه»[٢].

كتاب «من لا يحضره الفقيه»:

لأبي جعفر مُحَمَّد بن علي بن الحســين بن موسى بن بابويه القمي (٣٠٦ ـ ٣٨١هـ) وينعتونــه بالصدوق، وبشــيخ الحَفَظــة، ووجه الطائفة المســتحفظة، ورئيس المحدِّثين، والمُطَّلع بآثار المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. قال في «الوافي»: «أما «الفقيه» فهو كالكافي! مع خلوِّه من الأصول، وقصوره عن كثير من الأبواب والفصول، وربما يشبه الحديث فيه بكلامه، ويشبه كلامه في ذيل الحديث بتمامه، وربما يرســل الحديث إرسالًا، ويهمل الإسناد إهمالًا»[٣].

وخلوُّ هذا الكتاب من الأصــول، أي العقائد، معناه أنه كتاب خاص بالفروع أو بأحكام الفقه، وكذلك كتابا الطوســي. ولا يميز هذه الكتب عن المؤلفات الفقهيَّة سوى الأســانيد الَّتي تفتقر إليها بدورها أحاديث كثيرة. وتنتهــي معظم هــذه الروايات إلــى الإمام أبي عبــد الله جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) مقدمة أصول الكافي صـ١٩.

(٢) مقدمة د. حسين علي محفوظ صـ٢٢.

(٣) الوافي (٥/١).



كتاب «تهذيب الأحكام»:

وهو ثاني كتب الفروع بعد «من لا يحضره الفقيه»، وهو من تأليف أبي جعفر بن الحسن بن علي الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) المشهور بشيخ الطائفة. وربما نعتوه بشيخ الإماميَّة، ورئيس الطائفة. رتّبه على أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات. ويعرف اختصارًا بـ «التهذيب» ويشتمل على ثلاثة وعشرين كتابًا، وتبلغ أبوابه ثلاثمائة وثلاثة وتسعين بابًا، أما أحاديثه فتبلغ ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة وتسعين حديثًا.

كتاب «الاستبصار فيما اختلف من الأخبار»:

اختصره من «التهذيب» واقتصر فيه على ما اختلف من الأخبار[1]، أي على الأحاديث المتعارضة، وكيفية الجمع بينها، أو ما يعرف بـ «مختلف الحديث»، ويمكن عدّ بعض أطرافه كتابًا في الفقة الإمامي المقارن. وقد أحصى المؤلف أحاديثه في خمسة آلاف وخمسمائة وأحد عشر حديثًا. وأحصى بعض العلماء أبوابه في تسعمائة وخمسة وعشرين ـ أو خمسة عشر ـ بابًا[2].

يقول الدكتور زرزور: ويمكننا القول تعقيبًا على هذه الكتب الأربعة: إن المصدر الحديثي لعقائد الإماميَّة هو كتاب الكافي للكليني، في جزئيه الأوَّل والثاني، اللذين دُعيا ـ لذلك فيما يبدو ـ بـ «أصول الكافي» ولو سمِّيا بأصول العقائد، أو بكتاب العقائد عند الشِّيعة الإماميَّة لم يكن ذلك بعيدًا، والله أعلم[3].

(١) راجع مقدمة المؤلف صـ٢، ٣، تحقيق علي أكبر الغفاري، نشر دار الحديث، قُم، ط١، ١٣٨٠هـ ش.

(٢) مقدمة الاستبصار للمحقق الشيخ محمد علي الغروي الأوردبادي (ص. ر)، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، بازار سلطاني، ١٣٩٠هـ.

(٣) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٢٨٦/١).



رؤية الشِّيعة لمرويات الصحابة:

يقول الدكتور ناصر القفاري: حرمت الشِّيعة نفسها من مصدر عظيم للعلم والإيمان هو: «روايات الصحابة» رضوان الله عليهم، الَّذين فازوا بصحبة رسول الله، وشهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، وأثنى الله عليهم ورسوله؛ فهم لا يعتبرون من السنة ـ أعني الأحاديث النبويَّة ـ إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت؛ دون ما سواه من روايات صحابة رسول الله ﷺ.

وإذا عرفنا أن الاثني عشريَّة تعني بأهل البيت «الأئمَّة الاثني عشر»، والَّذي أدرك الرسول ﷺ منهم وهو مميز هو أمير المؤمنين علي، وعليه فهل يتمكن أمير المؤمنين من نقل سنة الرسول ﷺ كلها للأجيال؟! كيف وهو لا يكون مع الرسول ﷺ في كل الأحيان! فقد كان الرسول ﷺ يسافر ويستخلفه في بعض الأحيان، كما في غزوة تبوك، وكان علي رضي الله عنه يسافر ورسول الله ﷺ في المدينة، فقد بعثه رسول الله إلى اليمن، وكذلك ألحقه بأبي بكر حين أرسله للحجِّ.

بالإضافة إلى حال الرسول ﷺ في بيته، والتي يختص بنقلها زوجاته أمهات المؤمنين، وهذا من أسرار وحكم تعدُّدهن، فإذًا عليٌّ رضي الله عنه لا يمكن أن يستقلَّ بنقل سنَّة رسول الله ﷺ، فكيف يقولون بأنهم لا يقبلون إلا ما جاء عن طريقه؟!

كما أن جلَّ بلاد الإسلام بلغهم العلم عن رسول الله من غير طريق علي رضي الله عنه؛ فقد بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة يدعو النَّاس إلى الإسلام، ويعلم الأنصار القرآن، ويفقههم في الدين! وبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في مثل ذلك، وبعث معاذًا وأبا موسى



إلى اليمن، وبعث عتَّاب بن أَسِيد إلى مكة، فأين قول من زعم أنه لا يبلِّغ عنه إلا رجل من أهل بيته؟!»[1].

وقد قال بعض أهل العلم: إنَّه «لم يُرو عن عليٍّ إلَّا خمسمائة وستَّة وثمانون حديثًا مسندة، يصح منها نحو خمسين حديثًا»[2]. فهل سنة الرسول هي هذه فقط؟!

ولشيوع الكذب على عليّ من قِبل الرافضة: أعرض عنهم أهل الصحيح[3]، فلا يروي البخاري ومسلم أحاديث علي إلا عن أهل بيته، كأولاده مثل الحسن والحسين، ومثل مُحَمَّد بن الحنفيَّة، وكاتبه عبيد الله بن أبي رافع، أو أصحاب ابن مسعود وغيرهم، مثل عَبِيدة السَّلْماني، والحارث التيمي، وقيس بن عباد وأمثالهم، إذ هؤلاء صادقون فيما يروونه عن علي، فلهذا أخرج أصحاب الصحيح حديثهم.

وقد اعترفت كتب الشِّيعة بكثرة الكذب على أهل البيت، حتَّى قال جعفر الصادق كما تروي كتب الشِّيعة: «إن النَّاس أولعوا بالكذب علينا»[4].

لماذا أعرض الشِّيعة عن رواية الصحابة؟

ولكن لماذا أعرضت طائفة الاثني عشريَّة عن رواية صحابة رسول الله ﷺ؟!

---

(١) منهاج السنة (٥/٦٣).
(٢) الفِصَل لابن حزم (٤/١٠٨)، ومنهاج السنة (٧/٥١٩).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٣/٣٢).
(٤) بحار الأنوار (٢/٢٤٦).



إن السبب يعود إلى البدعة الأولى الَّتي ابتدعها ابن سبأ من القول بأن عليًّا ﵁ هو وصيُّ رسول الله ﷺ، وأن الصحابة لم ينفذوا الوصيَّة، ويولوه الخلافة! وترتَّب على ذلك عند طائفة الاثني عشريَّة أن الصحابة خرجوا من دين الإسلام، ولا يستثنون من ذلك إلا عددًا لا يساوي أصابع اليد.

ولم يشفع للصحابة عند هؤلاء ثناء الله ورسوله عليهم، ولا صحبتهم لرسول الله، وجهادهم في سبيل الله، وتضحياتهم، وسابقتهم، وبذلهم الأرواح والمهج، ومفارقتهم للأهل والوطن، ونشرهم للإسلام في أصقاع الأرض[1].

نماذج من الجرح والتعديل عندهم:

وفي دراسة أخينا الدكتور علي السالوس، «مع الشِّيعة الاثني عشريَّة: الأصول والفروع» يتحدث عن الجرح والتعديل عند هؤلاء القوم؛ وكيف يرتبط بعقيدتهم الباطلة في الإمامة، وكيف وُضعت كتبهم لتأييد هذه العقيدة؛ فيقول: «وكتب الرجال عندهم طعنت في خير جيل عرفته البشرية، وجرحت صحابة الرسول ﷺ، ورضي عن الصحابة الكرام البررة. ولم يسلم من الطعن إلا من اشتهر في التاريخ بولائه لعلي بن أبي طالب.

وقولهم بعصمة الأئمَّة جعلهم لا ينظرون إليهم على أنَّهم رواة ثقات؛ بل جعلوهم مصدرًا للتشريع، فأقوالهم سنة واجبة الاتباع كسنة رسول الله ﷺ، دون أدنى فرق. وسأكتفي هنا ببيان بعض النماذج ممَّا جاء في كتب الرجال عندهم.

---

(١) أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري (٤٠٤/١).

وأصول هـذه الكتب الرجالية خمسـة هي: رجـال البرقي، ورجال الكشي، ورجال الشيخ الطوسـي وفهرسته، ورجال النجاشي. وقد رجع إلى هذه الأصول وغيرها عبد الله الماماقاني في كتابه «تنقيح المقال في علم الرجال». والمؤلف يلقبونـه بالعلامة الثاني آيـة الله، أمَّا علَّامتهم الأوَّل فهو ابن المُطهِّر الحِلِّي، الذي رد عليه شـيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب تنقيح المقال من أكبر الكتب حجمًا ومكانة عندهم»[١].

وإليك بعض النماذج ممَّا جاء في هذا الكتاب.

١ ـ علي بن أبي طالب:

أمير المؤمنين، عليه أفضل الصلاة والسلام، مناقبه وفضائله لا يسع البشر عدَّها وإحصاءها، قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي. وقد ورد أنه لو كان البحر مدادًا، والأشـجار أقلامًا، وأوراق الأشـجار قرطاسًـا، والجن والإنس كُتَّابًـا، لما أحصوا مناقبه[٢]!

٢ ـ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أبي قحافة:

جليل القـدر، عظيم المنزلة، من خواصِّ علـيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحوارييه. أتته النَّجابة من قبل أمه أسـماء بنـت عميس، لا من قبل أبيـه. من أنْجب النُّجباء، من أهل بيت سـوء. بايع أمير المؤمنين علـى البراءة من أبيه، ومن الخليفـة الثاني، وقال له: أشـهد أنك إمام مُفْتـرَض الطاعة، وأن أبي في النار! إلخ[٣].

---

(١) مع الشيعة الاثني عشرية للدكتور علي السالوس صـ٦٩٩.

(٢) تنقيح المقال للمامقاني (٢/٢٦٤)، ١٣٤٩هـ.

(٣) المصدر السابق (٢/٥٧، ٥٨).



٣ ـ عبد الله بن عمر بن الخطَّاب العدوي خليفة العامَّة:

بالغت العامَّة في مدحه، ومن لاحظ ترجمته المتفرقة، وأمعن النظر فيها لم يعتمد على خبره[١].

٤ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص:

كان كأبيه في الرأي والنفاق، والكذب على الله ورسوله، والخروج مع معاوية بصِفِّين، وكفى بذلك جرحًا[٢].

٥ ـ خالد بن الوليد:

تعاقد مع أبي بكر على قتل عليٍّ رضي الله عنه، ثمَّ ندم أبو بكر خوفًا من الفتنة، سمَّاه العامَّة سيف الله، والأحق بتسميته سيف الشيطان! زنديق، أشهر من كفر إبليس في العداوة لأهل البيت! إلخ[٣].

٦ ـ أنس بن مالك:

جاء في ترجمته أنه كان من المنحرفين عن علي رضي الله عنه، الكاتمين لمناقبه؛ حبًّا للدنيا، فدعا عليه بالعمى، فكُفَّ بصره، وأنَّه كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]!

شروط الحديث الصحيح والحديث الحسن عندهم:

والحديث الصحيح عندهم هو «ما اتصل سنده إلى المعصوم، بنقل العدل الإمامي عن مثله، في جميع الطبقات؛ حيث تكون متعددة»[٥].

(١) تنقيح المقال للمامقاني (٢٠١/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٠٠/٢).

(٣) المصدر السابق (٣٩٤/١).

(٤) المصدر السابق (١٥٤/١، ١٥٥).

(٥) ضياء الدراية صـ٢١، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.



أي أنَّهم متفقون على أن شروط الصحة هي:

١ ـ اتصال السند إلى المعصوم بدون انقطاع.

٢ ـ أن يكون الرواة إماميِّين في جميع الطبقات.

وأثـر الإمامة هنا يبدو إلـى جانب تحديد المعصوم ـ في اشـتراط إماميَّة الراوي، فالحديث لا يرقى لمرتبة الصحيح ما لم يكن الرواة من الجعفريَّة الاثني عشريَّة في جميع الطبقات.

وأما الحديث الحسن: فهو «ما اتصل سنده إلى المعصوم؛ بإمامي ممدوح مدحًا مقبولًا معتدًّا بـه، غير معارَض بذم، من غير نص على عدالتـه، مع تحقُّـق ذلك فـي جميع مراتـب رواة طريقـه، أو في بعضها»[1].

ويُستفاد من هذا النص أنَّهم يشترطون للحسن: مع اتصال السند إلى المعصوم بدون انقطاع: أن يكون جميع الرواة إماميين؛ فهم يقبلون رواية الإمامي غير ثابت العدالة، ويرفضـون رواية غير الإمامي كائنًا من كان، وبالغًا ما بلغ من العدالة والتقوى والورع.

ضعف ضوابط تصحيح الحديث عند الشِّيعة:

ثم كيف تحفظ هذه السـنن؟ إنها لا تُقبل عندهم إلا إذا جاءت من أشياعهم الَّذين يتبعونهم! والشيعة لا يشترطون ما يشترط أهل السُّنَّة في كل حديث، إذ يكفي أن يكـون حامل الحديث من شـيعتهم، ومتبعي أهوائهم، وهؤلاء عندهم لا حرج عليهم فيما يروون!

---

(١) ضياء الدراية صـ٢٣.



وليس هذا بالتوثيق العلمي الَّذي بنى أسسه وأقام دعائمه علماء المسلمين من أهل السُّنَّة؛ فهم لا ينقلون قولًا إلا بسند متصل، ولا يقبلون حديثًا اشتمل على قول أو فعل أو تقرير بغير إسناد؛ ولهذا قالوا: الإسناد من الدين، ولولا الإسناد، لقال من شاء ما شاء!

ولا بد أن يكون السند من أوله إلى آخره متَّصلًا معروفًا، فإذا ثبت في السند انقطاع أو ضعف في عدالة الراوي أو ضبطه، يشكك المحدثون في روايته؛ لأن هذا دين، تنبني عليه فرائض وأحكام، وواجبات وسنن، ومستحبات ومكروهات، وحلال وحرام. فلا يجوز أن تبنى هذه الأمور الهائلة على روايات واهية، لا تصمد أمام مناقشة العلماء ولا أسئلتهم.

وقد رأينا روايات الشِّيعة عن رسول الله ﷺ، وعن سيِّدنا علي رضي الله عنه، وعن سيدَيْ شباب أهل الجنَّة، وعن بقيَّة الأئمَّة الاثني عشر؛ فوجدنا فيها: ما لا يقبله عقل، ولا يُسنده نقل، ولا يدعو إليه دين، ولا يقبله خُلُق، ولا تستحسنه رواية، ولا تمشِّيه دراية، ولا يقبل بأي منطق بشري.

ثم هم يبدؤون السند من حيث يريدون، ويزعمون أن أئمَّتهم معصومون، ولو وقف الأمر عند أئمَّتهم لهان الأمر، فهم عندنا رجال صادقون، يخافون الله تعالى، ويحبون رسوله، ويحبون الحق، ولا يبيعونه بأي غرض دنيوي، وإن عظم قدره عندهم وعند الناس، فنحن نصدق هؤلاء الأئمَّة، وإن لم نعدهم معصومين، فالآفة ليست منهم؛ ولكن الآفة ممَّن يروي عنهم، ممن يستبيحون الكذب على الله عز وجل، وعلى رسوله الكريم، وعلى الصالحين الخيرين من الناس.

يقول السيِّد الخوئي وصدق: «ذهبت جماعة من المحدِّثين إلى أن روايات الكتب الأربعة قطعية الصدور. وهذا القول باطل من أصله، إذ



كيف يمكن دعوى القطع لصدور رواية رواها واحد، ولا سيَّما أن في رواة الكتب الأربعة من هو معروف بالكذب والوضع»[(١)].

مدى صحة روايات الكتب الأربعة:

يقول الدكتور القفاري: أما مدى صحة ما في هذه المدونات في نظر هذه الطائفة، فهم في هذا فريقان: صنف يرى صحتها، ويقطع بثبوت كل حرف فيها عن الأئمَّة، وفريق يرى أن فيها الصحيح وغيره.

يقول الشيخ المامقاني: «إن كون مجموع ما بين دفتي كل واحد من الكتب الأربعة، من حيث المجموع متواترًا؛ ممَّا لا يعتريه شك ولا شبهة؛ بل هي عند التأمل فوق حد التواتر، ولكن هل هي متواترة بالنسبة إلى خصوص كل حديث؟ وبعبارة أخرى: هل كل حديث وكلمة بجميع حركاتها وسكناتها الإعرابيَّة والبنائيَّة، وبهذا الترتيب للكلمات والحروف على القطع أم لا؟ فالمعروف بين أصحابنا المجتهدين الثاني كما هو قضيَّة عدها أخبار آحاد، واعتبارهم صحة سندها أو ما يقوم مقام الصحة، وجل الأخبار على الأول؛ كما يقتضيه قولهم بوجوب العمل بالعلم، وأنها قطعية الصدور»[(٢)].

إذن فالكتب الأربعة عند الأخباريِّين من الاثني عشريَّة أعظم من القرآن عند المسلمين! ولهذا قبلوا رواياتها الَّتي تتعرض لكتاب الله، وجعلوها هي الحاكمة على كتاب الله، وذلك هو الضلال العظيم.

فبينما يقبل الأخباريون جميع مروياتهم دون نقد أو تمحيص؛ فإن الأصوليِّين يعتبرون هذه المرويات من قبيل الآحاد، وينظرون حين

---

(١) معجم رجال الحديث (٣٦/١)، ط ٥، ١٤١٣هـ.

(٢) تنقيح المقال (١٨٣/١).



الحكم عليها إلى السند، ولذلك قال جعفر النجفي ـ شيخ الشِّيعة الإماميَّة، ورئيس المذهب في زمنه ـ (ت١٢٢٧هـ) في كتابه «كشف الغطا» عن مؤلفي الكتب الأربعة: «والمحمدون الثلاثة كيف يعول في تحصيل العلم عليهم، وبعضهم يُكذِّب رواية بعض، ورواياتهم بعضها يضاد بعضًا! ثمَّ إن كتبهم قد اشتملت على أخبار يُقطع بكذبها؛ كأخبار التجسيم، والتشبيه، وقدم العالم، وثبوت المكان والزمان»[١].

ولكن أصحاب الكتب الأربعة نصوا في مقدماتهم بأنهم لا يذكرون إلا الصحيح، فيجيب صاحب «كشف الغطا» عن ذلك بقوله: «فلا بد من تخصيص ما ذكر في المقدمات، أو تأويله على ضرب من المجازات، أو الحمل على العدول عما فات، حيث ذكروا في تضاعيف كتبهم خلاف ما ذكروه في أوائلها[٢]، أي إنَّهم عدلوا عن شرط الصحة الَّذي ذكروه في مقدمات كتبهم!».

ثم يأتي الاعتراض الأكثر صعوبة، وهو أن هذه الكتب الأربعة مأخوذة ـ كما يقولون ـ من أصول معروضة على الأئمَّة، و«أصول الكافي» كُتب في عصر الغيبة الصغرى، وكان بالإمكان الوصول إلى حكم الإمام على أحاديثه؛ بل قالوا بأنه عرض على مهديِّهم، فقال بأنه كافٍ لشيعتنا. كما أن صاحب «من لا يحضره الفقيه» أدرك من الغيبة الصغرى نيِّفًا وعشرين سنة، فلِمَ لم يعترض الأئمَّة على ما فيها من موضوعات؟!

---

(١) كشف الغطا صـ٤٠، نشر دار طباعة مرتضى، ١٣١٧هـ.

(٢) المصدر السابق نفسه.



ولم يجد صاحب «كشف الغطا» جوابًا على ذلك إلا الفزع إلى التَّقِية الَّتي هي متعلقهم إذا أعيتهم الحيل، فقال: «وإنه لا يجب على الأئمَّة المبادرة إليهم بالإنكار، ولا تمييز الخطأ من الصواب، لمنع التقيَّة المتفرعة على يوم السقيفة»[1].

نماذج من أحاديث الشِّيعة:

وقد ذكر الدكتور عدنان زرزور بعض النماذج من مرويات الشِّيعة في دراسته «السُّنَّة النبويَّة وعلومها بين أهل السُّنَّة والشيعة الإماميَّة»؛ ولا بأس أن نقتبس بعضها، لنعلم ماذا يروون في كتبهم، وماذا يعنون بالسنة إذا ذكرت في كتبهم!

طينات الأئمَّة وطينة الشِّيعة والأنبياء[2]:

روى الكُلَيْني بسنده في «الكافي» عن مُحَمَّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: «إن الله خَلَقنا من نور عظمته، ثمَّ صوَّر خَلْقنا من طينةٍ مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكُنَّا نحن خلقًا وبشرًا نورانيين، لم يجعل لأحدٍ في مثل الَّذي خَلَقنا منه نصيبًا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة، **ولم يجعل الله لأحدٍ في مثل الَّذي خلقهم منه نصيبًا، إلا للأنبياء**. ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر النَّاس ـ باقيهم ـ همجًا للنار وإلى النار»[3].

(١) أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري (٤٢٧/١ ـ ٤٢٩).

(٢) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٤٣٢/٢ ـ ٤٣٤).

(٣) الوافي (٦٨٤/٣، ٦٨٥) حديث (١٢٨٨)، نشر مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي، أصفهان، ١٤٠٦هـ.



فالأئمَّة ـ إذن ـ فـوق الأنبياء بحكـم الخلْق والتكويـن؛ لأن مقام الأنبياء مساوٍ «لمقام» شيعة الأئمَّة! وماذا إن تحوَّل الشِّيعي عن عقيدته، فما الحكم؟ أو: فمن أيِّ شيء «كان» قد خُلق؟!

أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والنبي الساحر[١]!

وروى الكُلَيْني في كتابه «الكافي» بسـنده، عن يوسف بن صهيب، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسـكن فإن الله معنا. وقد أخذته الرِّعْدة، وهو لا يسـكن! فلما رأى رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حالَه قال له: تريـد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدَّثون، وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون؟ قال: نعم. فمسح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده على وجهه، فنظر إلى الأنصار يتحدثون، ونظر إلى جعفـر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر!»[٢].

وليس في هـذا «الحديث» عبارة واحدة يمكن اسـتثناؤها من دائرة الوضع والتحريـف، ولا أدري من الَّذي حدَّث ابـن صهيب بهذا الَّذي أضمره أبو بكر في نفسه؟! علمًا بأنه لم يكن من ثالث للنبيِّ وأبي بكر إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يعلم إلا هو من الَّذي أطلـع الكُلَيْني أو راوي الحديث على ما في قلب أبي بكر، أو ما أضمره في نفسه في تلك الساعة؟!

والرواية تقول: إن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد أخذته الرعدة وهو لا يسكن! أي إنـه كان في أقصـى حـالات الاضطراب والخـوف! وربمـا الرعب! والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول له، فيما حكاه ربّ العزّة جلّ وعلا: «لا تحزن»، فإما أن

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٤٦٩/٢ ـ ٤٧٩).

(٢) المصدر السابق (٢٠٨/٢، ٢٠٩) حديث (٦٧٢).

يكون النبي الكريم لا يفرق بين من أصابه الحزن ومن أخذته الرِّعدة! أو أن يكون هذا الَّذي يُنسب إلى أبي بكر كذب، لأنَّه يخالف ما قاله النبي وما حكاه رب العزّة جلّ وعلا!

في فضل زيارة قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه [١]:

استهل الفيض الكاشاني «باب فضل زيارة أمير المؤمنين علي» بهذا الحديث الَّذي روي بسنده في كل من «الكافي» و«التهذيب» عن أبي وهب القصري قال: دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: جُعلت فداك، أتيتك ولم أزر قبر أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «بئسما صنعت! لولا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك! ألا تزور من يزوره الله تعالى مع الملائكة، ويزوره الأنبياء عليهم السلام، ويزوره المؤمنون؟» قلت: جعلت فداك ما علمت ذلك! قال: «فاعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام عند الله أفضل من الأئمَّة كلهم، وله ثواب أعمالهم! وعلى قدر أعمالهم فُضّلوا».

وروى في «التهذيب» بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من زار أمير المؤمنين عليه السلام ماشيًا كتب الله له بكل خطوة حجة وعمرة، فإن رجع ماشيًا كتب الله له بكل خطوة حجتين وعمرتين!»[٢] هكذا!

وروى في «التهذيب» بسنده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعًا من بقاع الجنَّة، وعرصَة من عرصَاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده، تحنُّ إليكم، وتحتمل المذلَّة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها؛ تقربًا منهم

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٢/٥١١، ٥١٢).

(٢) الوافي (١٤/١٤٠٤) حديث (١٤٤٥٢).

إلى الله، ومودَّة منهم لرسـوله. أولئك يا عليُّ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، **وهم زوَّاري غدًا في الجنَّة. يا عليُّ، من عمَّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك له ثواب سـبعين حجة** بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتَّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمُّه، فأبشـر وبشِّـر أولياءك ومحبِّيك، من النعيم وقـرَّة العين بما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشـر، ولكن حثالة من النَّاس يعيِّرون زوَّار قبوركم بزيارتكم؛ كما تُعَيَّر الزانية بزناها، أولئك شرار أمتي، لا نالتهم شفاعتي، ولا يَرِدُون حوضي»[1].

الحسين يرضع من إبهام النبي[2]!

روى الكُلَيْني بسـنده، عن أبي عبد الله عليه السلام قـال: «إن جبرائيل عليه السلام نزل على مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا مُحَمَّد، إن الله يبشـرك بمولود يولد من فاطمة، تقتله أمَّتُك مـن بعدك! فقال: يا جبرائيل، وعلى ربي السـلام، لا حاجة لي في مولود يُولد من فاطمة تقتلـه أمَّتي من بعدي. فعرج ثمَّ هبط عليه السلام، فقال له مثل ذلـك، فقال: يا جبرائيل، وعلى ربي السـلام، لا حاجة لي فـي مولود تقتله أمتي من بعدي. فعـرج جبرائيل عليه السلام إلى السـماء، ثمَّ هبط فقال: يا مُحَمَّد إن ربَّك يقرئك السـلام، ويبشِّرك بأنه جاعلٌ في ذرِّيَّته الإمامة والولاية والوصية. فقال: قد رضيت.

ثم أرسل إلى فاطمة: إن الله يبشرك بمولود يولد لك، تقتله أمَّتي من بعدي. فأرسلت إليه: لا حاجة لي في مولود منِّي تقتله أمتك من بعدك.

(١) الوافي (١٤/١٤٠٥ ـ ١٤٠٧) حديث (١٤٤٥٥).

(٢) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٥٣٧/٢، ٥٣٨).



فأرسل إليها: إن الله قد جعل في ذريَّته الإمامة والولاية والوصية. فأرسلت: إنّي قد رضيت، فـ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥]. فلولا أنه قال: أصلح لي في ذريتي؛ لكانت ذريته كلها أئمَّة! ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي، فيضع إبهامه في فمه، فيمصُّ منها ما يكفيه اليومين والثلاث! فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله ودمه، ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى ابن مريم عليه السلام والحسين عليه السلام».

لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (المسجد الثالث: مسجد الكوفة)[1]:

روى «الصدوق» في «من لا يحضره الفقيه» بدون إسناد، وفي «الخصال» بإسناده عن الحسن بن علي، وأبي الصخر جميعًا، يرفعانه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ، ومسجد الكوفة»[2].

وغنيٌّ عن البيان أن المراد بمسجد الكوفة: مسجد سيِّدنا علي رضي الله عنه، وقد نعت الكُلَيْني مسجد الكوفة بـ «المسجد الأعظم»! وعقد له بابًا خاصًّا تحت هذا العنوان: «باب فضل المسجد الأعظم بالكوفة، وفضل الصلاة فيه، والمواضع المحبوبة فيه» وذكر فيه عشرة أحاديث، استهلها بهذا الحديث.

(١) السُّنَّة النبوية وعلومها بين أهل السنة والشيعة الإمامية (٢/٦٤٥ ـ ٦٥٠).

(٢) الوافي (١٤/١٤٤٧) حديث (١٤٥٠٠).



هذا، وقد أخرج الإمام البخاري «في باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة» من حديث أبي هُرَيْرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الأقصى**»(١). وغنيٌّ عن البيان أيضًا أنه لا أثر لفضل الكوفة ومساجدها في أحاديث أهل السُّنَّة.

وربما كان استبعاد المسجد الأقصى، أو جعل مسجد الكوفة محلَّه، مقصودًا في أحاديث الإماميَّة!

نقد آية الله البرقعي لمرويات الشِّيعة:

وحتى يكون النقد موضوعيًّا؛ فلن نأتي بأقوال بعض من تركوا مذهب التشيُّع إلى رحاب أهل السُّنَّة والجماعة؛ وإنَّما نترك المجال لأحد كبار علماء الشِّيعة، ممَّن يُلقب بآية الله العظمى ـ وهي مكانة رفيعة عندهم ـ وهو رجل من التيَّار الإصلاحي، الَّذي يدعو إلى النظر في التراث الشيعي، وتقويم المسيرة من الداخل. وقد تلقَّى علمه في الحوزة العلميَّة في قُم، ونال درجة الاجتهاد في المذهب الجعفري الاثني عشري، وله العديد من التصانيف والبحوث والرسائل.

وقد كان في شبابه شيعيًّا متعصبًا، ثمَّ اهتدى بفضل الله إلى الحق، وألَّف كتابه هذا ـ بعدما آثر تحكيم العقل والمنطق على الهوى والتعصب ـ وقد عانى الشيخ ما يعانيه كل المصلحين في التاريخ، فقد سُجن، وأهين، وعُذِّب، ثمَّ نُفي، وقبل ذلك طُرد من مسجده، وجرت

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧).



محاولــة لاغتياله، وعولــج منها في بيتــه بعدما نصحه أحــد الأطباء بمغادرة المستشفى! ثمَّ اقتيد إلى أقسى الســجون السِّياسية في إيران! وتوفي عام ١٩٩٢م بعدما جاوز الثمانين من عمره، وأوصى ألّا يدفن في مقبرة الشِّيعة[١].

كسر الصنم:

وينصبُّ نقد البرقعي على مرويَّات الكافــي؛ وذلك في كتابه القيم «عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول» والمعروف بـ «كسر الصنم». وبعد أن أبدى أسفه على انحطاط المسلمين، وبث همَّه من عدم تقاربهم ووحدتهم قال في كتابه:

«عمدت إلــى التوجه إلــى المذهب الاثني عشــري؛ لأنَّه أحســن المذاهب في زعــم أتباعه، ولأنهم يعدُّون أنفســهم أتبــاع أهل البيت، فاخترته للنقد، وبدأت بأحسن كتبهم ـ أعني أصول الكافي ـ فوجدت فيه مئات الإشــكالات، ورأيت أهل هــذا الكتاب غارقين فــي الخرافات والأوهام، ووجدته مخالفًا للقرآن، وللقواعد العقلية، فإذا كان هذا حال أحسن كتبهم، فالويل لغيره!»!

وقال أيضًا: «إن لكل قــوم صنمًا خاصًّا بهم؛ وقــد يكون حجرًا أو شجرًا، أو إنســانًا أو كتابًا، فكل ما يجعل الإنســان منحرفًا عن مسيرة العقل الصحيح، وينتج عنه التعصب الذميم: يُمكن أن يسمَّى صنمًا، **ومن ذلك كتاب** «**أصول الكافــي**» الَّذي يخالف القرآن فــي معظم محتوياته

(١) مقدمة المترجم عبد الرحيم ملا زاده البلوشي لكســر الصنم صـ٢٣، ٢٤، نشر دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.



وموضوعاته! **وهم لا يعدُّون القرآن كافيًا، ولكـن يعدُّون هذا «الكافي» كافيًا لسعادتهم** ويتعصَّبون لهذه العقيدة! يقول الشيخ النوري «الطبرسي»: «لم يؤلف مثل الكافي في الإسلام». وقال المجلسـي والمامقاني: «إن الكافي مِن أوثـق وأضبط كتبنا». وزعمـوا أنه وصل ليد إمـام الزمان المهدي أو نوابه، وحكموا بصحته!»[١].

ويتساءل الشيخ في المقدمة الثانية: كيف يقولون: القرآن غير كافٍ للأمة، ويكون هذا الكتاب كافيًا؟! وقـال: «إن هذا الكتاب ـ الكافي ـ يمنع تحقيق الوحدة بين المسلمين، وهو يمثل صنمًا! ولا بد من كسر الأصنام، والعودة إلى التوحيد!»، وقال أيضًـا: «إنه ألفه طلبًا لرضا الله تعالى، وقيامًا بواجب الإرشاد، ولرفع الخلافات، والدعوة إلى الوحدة والاتحاد بيـن المسـلمين، ورفعًا للبغض والشـقاق والنفـاق! هذه الخلافات إنَّما نشأت بسبب الأخبار المفتراة الواردة في كتبنا المعتبرة نحن الشِّيعة!»[٢].

ولا يقف البرقعي أمام نصوص المدح والثنـاء والتمجيد والإطراء، الَّتي أضفاها ويضفيها علماء الشِّـيعة الإماميَّة عبر الزمن على الكُلَيْني؛ لأنَّها في نظره لا تعبِّر سـوى عن انحياز طائفي ليس إلا، كما لم تشفع للكافي مقولة عرضه على المهدي عليه السلام، ذلك أن البرقعي يرفض بشـدَّة هذه المقولة؛ إذ لو حصـل ذلك لذكره الكُلَيْني نفسـه، فإن كتابه لينال بذلك قيمة أكبر ممَّا أخذ بـآلاف المرات، وعليه يجـب الإقرار ـ عند البرقعي ـ أن الكافي كتابٌ معيوبٌ في أسانيده ومتونه معًا!

(١) كسر الصنم المقدمة الأولى للمؤلف صـ٢٧ ـ ٢٩.
(٢) كسر الصنم المقدمة الثانية صـ٣١، ٣٢.



تتبع الروايات ونقدها سندا ومتنا:

وقد تتبَّع البرقعي روايـات أبواب أصول الكافي روايةً روايةً، ونقد أسانيد أغلبها مثبتًا ـ حسب رأيه ـ ضعفها السندي، لهذا عدَّ كثرة الرواة فاسدي العقيدة في هذا الكتاب من علامات ضعفه ووهنه، كما عدَّ من نقاط ضعفه ذكره روايات في كرامات الأئمَّـة عليهم السلام بعد الكاظم عليه السلام، يرويها رجـالٌ مـن الواقفيـة[1]، الَّذين لـم يكونوا ليعتقـدوا بهؤلاء الأئمَّة عليهم السلام أساسًا.

وفي سياق الرؤية الوحدوية الَّتي كان البرقعي يتحرَّك في إطارها، لاحظ علـى الكُلَيْني أنه **لم يـروِ عن النبيِّ ﷺ في الجـزء الأوَّل من أصول الكافي سوى «٦٥» حديثًا من أصل «١٤٤٠» حديثا**؛ تمثِّل مجمل روايات هذا الجزء، معتبرًا ذلك مثيرًا للتعجب والاسـتغراب، ومحطَّ تساؤل واستفهام!

ولا نقدر أن نسـتعرض هنا مجمل ملاحظات البرقعي على روايات الكافي تفصيـلًا، لكنها بالغة الكثـرة؛ يمكن ملاحظتها فـي كل رواية يستعرضها ثمَّ ينقدها، فقد ضعَّف جملة من الروايات؛ لأنَّها تفيد غفران تمام الذنوب بقراءة دعاء بسيط مختصر، ورفض أخبار التسامح في أدلة السنن «المسـتحبات والمكروهات»؛ لأنَّها تشجِّع على التسامح في نقد الأخبـار، كما رفض روايـات أن الأكراد قـوم من الجنِّ، ومـا دلَّ من الروايات على أن أصل بعض الحيوانات بشرٌ مذنبون!

---

(١) هـم الجماعـة الذيـن توقفـوا عند إمامة موسـى الكاظم حيـن وفاتـه، ولـم يؤمنوا بإمامة ولده علي بن موسـى الرضا، بـل قالوا: إنّ الإمام الكاظم حـيّ يرزق، وإنّه هو القائم من آل محمد.



لم يخشَ البرقعي من هذا الكمِّ الهائل من الأخبار الَّتي وصفها بالموضوعة؛ بل دعم موقفه ـ لتأكيد وجود ظاهرة الوضع ـ بكلمات الكثيرين مثل البهبودي، وقلمداران، والشهيد الثاني، ومحمد تقي التستري، وهاشم معروف الحسني.

نسبة الأحاديث الضعيفة والموضوعة:

ولكي يجهز البرقعي على الكافي برمَّته يجيب عن التساؤل التالي: سلَّمنا وجود أخبار موضوعة في هذا الكتاب، لكن وجود بعض الوضع لا يسمح برفض مجمل النصوص الواردة فيه.

قال البرقعي: إن هذا الكلام يتمُّ لو كانت نسبة الموضوع إلى المجموع «٢٪»، أما لو علمنا بوضع «٩٠٠٠» حديث من أصل ما يقرب من «١٦٠٠٠» حديثًا، فإن الأمر يختلف، إذ تصبح نسبة الموضوع «٦٠٪» أو قريب «٦٥٪» من المجموع، ومعه كيف يوثق بالباقي ويعتمد عليه؟!

القيمة العِلميَّة لكتاب «كسر الصنم»:

وسأنقل فقرات من كتاب «كسر الصنم» للبرقعي رَحِمَهُ اللَّهُ، توضح مقصود مؤلفه، وقيمته العِلميَّة حيث يقول: «منذ أمد بعيد قد أسفت على انحطاط المسلمين، وذلهم وتفرقهم وفقرهم، وبحثت عن طريق الخلاص لهم، ورأيت أن تجار الدين والمنتفعين به هم أكبر عثرة في طريق رقي المسلمين وتقدمهم، ورأيت أن هؤلاء المتعالمين والمنتفعين يتعمدون صدَّ النَّاس عن البحث والنظر والتقدم واليقظة، وجعلوا بيئتهم كبيئة العميان، لتصبح تربة صالحة لقبول ادِّعاءاتهم الباطلة وخرافاتهم، وهكذا يخفون عيوبهم ونقائصهم ولا تَبين.

من أجل هذا، عمدنا في هذا الكتاب إلى التوجه للمذهب الجعفري الاثني عشري من بين المذاهب، وهو من أحسن المذاهب على حد زعم أتباعه، ولأنهم يعدون أنفسهم من أتباع بيت رسول الله ﷺ، فالتفتنا إليه واخترناه للنقد، وبدأنا بأحسن كتبهم، أعني كتاب «أصول الكافي».

إشكالات وأوهام وخرافات:

وخلاصة الأمر عثرنا فيه على مئات الإشكالات، ورأينا أن أهل هذا الكتاب غارقون في الخرافات والأوهـــام، ووجدناه مخالفًا للقرآن، ولم نره في الوقت ذاته موافقًا للقواعد العقليَّة!

وطلبا لرضا الله تعالى، وقيامًا بواجب الإرشـــاد، ولرفع الخلافات، وللدعوة للوحـــدة والاتحاد بين المســـلمين، ودفعًا للبغض والشـــقاق والنفاق، وتوضيحًا لطريق الاتِّحاد بين أبناء وطني، وضعتُ كتابي هذا، موضِّحًا فيه أنَّ هذه الخلافات إنَّما نشأت بسبب الأخبار المُفتراة الواردة في كتبنا المعتبرة نحن «الشيعة».

هذه الكتب الَّتي قد توهمنا أنَّها حجة إلهيَّة وكافية لأبناء مذهبنا! هي الَّتي أنشأت الاختلاف، وأوجدت الخرافات وضللت شعبنا.

وعلى علماء الأمة أن ينصحوا ويبتغوا الخيـــر، ويبينوا تعارض هذه الأخبار مع حجتين إلهيتين، ألا وهما: القرآن، والعقل. ويبينوا لأمتهم أن أكثر هذه الأخبار الموجودة في الكتب ـ كتب الشِّيعة المعتبرة ـ تخالف القرآن والعقل والإيمان، وتوجب الخسران في الدُّنيا والآخرة!

واخترت من بين كتب الشِّيعة المعتبرة كتاب «أصول الكافي»؛ لأنَّهم يعتبرونه من أوثق الكتب وأحسنها، لأنَّه إذا تناقضت أخبار هذا الكتاب



مع حجتين إلهيتين، وهما القرآن والعقل. وصار ذلك كالعيان فستنهار قيمة غيره من الكتاب بداهة؛ لأن العُقاب إذا كان يعجز عن التحليق، فكيف يكون حال البعوضة؟!

ونحن في هذا الكتاب سنأتي على ذكر أخبار الكافي وأحاديثه الَّتي تخالف الحجة الإلهيَّة، وسنحقق في السند والمتن؛ لأنَّه إذا تبين فساد السند ورواته، تبين للقارئ من هم الَّذين اختلقوا المذهب، وعمدوا للتفرقة بين المسلمين بوضع الأخبار الملفقة.

علماء الشِّيعة المتمذهبين:

ومع الأسف فإن العلماء المتمذهبين المتأخرين لم يحاولوا دراسة هذه المسائل والتحقيق فيها، بل قلدوا الرواة الَّذين سبقوهم، وكان الوضاعون من أشباه المتعلمين وأصحاب الخرافات، قد أحدثوا أكثر هذه الأخبار في القرن الثاني أو الثالث، حيث لم يكن هناك حوزة عِلميَّة، أو مركز للبحوث، أو جامعات ذات مستوًى علمي مرموق لتمحص تلك الأخبار.

فقد كان كل من لديه شيءٌ يسير من علم، ويستطيع أن يكتب، ملأ كراسة وبدأ يكتب فيها كل ما يسمع من فلان وعلان، إذا بدا له أنه طيب حسب الظاهر، وغلب على ظنه أنه تقي ورع، دون أن يطلع على باطنه، ودون أن يتضح له صدقه من كذبه. بل كان ما يفعله اعتمادًا على ظاهر دينه وتقواه فحسب، لهذا أخذ عنه خبرًا وجمعه، وكمثال على ذلك نقول: إن الشيخ الصدوق كان إنسانًا محترفًا يبيع الأرز في قم، كتب كراسًا جمع فيه كل ما سمعه عمن رآه حسنًا ونقله، ومحمد بن يعقوب الكُلَيْني أيضًا كان بقالًا في بغداد، وقد جمع ودون طوال عشرين عامًا



كل ما سمعه من أهل مذهبه واعتمد عليه؛ لأن تلك الفترة لم يكن فيها رجال دين بالمعنى المعروف»[(١)].

هذه مقتطفات ممَّا كتبه البرقعي في مقدمة كتابه في نقده للثلث الأوَّل من «الكافي»، وهي تعبر صريحًا عن مستوى أوثق كتب الحديث عند الشِّيعة، فهو كتاب مليء بالإشكالات والخرافات والأوهام، تخالف الأحاديثُ الواردة فيه القرآنَ الكريم والعقل السليم، وتحدث مزيدًا من البغض والشقاق بين أبناء الأمة الإسلاميَّة، وأن الأخبار والأحاديث في كتبهم المعتمدة، لم تحظَ بما حظيت به السُّنَّة النبويَّة من عناية لدى أهل السُّنَّة، ولا قريبًا منها، وإنَّما هي أحاديث تجمع بحسن نية من جامعها غير المتخصص فيها، وبجهالة تامة بحال الرواة، وبتسليم من الأجيال التالية من العلماء بما جاء في هذه الكتب من غير بحث ولا تمحيص.

نداء علماء الشِّيعة لحمل راية التصحيح:

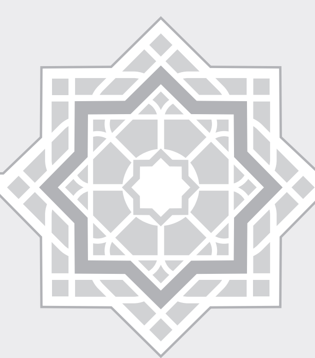
وإننا هنا ننادي علماء الطائفة الاثني عشريَّة باسم الله الواحد الأحد، وباسم الحقيقة الإسلاميَّة، وباسم الأمة الإسلاميَّة، وباسم الشريعة الإسلاميَّة، وباسم الأخوة الإسلاميَّة: أن يتقوا الله ﷻ في دينه، وأن يحملوا مسؤوليَّة التصحيح لجمع الأمة وإزالة الفرقة، بالعودة إلى منبع الإسلام الصافي: كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ الَّتي حفظها الله ﷻ، والتخلص من تلك الروايات الَّتي فرَّقت الأُمَّة وأقامت بينها العداء واستباحة الدماء.

(١) كسر الصنم لآية الله البرقعي صـ٢٧ ـ ٣٣.



والعاقل يحكم بالقرآن الكريم على الروايات، ولا يحكم بالروايات على القرآن الكريم، إذ الروايات قد تعرضت للدس والكذب، وأما كتاب الله عز وجل فهو محفوظ بحفظ الله سبحانه وتعالى. يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. ويقول سبحانه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

❊ ❊ ❊



الفصل الثالث

موقف الشِّيعة الإماميَّة

من الصحابة رضي الله عنهم





موقف الشِّيعة الإماميَّة من الصحابة رضي الله عنهم

مكانة الصحابة في الإسلام:

من الثابت عند أهل السُّـنَّة والجماعة، وهم الجمهور الأكبر من أمة الإسلام، أمة القرآن: فضلُ «الصحابة» رضوان الله عليهم، وهو أمر ثابت ثبوتًا قطعيًّا، لا تحوم حوله شبهة ولا شك.

وكلمة «الصحابة» إذا سمعها المسـلم علم أنَّهم صحابة رسول الله: مُحَمَّـد ﷺ، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

هؤلاء الَّذين بدؤوا في الانضمام إليـه، والدخول في دعوته، والالتزام بشريعته، عبادة ومعاملة، جهادًا ودعوة، بذلًا وتضحية، والوقوف إلى جانبه، والدفاع عنه بأنفسهم وأرواحهم، ثمَّ بأموالهم وكل ما ملكت أيديهم.

لقد قام الرسول ﷺ بدعوته في «مكة» الَّتي اتخذها العرب «عاصمة» للوثنية العربيَّة، واعتبروا أنفسـهم حُماة هذه الوثنية الَّتي أشـركت بالله الأحجارَ والأوثانَ، وكل ما يُعبد من دون الله.

مرحلة الابتلاء والتمحيص:

وقف العرب ضد مُحَمَّد ﷺ والقلة الَّتي آمنت معه بعنف وجبروت، وإن كانوا من كبار قريش: من بني مخزوم، أو من بني هاشم، أو من بني



عبد مناف، أو غيرها من بطون قريــش. فكيف بالغُرباء عن مكة، وليس لهم في هذه البطون مَن يحتضنهم ويحميهم؟ أو كانوا من العبيد والإماء، الَّذين ينظرون إليهم كأنَّهم دون مقام الإنسانية؟!

كان هؤلاء هم الأصحاب الأوَّلون، الَّذين دخلوا في الإسلام، حيث لم يكن معه ﷺ أمل يُرتَجى، أو حلم يُرتقب!

وكم أصاب هــؤلاء الصحابة من مِحَن، وكم نــزل بهم من بلاء، وكم وقع بهم من جراحات، من جرَّاء رفضهم للشرك ورجسه، ولهذه الآلهة الَّتي يعبدها المشركون، ويسجدون لها، ويقدمون لها القرابين من دون الله!

ونزلت آيات القرآن تثبِّت المؤمنين المضطهدين، وتعدهم بنصر الله لهم، وأن الدُّنيا دُوَل، والأيام قُلَّب: يومٌ لك، ويومٌ عليك، وأنَّهم لا ينبغي أن ييئســوا من رَوْح الله أبــدًا، وإن ضاقت عليهــم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، كما قال نبي الله يعقوب لبنيه: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

اقرأ هذه الآيات في السور المكية، وقد اشتدَّ البلاء على المؤمنين، وقوبل الصحابة بكل أنواع الكيد والإيذاء: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٦].

لقد عُذِّب مــن الصحابة من عُــذِّب، وضُيِّق عليهم ثلاث ســنوات متواصلة، وهم محاصرون مع قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب،



حتَّى أكلوا أوراق الشـجر، فدميت أفواههم، وجُرحت أشـداقهم، وهم صابرون محتسبون، حتَّى أذن الله تعالى بأن تنكشف هذه الغُمَّة، ثمَّ بدأ الانفراج شـيئًا بعد شـيء، فهيَّأ الله بعض القبائل من أبناء يثرب، فقبِلوا الإسلام، ودخلوا فيه، فكان هذا بشـيرًا بمرحلة قادمة، هي الهجرة وما بعدها، وإقامة الدولة الإسلاميَّة المنشودة.

مجتمع المدينة:

وبعد الهجرة، تكوَّن المجتمع المسلم من مهاجرين وأنصار، ومن هنـا نجد القـرآن بعـد الهجـرة يحدِّثُنا عـن فريقين مـن الصحابة: «المهاجرين»، وهم: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. وبجوارهـم إخوانهم الجُـدد، من أهل المدينة من الأوْسِ والخزْرج، الَّذين سُـمُّوا «الأنصار»، وهم الَّذين بايعوا وآووا ونصروا رسول الله ﷺ، ونصروا معه إخوانهم المهاجرين: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وفي سـورة الحج تَحدَّث الله تعالى عن المهاجريـن، وعمَّن انضمَّ إليهم، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١]. وفي هذه السـورة حديثٌ خاصٌّ عن



المهاجرين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨ ـ ٥٩].

مرحلة الجهاد والدعوة:

وفي المرحلة الجديدة، مرحلة الجهاد والدعوة، تحمَّل الصحابة كلهم مسؤوليَّة الدعوة بكل تكاليفها، وما تتطلبه من البذل والتضحية، بكل غالٍ ورخيص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقد ذكر القرآن ما شارك فيه الصحابة من معارك ظهرت فيها بطولتهم، وضحوا فيها بأنفسهم وأموالهم، شارك فيها شبابهم وشيوخهم، وسبقوا في سبيل الله سبقًا بعيدًا. وكانت المرأة المسلمة بجوار الرجل تشد أزره، وتحمي ظهره، وتشارك في بعض المعارك مشاركة لها قيمتها.

انظر ما قاله القرآن في سوره وآياته الكثيرة عن جهاد الصحابة بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وما سجَّله القرآن لهم عن كل غزوة من الغزوات.

غزوة بدر:

أذكر هنا بعض ما قاله الله تعالى في سورة الأنفال عن غزوة بدر، وحال الصحابة فيها، يقول تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠]،



﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ [الأنفال: ١٢]، ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ [الأنفال: ١٧]، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

غزوة أحد:

وأذكر ما في سورة آل عمران عن غزوة أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

ولقد صورت سورة آل عمران الصحابة وتفاوتهم وتنوع منازلهم في آية واحدة، وذكر سبحانه عفوه في آخر هذا العتاب الرباني عن بعض الصحابة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ثبات الصحابة في غزوة الأحزاب:

وفي غزوة الأحزاب الَّتي أغارت فيها قريـــش وغَطَفان ومن تبعهما على المدينة، يريدون القضاء على الرســول ﷺ ـ وعلى كل من يعاونه ـ



في عُقــر داره ومهجره، وبذلــك تطوى صفحة الإســلام! وقد دبَّروا للأمر، وتبعهم اليهود، فغدروا بالمسلمين وهم أحوج ما كانوا إليهم، **﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾** [الأحزاب: ١٠ ـ ١١]. وكان امتحانًا كبيــرًا تجلَّى فيه إيمان الصحابة: **﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب: ٢٢].

وقال تعالى: **﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾** [الأحزاب: ٢٣].

في خط الدفاع الأوَّل عن الإسلام:

وما ذكره القرآن عــن صلح الحديبية، وعن غــزوة خيبر، وعن فتح مكة، وعن يوم حنين، وعن ســائر المواقف الَّتي وقفها الصحابة، دفاعًا عن الإسلام، وذودًا عن حياضه، وعن أهله ورجاله، ونسائه وأبنائه: يجب أن يعرفــه أبناء الإســلام، ليتجلَّى لهم بكل وضوح مــاذا قدم الصحابة للإسلام، وكيف كانوا خط الدفاع الأوَّل عنه.

وحســبنا أن نقرأ قول الله تعالى: **﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

حسبنا أن نقرأ ما ورد في القرآن عن هذه المعارك الربَّانيَّة: **﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۞ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾** [الفتح: ١ ـ ٤]،

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۞ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۞ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۞ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ۞ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الفتح: ١٨ ـ ٢٢].

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧].

فالصحابة هم الَّذين دافعوا عن الإسلام بسيوفهم ورماحهم، وحرابهم وسهامهم، حتَّى قام بناؤه، ورُكِزت دعائمه، وارتفعت حيطانه، وتعمقت جذوره، واستطالت فروعه، وامتدَّت أغصانه، وعلت قممه، وتوسَّعت ظلاله، وطابت ثمراته، كما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۞ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

وهم الَّذين تآلفوا على الإسلام، حتَّى قامت بينهم الأخوة الصادقة، والألفة التامَّة: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. وأحبَّ كلٌّ منهم أخاه، كما

يحبُّ نفسه، بل آثَره على نفسه، وكما قيل عن الأنصار: يكثرون عند الفزع، ويقلُّون عند الطمع[١].

وهم الَّذين حفظوا القرآن الكريم غضًّا طريًّا، وهو كلام الله المبين، الَّذي أنزله على رسوله، بواسطة جبريل، فانتقل من جبريل أمين الوحي إلى رسول الله ﷺ، ومن رسول الله إليهم، فتحركت به ألسنتهم، وانشرحت به صدورهم، واطمأنَّت به قلوبهم، وتغيَّرت به حياتهم.

وهم الَّذين روَوْا سُنَّة رسول الله ﷺ وسيرته، وعاشوها، ورضعوا من لِبانها، وغَذَّتهم طيباتها، فكانوا للسُّنَّة راوين، ولأحداثها مُنفِّذين، ولوقائعها شاهدين، وببلائها ممتحَنين، وبعافيتها متمكِّنين.

وهم الَّذين غرسوا بذرة العلوم الإسلاميَّة: علوم القرآن، والحديث، والتفسير، والعقيدة، والفقه، والأصول، واللغة! ابتدأت صغيرة ثمَّ كبرت، أصيلة ثمَّ تفرعت، محدودة ثمَّ تبحَّرت، على ما هو شأن كل شيء، في نشأته ونموه وانتشاره.

الصحابة هم الَّذين أثنى عليهم القرآن الكريم، وأثنى عليهم الرسول العظيم، وأثنى عليهم التابعون لهم بإحسان، وأثنى عليهم كلُّ منصف حتَّى من خصومهم.

ثناء القرآن الكريم على الصحابة:

لقد أثنى الله تعالى على أصحاب نبيه، الَّذين حملوا أمانة هذا الدين، ورفعوا رايته، وتراحموا فيما بينهم، لا يبتغون أجرًا ولا مالًا، ولا يريدون

---

(١) ذكره الخطابي وقال: يرويه الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن محمود بن لبيد. انظر: غريب الحديث (٦٨٢/١)، تحقيق عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، نشر دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.



على ذلك جزاءً ولا شكورًا، ولا يطلبون عُلُوًّا ولا فسادًا. يقول الله تعالى فيما أثنى به عليهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٨].



وقال تعالى: ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أفبعد كل هذه الآيات المتكاثِرة في الثناء عليهم، يأتي مَن يطعن في إيمانهم، أو يشكِّك في عدالتهم، أو يصفهم بالفسق والكفر والردَّة، وهم الَّذين أخرج الله النَّاس بهم من الظلمات إلى النور، وهداهم صراطًا مستقيمًا؟!

ثناء النبي ﷺ على الصحابة:

وأثنى النبيُّ ﷺ على صحابته، الَّذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النُّور الَّذي أنزل معه، ففي «الصحيحين» من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «**خير النَّاس قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم**»[١].

وثبت في صحيح مسلم، عن أم مبشر، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النَّارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[٢].

وعن جابر، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا يدخل النَّار أحد شهد بدرًا، أو الحديبية**»[٣].

---

(١) متفق عليه بألفاظ متقاربة عن ابن مسعود، رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣). وعمران بن حصين، رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥). ورواه مسلم، عن عائشة (٢٥٣٦)، وعن أبي هريرة (٢٥٣٤)، كلاهما في فضائل الصحابة. قال السيوطي: يشبه أن الحديث متواتر. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة المناوي (٤٧٨/٣، ٤٧٩)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م.

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٦)، وأحمد (٢٧٣٦٢).

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٥)، وأحمد (١٤٤٨٤).



وقال رســـول الله ﷺ: «**لا تســبُّوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه**»[١].

فهذه شهادات من الله ﷻ، ثمَّ من نبيِّه ﷺ، لا يمكن أن تصدر لمن ليس أهــلًا لها! لا يمكن أن تصدر لمن ســيخالف أمــر الله ونهيه؛ لأن الله ﷻ يعلم الغيب والشهادة، ما كان ليرفع أحدًا من خلقه في الأمة، مع علمه بأنه ليس أهلًا لذلك، فالمتحدِّث هو رب العالمين، ما كان سبحانه ليثني على من علم أنه سيرتد عن دينه، ويخالف شريعته، ويخون أمانته!

من أقوال علماء الأمة في الصحابة:

قال عبد الله بن مســعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلــوب العباد، فوجد قلب مُحَمَّد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلــب مُحَمَّد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه»[٢].

وعن الحســن، وقد ذَكر أصحاب مُحَمَّد ﷺ فقال: «كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمَقها علمًا، وأقلَّهــا تكلفًا، قومًا اختارهــم الله لصحبة نبيِّه ﷺ، فتشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم؛ فإنَّهم وربِّ الكعبة على الصِّراط المستقيم»[٣].

وقــال أبو زُرعة الــرازي: «إذا رأيــتَ الرجلَ ينتقــص أحدًا من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول حق، والقرآن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠)، كلاهما في فضائل الصحابة.

(٢) رواه أحمد (٣٦٠٠): وقال مخرجوه: إسناده حسن، والبزار (١٨١٦)، والطبراني (١١٢/٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٣٢): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٩٤٦/٢)، تحقيق أبي الأشــبال الزهيري، نشــر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.



حق، وما جاء به حق، وإنَّما أدَّى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[١].

وقال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحبُّ أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان»[٢].

وقال البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا ظهر أنَّ حبَّ الصحابة من الإيمان، فحبهم أن يعتقد فضائلهم، ويعترف لهم بها، ويعرف لكل ذي حقٍّ منهم حقَّه، ولكل ذي غَناء في الإسلام منهم غَناءه، ولكل ذي منزلة عند الرسول ﷺ منزلته، وينشر محاسنهم، ويدعو بالخير لهم، ويقتدي بما جاء في أبواب الدين عنهم، ولا يتَّبع زلَّاتهم وهفواتهم، ولا يتعمَّد تهجين أحد منهم، ببثِّ ما لا يحسن عنه، ويسكُت عمَّا لا يقع ضرورة إلى الخوض فيه فيما كان بينهم، وبالله التوفيق»[٣].

وقال الخطيب البغدادي: «عدالة الصحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء ممَّا ذكرناه، لأوجبت الحال الَّتي

---

(١) الكفاية للخطيب صـ٤٩.

(٢) متن العقيدة الطحاوية للإمام الطحاوي الحنفي صـ١٤، نشر المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩٧هـ.

(٣) شعب الإيمان (٣/٩٣، ٩٤)، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.



كانوا عليها من الهجرة والجهاد، ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين: القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم، وأنَّهم أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدَّلين الَّذين يجيئون من بعدهم. هذا مذهب كافَّة العلماء، ومن يُعتمد قوله»[1].

ويقول الإمام الشاطبي: «من أحبهم فقد أحبَّ النبي ﷺ، ومن أبغضهم فقد أبغض النبيَّ عليه الصلاة والسلام، وما ذاك من جهة كونهم رأوه أو جاوروه أو حاوروه فقط؛ إذ لا مزيَّة في ذلك، وإنَّما هو لشدَّة متابعتهم له، وأخذهم أنفسهم بالعمل على سُنته مع حمايته ونصرته، ومن كان بهذه المثابة حقيق أن يُتَّخَذ قدوة، وتجعل سيرته قِبْلة»[2].

وقال ابن القيم: «كان أحدُهم يرى الرأي، فينزل القرآن بموافقته، كما رأى عمر في أسارى بدر أن تضرب أعناقهم، فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن تُحجب نساء النبي ﷺ، فنزل القرآن بموافقته، ورأى أن يتخذ من مَقام إبراهيم مُصَلًّى، فنزل القرآن بموافقته!

وقد قال سعد بن معاذ لمَّا حكَّمه النبي ﷺ في بني قريظة: إنِّي أرى أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذرياتهم، وتغنم أموالهم، فقال النبي ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات**»[3].

ولما اختلفوا إلى ابن مسعود شهرًا في «المفوَّضة»[4] قال: أقول فيها

(١) الكفاية صـ٤٦، ٤٧.

(٢) الموافقات للشاطبي (٧٩/٤، ٨٠)، تحقيق الشيخ عبد الله دراز، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، كلاهما في الجهاد، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) هي التي لم يُفرض لها مهرًا.



برأيي، فإن يكن صوابًا فمن الله، وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريء منه، أرى أن لها مهر نسائها لا وكس ولا شطط، ولها الميراث، وعليها العدة. فقام ناس من أشجع فقالوا: نشهد أنَّ رسول الله ﷺ قضى في امرأة منا يقال لها: بَرْوع بنت واشِق، مثل ما قضيت به. فما فرح ابن مسعود بشيء بعد الإسلام فرحه بذلك(١).

وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا وحكمة وعلمًا ومعرفة وفَهمًا عن الله ورسوله، ونصيحة للأمَّة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة، غضًّا طريًّا لم يَشُبْهُ إشكالٌ، ولم يَشُبْه خلاف، ولم تدنسه معارضة، فقياس رأي غيرهم بآرائهم من أفسد القياس»(٢).

وقال الإمام الذهبي عند ذكر سيرة العشرة «المبشرين بالجنة»: «وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريِّين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدُّنيا والآخرة. فأبعد الله الرافضة ما أغواهم وأشدَّ هواهم! كيف اعترفوا بفضل واحد منهم، وبخسوا التسعة حقهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة؟!

فوالله ما جرى من ذلك شيء، وأنَّهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تيم، يتَّجر ويتكسَّب،

---

(١) رواه أحمد (٤٠٩٩): وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (٢١١٤)، والترمذي (١١٤٥): وقال: حسن صحيح. والنسائي (٣٣٥٥)، وابن ماجه (١٨٩١)، جميعهم في النكاح.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (١٤٩/٢ ـ ١٥٣) تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ.



لا لرغبة في أمواله، ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك أيفعل هذا من له مسكة عقل؟

ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه والحالة هذه من ألوف من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في بُرء الرفض، فإنَّه داء مزمن، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوَّة إلَّا بالله»[1].

* * *

(١) سير أعلام النبلاء (١٤٠/١، ١٤١)، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

فضائل الصديق والفاروق وأم المؤمنين عائشة

نتناول هنا بعض فضائل أبي بكر الصديق خليفة رسول الله وصاحبه، وثاني اثنين في رحلة الهجرة، ورفيقه في الغـــار، وكذا فضائل الفاروق عمر أمير المؤمنيـــن، الَّذي فرَّق الله بـــه بين الحق والباطـــل، وفضائل الصِّدِّيقـــة الطاهـــرة أم المؤمنين عائشـــة، الَّتي برَّأها الله من فوق ســـبع ســـماوات. واكتفينا بذكر فضائل هؤلاء خاصَّة؛ لمَّا أكثر بعض الأفَّاكين الضَّالِّين المُضلِّين من الشِّيعة الاثني عشريَّة من الافتراء عليهم، والطعن فيهم دون حق.

- **فضائل الصديق** رضي الله عنه :

أول من أسلم:

كان أبو بكر رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، وهو أوَّل من أسلم من الرجال. يقول ابن كثير: «وأول من أســـلم من الرجـــال الأحرار أبو بكر الصديق، وإسلامه كان أنفع من إســـلام من تقدَّم ذكرهم؛ إذ كان صدرًا معظمًا، ورئيسًـــا في قريش مكرمًا، وصاحب مال، وداعية إلى الإسلام. وكان محبَّبًا متألَّفًا، يبذل المال في طاعة الله ورسوله»[1].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٦٧/٤)، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صَدَق. وواساني بنفسه وماله**»(١).

صاحب النبي ﷺ في الهجرة:

ومن الخصائص الَّتي اخْتُصَّ بها ﷺ، وهي ثابتة له بالكتاب والسنة والإجماع، صحبة النبي ﷺ في الهجرة، قال تعالى: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠].

وفي الصحيحين، من حديث أَبِي بكر ﷺ: قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لأبْصرنا. فقال: «**ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟**»(٢).

أفضل الأمة بعد النبي ﷺ:

دلَّت الأحاديث الصحيحة والدلائل الكثيرة أنَّ أبا بكر ﷺ هو أفضل هذه الأمَّة بعد نبيها، كما كان أحبَّ الصحابة إلى النبي ﷺ. ففي الصحيح، عن ابن عمر ﷺ قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمَّة النبي ﷺ بعده: أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان(٣).

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦١)، عن أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (٣٦٥٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١).

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٥) بلفظ: كنا نخيّر بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخيِّر أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ.



أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ:

وهو رضي الله عنه أحبُّ الصحابة إلى رسول الله ﷺ، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ بعثه على جيش ذات السَّلاسل، قال: فأتيتُه، فقلت: أي النَّاس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**». قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»(١).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ في مرضه الَّذي مات فيه عاصبًا رأسه بخرقة، فقعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «**إنه ليس من النَّاس أحدٌ أمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت مُتَّخذًا من أمَّتي خليلًا لاتَّخذت أبا بكر خليلًا، ولكن خُلَّة الإسلام أفضل**»(٢). وفي رواية: «**ولكن أخي وصاحبي**»(٣).

وصفه بالصديق:

يعدُّ وصف أبي بكر بـ «الصدِّيق» من أشهر الأوصاف الَّتي ثبتت لأبي بكر رضي الله عنه، وقد وصفه به النبي ﷺ، ففي الصحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد رسول الله ﷺ أُحُدًا، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**اثبُت أحد؛ فإنَّما عليك نبيٌّ، وصدِّيق، وشهيدان**»(٤).

وعن أبي هُرَيْرة، أنَّ رسول الله ﷺ، كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزُّبير، فتحرَّكت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأْ فما عليك إلَّا نبيٌّ، أو صِدِّيق، أو شَهِيد**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٤).

(٢) رواه البخاري في الصلاة (٤٦٧)، وأحمد (٢٤٣٢).

(٣) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٦).

(٤) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٥).

(٥) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤١٧)، عن أبي هريرة.



بذله ماله لنصرة الإسلام:

روى الإمام أحمد، من حديث أبي هُرَيْرة، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر**». فبكى أبو بكر، وقال: وهل أنا ومالي إلَّا لك يا رسولَ الله[1]؟!

وخبر مسابقة عمر رضي الله عنه له مشهور، فقد قال رضي الله عنه: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدَّق، فوافق ذلك مني مالًا، فقال النبي ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلك؟**». فقلتُ: مثلَه. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيتَ لأهلك؟!**». قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقه إلى شيء أبدًا[2].

اجتهاده في العبادة وبشرى النبيِّ ﷺ له:

ثبت في الصحيح، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابه: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**». فقال أبو بكر: أنا. قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**». فقال أبو بكر: أنا. قال: «**هل فيكم من عاد مريضًا؟**». قال أبو بكر: أنا. قال: «**هل فيكم من تَصدَّق بصدقة؟**». فقال أبو بكر: أنا. قال: «**ما اجتمعنَ في امرئٍ إلا دخل الجنَّة**»[3].

وفي الصحيحين، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن أنفق زَوْجَيْن في سبيل الله، نُودي من أبواب الجنَّة: يا عبدَ الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصَّلاة،**

(١) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود في الزكاة (١٦٧٨)، والترمذي في المناقب (٣٦٧٥)، وقال: حديث حسن صحيح. والحاكم في الزكاة (٤١٤/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبزار (٢٧٠)، وقواه، عن عمر.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠٢٨)، والنسائي في الكبرى في مناقب الصحابة (٨٠٥٣).



دُعِيَ من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام، دُعِيَ من باب الرَّيَّان، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصَّدقة». فقال أبو بكر ﵁: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله، ما على من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**»[(١)].

يقول ابن تيمية ﵀: «لم يُعلم أحد من قريش وغيرهم عاب أبا بكر بعيبٍ، ولا نقصه، ولا استرذله، كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين، ولم يكن له عندهم عيب إلا إيمانه بالله ورسوله»[(٢)].

- **فضائل عمر ﵁:**

عمر بن الخطاب ﵁ أمير المؤمنين، وفاروق الأمة، كان إسلامه عزًّا للإسلام، ونصرًا للمسلمين، صحب النبي فأحسن صحبته، وكان بين يديه مستشارًا أمينًا، وكذا كان لأبي بكر ﵁، ثمَّ وَلِيَ الخلافة، فعدل في حكمه، وأحسن في تنظيم أمور البلاد، وفتح الله عليه الفتوح وله ﵁ من الخصائص والمناقب والفضائل الكثير، ومنها:

أعزّ الله به المسلمين:

من المناقب الَّتي اختُصَّ بها عمر بن الخطَّاب ﵁، تلك العزة الَّتي حصلت للمسلمين بإسلامه. يقول عبد الله بن مسعود ﵁: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصوم (١٨٩٧)، ومسلم في الزكاة (١٠٢٧)، عن أبي هريرة.

(٢) منهاج السُنَّة النبوية (٨/٥٤٧).

(٣) رواه البخاري في المناقب (٣٨٦٣).

وقال ابن عبد البر: كان إسلام عمر رضي الله عنه عِزًّا، ظهر به الإسلام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم[(١)].

قوة الدين:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بينا أنا نائم، رأيت النَّاس يُعرَضُون عليَّ وعليهم قُمُص، منها ما يبلغ الثُّدِيَّ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِض عليَّ عمر بن الخطَّاب وعليه قميص يجره**». قالوا: فما أوَّلت ذلك، يا رسولَ الله؟ قال: «**الدين**»[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**أُريت في المنام أني أنزِع بدلوِ بَكْرةٍ على قَلِيب، فجاء أبو بكر فنزع ذَنوبًا، أو ذَنُوبين نزعًا ضعيفًا، والله يغفر له، ثمَّ جاء عمر بن الخطَّاب، فاستحالت غرْبًا، فلم أر عبقريًّا يَفْري فَرِيَّه حتَّى رَوِيَ الناس، وضربوا بعَطَن**»[(٣)].

غزارة العلم:

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**بينا أنا نائم، أُتِيت بقَدَح لبن، فشربت حتَّى إنِّي لأرى الرِّي يخرج في أظفاري، ثمَّ أعطيتُ فضلي عمرَ بن الخطاب**». قالوا: فما أوَّلته، يا رسولَ الله؟ قال: «**العِلْم**»[(٤)].

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (١١٤٥/٣)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٢٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣٩٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٨٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٣). والقليب: البئر. والذنوب: الدلو. واستحالت غربًا: أي تحولت دلوًا عظيمة. ويفري فريَّه: أي يعمل عمله. وضرب الناس بعَطَن: أي رويت إبلهم حتى بركت وأقامت مكانها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (ض. ر. ب).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٨٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٩١).



وقال ﷺ: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسانِ عُمَرَ وقَلْبِه**»[١].

وعن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إنَّه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، وإنَّه إن كان في أُمَّتي هذه منهم، فإنَّه عمر بن الخطَّاب**»[٢].

موافقته للقرآن:

روى الشيخان، عن عمر قال: وافقتُ ربِّي في ثلاث: قلتُ: يا رسولَ الله، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلَّى! فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسولَ الله، يدخل على نسائك البر والفاجر، فلو أمرتهنَّ يحتجبن! فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغَيْرة، فقلت: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]. فنزلت كذلك[٣].

كان وقَّافًا عند كتاب الله:

عن ابن عبَّاس قال: قدم عُيَيْنَة بن حِصْن! فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِي يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجَزْل، ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتَّى همَّ أن يُوقِع به، فقال له الحُرُّ بن قيس: يا أميرَ المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين! والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله[٤].

---

(١) رواه أحمد (٥١٤٥)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذي (٣٦٨٢)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وابن حبان (٦٨٩٥)، كلاهما في المناقب، عن ابن عمر.

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٨٩)، عن أبي هريرة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري الصلاة (٤٠٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٩٩)، مختصرا.

(٤) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٤٢)، عن ابن عباس.



محبَّة قرابة النبيِّ ﷺ لعمر:

وفي الصحيحين: قال ابن عبَّاس: وُضع عمر بن الخطَّاب على سريره، فتكنَّفه النَّاس يدعون، ويُثنون، ويُصَلُّون عليه، قبل أن يُرْفع، وأنا فيهم، قال فلم يرُعْني إلَّا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفتُّ إليه، فإذا هو علي، فترحَّم على عمر، وقال: ما خلَّفْتَ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنتُ أُكَثِّر أسمع رسول الله ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**». فإن كنت لأرجو ـ أو لأظنَّ ـ أن يجعلك الله معهما[١].

محبَّة عمر لآل البيت:

عن أنس بن مالك، أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المُطَّلِب، فقال: اللهمَّ إنَّا كُنَّا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون[٢]. وهذا دليلُ تعظيمِه لرسول الله ﷺ وآل بيته.

مكانة عمر عند النبيِّ ﷺ:

قال الرَّشِيد لمالك: يا أبا عبد الله، صف لي قرب أبي بكر وعُمَر من النَّبِيِّ ﷺ، فقال: يا أميرَ المؤمنين، قُرْبُهما مِنْهُ فِي حَيَاته كقربهما مِنْهُ فِي وَفَاته. قال: شفيتني يا مالكُ، شفيتني يا مالكُ[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٧٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٩).

(٢) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠١٠).

(٣) رواه الآجُرِّي في الشريعة (١٨٤٩).



وفي صحيح البخاري: عــن مُحَمَّد بن الحنفيَّة أنَّه قال لأبيه عليٍّ بن أبي طالب: يا أبت، من خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ؟ قال: يا بُنيَّ، أو ما تعرف؟ قلت: لا. قال: أبو بكر. قلت: ثمَّ من؟ قال عمر[١].

يقول ابن تيمية: ويُروى هذا عن علي بن أبي طالب من نحو ثمانين وجهًا، وأنَّه كان يقوله على منبر الكوفة، بل قال: لا أوتى بأحد يفضِّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٢].

المشركون يعرفون قدر أبي بكر وعمر:

بل علم المشــركون مكانة الصِّدِّيق والفاروق من النبي ﷺ، ومدى شأنهما في الإسلام، وقدرهما في الدفاع عنه، وأن الفضل بين أصحاب النبي بهذا الترتيب، حتَّى قال أبو سفيان بعد معركة أحد: أفيكم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لا تجيبوه**». ثمَّ قال: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه. ثمَّ قال: أفيكم محمد؟ الثالثة، فلم يجيبوه. فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه حتَّى قالها ثلاثا. ثمَّ قال: أفيكم ابن الخطاب؟ حتَّى قالها ثلاثا فلــم يجيبوه. فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر نفســه فقــال: كذبت يا عــدوَّ الله، ها هو ذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وأنا أحياء، ولك منا يوم سوء[٣].

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧١).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٢/٤)، نشــر مجمع الملك فهــد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في السير (٨٥٨١)، عن البراء. وانظر: فيض الباري لمحمد أنور شاه (٣٨/٥)، تحقيق محمد بدر عالم الميرتهي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

• فضائل عائشة ﵂:

أهل السُّـنَّة مجمِعُون على تعظيم عائشة ومحبتها، وأنها كانت أحبَّ أمَّهات المؤمنين إلى النبي ﷺ، اللواتي مات عنهن رسـول الله ﷺ وهو عنهنَّ راضٍ، وأعظمهنَّ حرمة عند المسلمين، وهي أكثر أزواج النبي ﷺ نقلًا لسنَّته، وفقهًا في دينه.

محبة النبي لها:

فـي الصحيحين: عن عمرو بـن العاص ﵁، أنه سـأل النبي: أي النَّاس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»[١].

وقد ثبت فـي الصحيحين: أنه قـال لفاطمة: «**أيْ بُنَيَّـة، أما تُحِبِّين ما أحبُّ؟**». قالت: بلى. قال: «**فأَحِبِّي هذه**»[٢]. وأشار إلى عائشة.

وقال النبيُّ ﷺ لأمِّ سَـلَمة: «**لا تؤذيني في عائشـة، فإنَّه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لِحَاف امرأةٍ منكنَّ غيرها**»[٣].

ولمَّا اشـتدَّ المرض على رسول الله ﷺ، كان يسـأل يقول: «**أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟**». يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة، حتَّى مات عندها[٤].

مشاركتها في الغزوات مع النبيِّ ﷺ:

قال أنس ﵁: ولقد رأيتُ عائشـةَ بنت أبي بكر وأم سُـلَيْم وإنَّهما لمُشَمِّرتان، أرى خَدَم سوقهما [قبل نزول الحجاب]، تنقُلان القِرَب على

(١) سبق تخريجه صـ ٢٢٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة (٢٥٨١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٢).

(٣) رواه البخاري في المناقب (٣٧٧٥)، عن عائشة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤٥٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٣)، عن عائشة.



متونهما، ثـمَّ تُفرغانه في أفواه القوم، ثمَّ ترجعان فتملآنها، ثمَّ تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم[١].

يقول ابن تيمية: «وعائشةُ صحبتْه في آخر النبوَّة وكمال الدين، فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلَّا أوَّل النبوَّة؛ فإن الأُمَّة انتفعت بها أكثر ممَّا انتفعت بغيرها، وبَلَّغت من العلم والسُّنَن ما لم يُبَلِّغه غيرُها»[٢].

وفاة النبيِّ بين سَحْرها ونَحْرها:

قالت عائشة رضي الله عنها: تُوُفِّيَ النَّبيُّ ﷺ في بيتي، وفي نوبتي، وبين سَحْري ونَحْري، وجمع الله بين رِيقي ورِيقه. قالت: دخل عبد الرحمن بسواك، فضعُف النبي ﷺ عنه، فأخذتُه فمضغته، ثمَّ سنَنْتُه به[٣].

وقد برَّأها الله من فوق سبع سماوات من حادثة الإفك، وأنزل فيها قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة. يقول الإمام الذهبي: وإيَّاك يا رافضي أن تلوِّح بقذف أم المؤمنين بعد نزول النص في براءتها، فتجب لك النار[٤].

تميُّز جيل الصحابة

كان أصحاب مُحَمَّد صلّى الله علي وسلم ورضي عنهم متميزين على غيرهم من الأجيال، وقد رأينا في غزوة بدر قبل أن تبدأ المعركة، حين

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٨٠)، ومسلم (١٨١١)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أنس. وخدم سوقهما: الخلاخيل، تنقزان القرب: تثبان وتسرعان وهما تحملان القرب.

(٢) منهاج السُّنَّة النبوية (٣٠٣/٤، ٣٠٤).

(٣) رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٠٠)، عن عائشة.

(٤) سير أعلام النبلاء (١٨٨/١).



جمعهم النبي ﷺ، وقال: «**أشيروا عليَّ أيها الناس**»[١]. وكان ممَّا قاله أحدهم، وهو المقداد بن الأسود: يا رسولَ الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ولكن امض ونحن معك[٢].

كانوا متميِّزين، فهم قد أعدُّوا أنفسهم منذ آمنوا لبيع النفس والمال وكل ما ملكت أيديهم في سبيل هذا الدين الجديد، وهم في الحقيقة يبذلون لله أنفسًا هو الَّذي خلقها، وأموالًا هو الَّذي رزقها، يشتري سبحانه منهم ملكه، ويدفع لهم ثمنًا لا يدفعه إلا الله، وهو جنَّة عرضها السماوات والأرض أُعِدّت للمتقين.

وهم قد آمنوا بما بعث به النبي ﷺ من الدين الخاتم، واستعدُّوا للعيش في رحابه، وبذل كل ما لديهم للدفاع عنه، وتقديم كل عزيز عليهم، حتَّى يعلو أمره، وتنتصر دعوته، ويُظهره الله على الدين كله ولو كره الكافرون. كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وحين يتحدَّث القرآن عن الصحابة، فهو **حديث الله تعالى عن خلقه، وعن أصحاب نبيِّه، وهو سبحانه أعلم بهم، وأعلم بما قاموا به في أحلك الظروف**، وأصعب المواجهات، وهو يتحدث عن وقائع ملأت الدنيا، وشغلت الناس، وجعلت منهم مهاجرين، ﴿أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

---

(١) البداية والنهاية (٥/٧٠).

(٢) رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٦٠٩)، عن ابن مسعود.



وأنصـــارًا، ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

من الَّذي تحمَّل الألم والتعذيب والحصار والتجويع والمقاطعة غير هؤلاء؟!

ومن الَّذي تحمَّل الهجرة وما وراءها مِن ترك الأهل والأحباب، والديار والنَّخيل والأعناب، وكل شيء يستمتع به أعداء الدعوة غير هؤلاء؟!

ومن الَّذي تحمَّل أعباء الجهاد والغزوات بالقــرب من المدينة، ثمَّ إلى المدينة نفســها في غزوة أحد، وفي غزوة الأحزاب: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١].

هنا يظهر الإيمان الحقيقي الَّذي لا يبالي بما يلاقي، ما دام يرفع راية الإيمان، كما قال تعالــى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٢، ٢٣].

ليس عجيبًا أن يثني القرآن الكريم، ويثني الرسول العظيم، على هذا الجيل المثالي الربَّاني، الَّذي ربَّاه مُحَمَّد ﷺ، فلم يكن له مثيل في دنيا الناس، ولا تواريخ الأنبياء، ولا في أصحاب القادة الفاتحين.

اقرأ ســور القرآن الكريم الَّتي تحدثت عن هــؤلاء وعن هجرتهم، وجهادهم وإيثارهم وأخوَّتهم!



اقرأ السور الَّتي تحدَّثت عن الغزوات والسَّرايا والبعوث الَّتي ضربت في الأرض ابتغاء وجه الله، وقاومت الشِّرك العربي، والتديُّن الكتابي اليهودي والنصراني الَّذي ابتدع في الدين ما لم يأذن به الله، وغيَّر التَّوحيد والفطرة والسمو الأخلاقي، والوثنيَّة الَّتي عمَّت العالم في آسيا وإفريقيا وما سواهما من العالم!

اقرأ ماذا قدَّم هؤلاء الصَّحابة للعالم من نماذج حيَّة مؤمنة، تعالت على الدُّنيا وشهواتها ومنافعها، وفتحت المدائن، ولم تغرق في متاعها، وتركت نساءَها لرجالها، ولم تتطلَّع إلى عرض من الدُّنيا قليل!

اقرأ ما كتبه الإمام أبو الحسن الندوي في كتابه «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» عن ماذا قدم الصحابة من مثاليات رائعة، ونماذج هائلة، في البذل والطاعة، والأخوة والحب والإيثار، ممَّا لا تجد مثله في أيِّ أمة من الأمم[1]!

انظر: ماذا قدَّم هؤلاء الصحابة العظام من صور وأمثلة، رآها النَّاس في حياتهم، بكثرة وتكرار، أثَّرت في حياة الناس، وغيَّرت من عاداتهم فتحوَّلت طبائع أخرى، واستحال النَّاس صنفًا آخر ممن قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۞ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ٨٢ وما بعدها، نشر مكتبة الإيمان، المنصورة.

ما وقع بين الصحابة من نزاع

من المحن العظيمة، والفواجع الهائلة؛ الَّتي ابتلي بها الإســلام، في فجر تاريخه: «الفتنة الكبرى» الَّتي قتل فيها الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، وأدَّت نتائجها إلى مواجهات وقعت بين الصحابة بعضهم وبعض، حتَّى قاتل بعضهم بعضًا في معارك معروفة، شـبَّ أوارها، واشـتعلت نارها: «معركة الجمل» و«معركة صفِّين».

الأولى: قادتها أمُّ المؤمنين عائشـة ومعها اثنان مـن كبار الصحابة: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وكلاهما كان من الستة المرشحين للخلافة بعد عمر، كما أنهما من العشرة المبشرة بالجنة، ومن السابقين الأولين للإسلام، وممَّن أبلوا بلاءً حسنًا في نصرة الإسلام.

والثانية: وقعت بين أمير المؤمنين علي، ومعاوية بن أبي سفيان أمير بلاد الشام، الَّتي أمَّره عليها عمر بن الخطَّاب، وثبته عليها عثمان رضي الله عنهم.

وهـذه الحروب يقف منهـا أهل السُّـنَّة جميعًا موقف إحسـان الظن بالصحابة جميعًا، فهم الَّذين نقلوا الإسـلام إلى العالم، ونقلوا العالم إلى الإسلام، هم تلاميذ المدرسة النبويَّة، تخرجوا في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورضعوا من لِبانها، ونقلوا للأمة سننه صلى الله عليه وسلم، ونقلوا إلينا القرآن الكريم، وهم الَّذين فتحوا الفتوح، وكان بسببهم دخول الإسلام إلى البلاد المختلفة.



والصحابة هم خــط الدفاع الأوَّل عن الإســلام، ولذلك فإن الطعن فيهم أو إســاءة الظن بهم معناه إســاءة الظن بتربية رسول الله ﷺ، كأننا نقول للنبي ﷺ: أنت لم تحسن أن تربِّي أصحابك! وحتَّى كبار أصحابك الَّذين أحسنتَ بهم الظن ومدحتَهم وأثنيتَ عليهم، لم يكونوا كما ظننتَ.

وهو الموقف الَّذي أعلنه أهل السُّــنَّة بكل طوائفهم ومذاهبهم، يقول إمام أهل السُّــنَّة الإمام أحمد في كتاب الســنة: «ومن السُّنَّة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين، والكف عن الَّذي جرى بينهم، فمن سبَّ أصحاب رســول الله ﷺ، أو واحدًا منهم، فهو مبتدع رافضي، حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة»[(١)].

ويقول أبو الحسن الأشعري: «فأما ما جرى من علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين، فإنما كان علــى تأويل واجتهاد، وعليٌّ الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي ﷺ بالجنة والشهادة، فدل على أنَّهم كلهم كانوا علــى حق في اجتهادهم، وكذلــك ما جرى بين سيِّدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما، فدل على تأويل واجتهاد.

وكل الصحابة أئمَّــة مأمونون غير متَّهمين فــي الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من ينقص أحدا منهم رضي الله عنهم أجمعين»[(٢)].

وأما الحروب الَّتــي جرت فكانت ـ كما قــال المازري رحمه الله ـ لكل طائفة شُــبهة اعتقدت تصويب أنفســها بســببها، وكلهــم عدول رضي الله عنهم،

(١) الجامع لعلوم الإمام أحمد (١٦/٣)، نشر دار الفلاح، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة صـ٢٦٠، تحقيق د. فوقية حسين محمود، نشر دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.



ومتأوِّلون في حروبهم وغيرها، ولم يُخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة؛ لأنَّهم مجتهدون، اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم، وصاروا ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالِفَه باغٍ، فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخُّر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

٢ ـ وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد: أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته، وقتال الباغي عليه.

٣ ـ وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضيَّة، وتحيَّروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقِّهم؛ لأنَّه لا يحل الإقدام على قتال مسلم، حتَّى يظهر أنه مستحِقٌّ لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين، وأن الحق معه، لما جاز لهم التأخُّر عن نصرته في قتال البغاة عليه.

فكلهم معذورون رضي الله عنهم، ولهذا اتفق أهل الحق، ومن يُعْتَدُّ به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم، رضي الله عنهم أجمعين[1].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/١٤٨، ١٤٩)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.



وشدَّد ابن أبي زيد القَيْرواني المالكي رَحِمَهُ اللَّهُ على «ألا يُذكر أَحَدٌ مِن صحابة الرسول ﷺ إلا بأحســن ذِكْر، والإمساك عمَّا شجر بينهم، وأنَّهم أحــقُّ النَّــاس، أن يُلتمس لهم أحســن المخــارج، ويُظَنَّ بهم أحْســن المذاهب»(١).

هذا هو موقف أهل السُّنَّة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو موقف ـ كما رأينا ـ يُؤَيِّده كتابُ الله تعالى، وسُــنَّة رســولِه ﷺ، وأقوال العلماء العاملين على مرِّ العصور.

* * *

(١) رسالة ابن أبي زيد القيرواني صـ٩، نشر دار الفكر، بيروت.

موقف الشِّيعة من الصحابة رضوان الله عليهم

جمهور المسلمين الأكبر، وسوادهم الأعظم؛ على أن صُحبةَ الرسول ﷺ شرف ما بعده شرف، ومكانة لا تدانيها مكانة، وهم يشهدون للَّذين نالوها بالفضل والسَّبْق والفوز العظيم، ويوقنون أنَّ الانتقاص منهم، وغمطهم حقَّهم؛ إنَّما هو في الحقيقة انتقاص من مُربِّيهم ومعلمهم مُحَمَّد ﷺ، كما أن تبجيلهم وتوقيرهم وإنزالهم منزلتهم، هو إقرار وشهادة بما بذله النبيُّ ﷺ في تربية هذا الجيل، الَّذي يعد أوَّل مجتمع مسلم، حمل مشاعل النور إلى العالمين.

ولم يخرج على هذا الإجماع إلَّا الشِّيعة الاثنا عشريَّة الَّذين تنكروا لأصحاب مُحَمَّد، وفضلهم، وجهادهم في نصر الحق، ونشر دعوة الإسلام، بل أنزلوهم أسفل سافلين، ورموهم بأمور لا يقبل بها عوام المسلمين، من التَّكفير، والخبث، والمكر، والخيانة.

وهذا ما لم يحدث في أمَّة من الأمم، فإنَّه لو سُئِل يهودي: من أعظم أمَّة موسى؟ لقال: من اصْطفاهم الله لصحبة موسى، ولو سُئل نصراني: من أفضل أمة عيسى؟ لقال: من اصْطفاهم الله لصحبة عيسى. أما الشِّيعة الاثنا عشريَّة، فإنَّهم يرون أنَّ شرَّ الأمة هم من اصطفاهم الله لصحبة محمَّد ﷺ، بل من كانوا أقرب أصحابه إليه، فرموهم بكل نقيصة،

وأنزلوهم إلى أسفل سافلين. ولا حول ولا قوّة إلا بالله! وذلك لأنَّهم نسجوا قصَّة توصَّلوا من خلالها إلى خيانة الصحابة لرسول الله ﷺ بعد وفاته، مفادها: أنَّ النبي ﷺ قد استخلف عليًّا على المؤمنين، وجعله وارثًا له، ووصيًّا من بعده. وأنَّه ﷺ جمع أصحابه يوم غدير خُم وبلغهم وصيته، وحذَّرهم وأنذرهم، وأشهدهم على استخلاف عليٍّ وإمامته من بعده.

وأن هؤلاء الصحابة لم يأتمروا بأمر النبي؛ بل لم ينتظروا مواراة جثمانه الشريف، حتَّى تكالبوا على الخلافة، واغتصبوا حق علي رضي الله عنه، ونكثوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وآذوه في أهله وابنته.

وهم بذلك ـ عندهم ـ كفار مرتدون؛ إذ كلهم بايع، وكلهم رضي، وكلهم غيَّر وبدَّل، وكلهم سمع وصيَّة الرسول ولم يمتثل!

وبهذا الزعم توصَّل الشِّيعة إلى تكفير أصحاب رسول الله ﷺ عمومًا، ورموهم بالردَّة إلا نفرًا يسيرًا.

روايات الشِّيعة تنتقص من الصَّحابة:

وفي هذا يروون عن أبي جعفر قال: «كان النَّاس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟! قال: المقداد، وأبو ذر، وسلمان الفارسي. ثمَّ عرف أناس بعد يسير، فقال: هؤلاء الَّذين دارت عليهم الرَّحى، وأبوا أن يبايعوا حتَّى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرهًا فبايع، وذلك قول الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]»[1].

(١) روضة الكافي (٨/٢٠٥)، نشر دار الأضواء بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٢/٣٣٣).



وعنه أيضا قال: «إنَّ رسول الله ﷺ لما قُبض صار النَّاس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر. فقلت: فعمار؟ فقال: «إن كنت تريد الَّذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة»[١].

ويروون أنَّ أمير المؤمنين عليًّا قال لقَنْبَر: «يا قَنْبَرُ، أبشِرْ وبشِّرْ واستبشِر، فلقد مات رسولُ الله ﷺ وهو على أُمَّته ساخط، إلَّا الشِّيعة»[٢].

ولا ندري كيف تكون هذه المصيبة بشارة، ومن يفرح بمثل هذا إلَّا حاقد على أُمَّة الإسلام؟! كما قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠]!

ويروون عن أبي عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]. قال: هما هما. ثمَّ قال: وكان فلان شيطانًا[٣].

قال المجلسي في شرحه للكافي في بيان مراد صاحب الكافي بـ «هما» قال: هما أي: أبو بكر وعمر، والمراد بفلان: عمر. أي: الجن المذكور في الآية، وإنَّما سُمِّيَ به؛ لأنَّه كان شيطانًا، إمَّا لأنَّه كان شرك شيطان، لكونه ولدَ زنى، أو لأنَّه في المكر والخديعة كالشيطان، وعلى الأخير يحتمل العكس؛ بأن يكون المراد بفلانٍ: أبا بكر[٤].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٣٣٣/٢٢).

(٢) روضة الكافي (١٨٠/٨).

(٣) بحار الأنوار (٢٧٠/٣٠).

(٤) مرآة العقول للمجلسي (٤٨٨/٢٦).



ويروون عن أبي عبد الله أنَّه قال في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [البقرة: ١٦٨]. قال: «وخطوات الشيطان والله ولاية فلانٍ وفلان» أي أبو بكر وعمر[1].

وأمَّا الكُلَيْني ـ مُحَدِّث القوم الأشهر ـ فقد روى في كتابه الكافي روايات كثيرة في كفر الصحابة، ورِدَّتهم بعد رسول الله، بل مساهمتهم في رِدَّة النَّاس عن الطريق الصحيح بعد رسول الله ﷺ، فروى بسنده: «أصبح رسولُ الله ﷺ يومًا كئيبًا حزينًا، فقال له عليٌّ عليه السلام: ما لي أراك يا رسولَ اللهِ كئيبًا حزينًا؟ قال: وكيف لا أكون كذلك، وقد رأيتُ في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عَدِيٍّ وبني أُمَيَّة، يصعدون منبري هذا، يردون النَّاس عن الإسلام القهقرى، فقلت: يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال بعد موتك»[2].

ويروي الكُلَيْني ما يُصَرِّح بموت الشَّيْخَيْن أبي بكر وعمر على الكفر، «عن أبي جعفر أنَّه قال: وإنَّ الشيخين فارقا الدُّنيا ولم يتوبا، ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام، فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[3].

وأمَّا ابن بابويه القمي أحد كُتَّاب الصحاح الأربعة الشِّيعيَّة والملقب بالصدوق، فيروي عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال لعليٍّ: «يا علي، من أحبَّك ووالاك سبقت له الرحمة، ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة. فقالت عائشة: يا رسولَ الله، ادعُ الله لي ولأبي لا نكون ممن يبغضه ويعاديه. فقال ﷺ: اسكتي! إن كان أبوك أوَّل من يظلمه، وأنتِ أوَّل من يقاتله»[4].

---

(١) تفسير العياشي (١٢١/١).

(٢) روضة الكافي (٢٨٥/٨).

(٣) المصدر السابق (٢٠٦/٨).

(٤) الخصال لابن بابويه القمي (٥٥٦/٢)، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، قُم.



وجعل هؤلاء صحبة أبي بكر لرسول الله ﷺ في رحلة الهجرة، منقصة له، وهي الَّتـي تعد من مناقبه رضي الله عنه، فكتب البحراني تحت قول الله عز وجل ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. «أمر رسول الله عليًّا فنام على فراشه، وخشي من أبي بكر أن يدلّهم عليه فأخذه معه إلى الغار»[١].

التقرُّب إلى الله بلعن الصحابة عند الشِّيعة:

وقد أوجب الشِّيعة على أتباعهم لعن الصحابة رضوان الله عليهم، وخصوصًا الشيخين: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، زاعمين كذبًا وزورًا ورود ذلك عن أهل البيت الكرام، ولهم في لعن الشيخين دعاؤهم المشهور بـ «**دعاء صنمي قريش**»، ونصُّه كما ورد في كتبهم:

«اللهم صلِّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، والعن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك، وأنكرا وحيك، وجحدا إنعامك، وعصيا رسولك، وقلبا دينك، وحرَّفا كتابك، وأحبَّا أعداءك، وجَحَدا آلاءك، وعطَّلا أحكامك، وأبطلا فرائضك، وألحدا في آياتك، وعاديا أولياءك، ووالَيَا أعداءك، وخرَّبا بلادك، وأفسدا عبادك.

اللهم العنهما وأتباعهما وأولياءهما وأشياعهما ومحبيهما وأنصارهما، فقد أخربا بيت النبوة، وردما بابه، ونقضا سقفه، وألحقا سماءه بأرضه، وعاليه بسافله، وظاهره بباطنه، واستأصلا أهله، وأبادا أنصاره، وقتلا أطفاله، وأخليا منبره من وصيِّه ووارث علمه، وجحدا إمامته، وأشركا بربهما، فعظِّم ذنبهما، وخلِّدهما في سقر، وما أدراك ما سقر، لا تبقي ولا تذر.

(١) البرهان (٧٥٧/٢)، نشر مؤسسة البعثة، قُم.



اللهمَّ العنْهم بعــدد كلِّ منكرٍ أتــوه، وحقٍّ أخفَــوْه، ومنبرٍ علوه، ومؤمنٍ أرجَوْه، ومنافــقٍ ولَّوْه، وولــيٍّ آذَوْه، وطريــد آوَوْه، وصادق طردُوه، وكافر نصرُوه، وإمام قهرُوه، وفرض غيَّروه، وأثر أنكروه، وشرٍّ آثروه، ودمٍ أراقوه، وخبر بدَّلوه، وكفرٍ نصبــوه، وإرث غصبوه، وفيء اقتطعوه، وســحت أكلوه، وخُمْس اســتحلُّوه، وباطل أسَّسوه، وجوْر بسطوه، ونفاق أســرُّوه، وغدْر أضمروه، وظُلم نشروه، ووعد أخلفوه، وأمان خانوه، وعهد نقضــوه، وحلال حرَّموه، وحــرام أحلُّوه، وبطن فتقوه، وجنين أســقطوه، وضلع دقُّوه، وصَكٍّ مزقوه، وشــملٍ بدَّدوه، وعزيز أذلوه، وذليل أعزوه، وحقٍّ منعوه، وكذب دلَّسوه، وحكم قلبوه، وإمام خالفوه.

اللهم العنهما بكل آيــة حرفوها، وفريضة تركوها، وســنة غيَّروها، ورسوم منعوها، وأحكام عطَّلوها، وبيعة نكثوها، ودعوى أبطلوها، وبيِّنة أنكروهــا، وحيلة أحدثوهــا، وخيانة أوردوها، وعقبــة ارتقوها، ودباب دحرجوها، وأزياف لزموها، وشهادات كتموها، ووصية ضيعوها.

اللهمَّ العنهما في مكنون الســرِّ وظاهر العلانية، لعنًا كثيرًا أبدًا دائمًا دائبًا، ســرمدًا لا انقطاع لأمده، ولا نفاد لعدده، لعنًا يعود أوله ولا يروح آخره، لهم ولأعوانهــم وأنصارهم ومحبِّيهم ومواليهم والمســلمين لهم وإليهــم، والناهضين باحتجاجهــم، والمقتدين بكلامهــم، والمصدِّقين بأحكامهم «قل أربع مرات» اللهم عذِّبهم عذابًا يســتغيث منه أهل النار، آمين ربَّ العالمين»[1].

---

(١) المصباح للكفعمي (٦٤٤/٢ ـ ٦٤٨)، نشر مؤسسة النعمان، بيروت، وبحار الأنوار للمجلسي (٢٦٠/٨٢).



وقال عنه المجلسي في بحار الأنوار: «وهذا الدعاء رفيع الشأن، عظيم المنزلة، رواه عبد الله بن عباس، عن علي عليه السلام، أنه كان يقنت به، وقال: إنَّ الداعي به كالرامي مع النبي صلى الله عليه وآله، في بدر وأحد وحنين، بألف ألف سهم»[١].

وقد جعل الشِّيعة على لعن الشيخين ومن والاهما أجرًا كبيرًا، حتَّى رَوَوْا عن أبي حمزة الثُّمالي عن زين العابدين أنه قال: من لعن الجبت ـ أي الصِّدِّيق ـ والطاغوت ـ أي الفاروق ـ لعنة واحدة، كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحَا عنه سبعين ألف ألف سيِّئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك! فمضى مولانا علي بن الحسين، فدخلت على مولانا أبي جعفر مُحَمَّد الباقر، فقلت: يا مولاي، حديث سمعته من أبيك! قال: هاتِ يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث. قال: نعم يا ثمالي، أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتَّى يمسي، ومن أمسى فلعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليله حتَّى يصبح. قال: فمضى أبو جعفر، فدخلت على مولانا الصادق، فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك! فقال: هات يا أبا حمزة. فأعدت عليه الحديث، فقال: حقًّا يا أبا حمزة. ثمَّ قال عليه السلام: ويرفع له ألف ألف درجة، ثمَّ قال: إن الله واسع كريم[٢].

بل جعل علماؤهم لعن الشيخين أفضل من الصلاة على النبيِّ صلى الله عليه وسلم، حتَّى إن أبا الحسن المَرَنْدي عقد فصلًا في كتابه «مجمع البحرين»

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٦٠/٨٢).

(٢) ضياء الصالحين للجوهري صـ٥١٣، نشر مطبعة الآداب، النجف، ط ١٢.



بعنوان: «فصل في بيان أن ثواب اللعن أزيد من ثواب الصلوات على مُحَمَّد وآله، ومن ثواب السلام ورد جوابه» وذكر رواية منسوبة إلى علي رضي الله عنه، وفيها: أن أمير المؤمنين كان يطوف بالكعبة، فرأى رجلًا متعلِّقًا بأستار الكعبة، وهو يصلي على مُحَمَّد وآله، فسلَّم عليه. ومرَّ به ثانيًا فلم يسلم عليه، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لِم لمْ تسلم عليَّ هذه المرة؟! فقال: خفتُ أن أشغلك عن اللعن، وهو أفضل من السلام وردِّ السلام، ومن الصلاة على مُحَمَّد وآل محمد[1].

وعلى هذا يربُّون صغارهم، ويأمرونهم به، ويروون عن أبي عبد الله أنه قال: ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبِّهما، والبراءة منهما[2].

* * *

(١) مجمع النورين وملتقى البحرين لأبي الحسن النجفي صـ٢٤٣، تحقيق حسين الجعفري الزنجاني، نشر انتشارات آل عبا.

(٢) رجال الكشي لأبي جعفر الطوسي صـ١٨٠.

من أقوال علماء الشِّيعة وأعلامهم في الإساءة للصحابة

يقول الصدوق: «وحبُّ أولياء الله والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة، من الَّذين ظلموا آل مُحَمَّد عليهم السلام. وهتكوا حجابه؛ فأخذوا من فاطمة عليها السلام فَدَك، ومنعوها ميراثها، وغصبوها وزوجها حقوقها، وهموا بإحراق بيتها، وأسسوا الظلم، وغيروا سُنَّة رسول الله.

والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة. والبراءة من الأنصاب والأزلام: أئمَّة الضلال، وقادة الجور كلهم: أولهم وآخرهم واجبة»[(١)].

وكتب الكاشاني عند قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٤]: «لما أقام الرسول عليًّا يوم غدير خُم، كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة، قال عمر: ألا ترون عينيه كأنهما عينا مجنون ـ يعني النبي ـ يقوم ويقول: قال لي ربي»[(٢)].

ويقول المفيد تحت عنوان: «القول في المتقدِّمين على أمير المؤمنين عليه السلام»: «واتفقت الإماميَّة وكثير من الزيديَّة على أن المتقدمين

(١) الخصال لابن بابويه القمي (٢/٦٠٧).
(٢) تفسير الصافي للفيض الكاشاني (٢/٣٥٩).



على أميـر المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ضُـلَّال فاسـقون، وأنَّهـم بتأخيرهـم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن مقام رسول الله صلوات الله عليه وآله عصاة ظالمون، وفي النار بظلمهم مُخَلَّدون»[1].

ويقول نعمة الله الجزائري: «قد رُوي في الأخبار الخاصَّة أن أبا بكر كان يصلِّي خلف رسول الله ﷺ، والصنم معلق في عنقه، وسجوده له»[2].

ويقول مُحَمَّد طاهر الشـيرازي: «ومما يدل على إمامة أئمتنا الاثني عشر أن عائشة كافرة مستحقَّة للنار»[3].

ولستُ في هذا متجنيًّا على القوم، أو مبالغًا في نسبة الروايات إليهم؛ بل هو ممَّا صرَّح به علماؤهم، فقد ذكر المحقِّق الكركي ـ بعد أنْ أورد بعض الروايـات في لعنِ الخُلفـاء، وتكفيرهم: «وهـذا النَّحو في كتب أصحابنا، ممَّا لو تحرَّى المتصدِّي لِحَصْرِهِ؛ جَمَعَ مِنهُ مجلداتٍ، ولم يأتِ على آخِرِهِ! وقد أوردَ الأمينُ الضابطُ الثِّقَةُ مُحَمَّد بن يعقوبَ الكُلِيني في كتابِهِ «الكافي» مِن ذلك شـيئًا كثيـرًا، وفيه أحاديـثُ باللعنِ الصريح، والحثِّ عليه مِن الأئمَّةِ»[4].

وقال المجلسي: «الأخبارُ الدالَّةُ على كُفرِ أبي بكر وعُمر وأضرابِهما، وثوابِ لعنِهم، والبراءةِ منهم، وما يتضمَّنُ بِدَعَهم، أكثرُ مِن أنْ يُذكَرَ في هذا المجلَّد أو في مجلّداتٍ شتَّى»[5].

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد (٤١، ٤٢).
(٢) الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري (٤٥/١).
(٣) الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين لمحمد الشيرازي القمي (٦١٥)، نشر مطبعة الأمير، قم، ط١، ١٤١٨هـ.
(٤) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت صـ١٩٨، طبعة طهران.
(٥) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩٩/٣٠).



كتاب «كشف الأسرار» للخميني واتهامه للشيخين:

وإذا زعم البعض بأن هذه نصوص تاريخية لا يقول بها شيعة اليوم؛ فإن مطالعة بعض كتب علمائهم المُحْدَثين تثبت بما لا يدع مجالًا للشك أنَّهم لم يطرحوا هذه الآراء، ولم يتخلَّوْا عن هذه الأفكار.

وقد قام الدكتور عبد المنعم النمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **وزير الأوقاف المصري الأسبق** بنظرة نقدية لمحتوى كتاب «كشف الأسرار» للخميني، وكان من قوله عن مؤلفه: «ثم أخذ يسوق أدلته على أن أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خالف نصوص القرآن حسب هواه وخطته؛ لإبعاد آل البيت عن الحكم، واضطهادهم في معيشتهم حين اخترع حديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة**»[1].

ثم ينتقل إلى مخالفة عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لكتاب الله، ويذكر أحداثًا يستنتج منها ما يريده، ويأتي بما حدث من الرسول ﷺ حين طلب أن يكتب لهم كتابا! إلخ، وقول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ذلك[2]، ثمَّ يقول بعد أن أورد مصادره: «وهذا يؤكد أن هذه الفرية صدرت من ابن الخطاب المفتري»[3] هكذا!

ثم بعد سطرين يقول عن كلمات ابن الخطاب في هذا: إنها «قائمة على الفرية، ونابعة من أعمال الكفر والزندقة»[4]! وفي الصفحة نفسها كتب عنوانًا: «خلاصة كلامنا حول ذلك» قال تحته: «من جميع ما تقدَّم يتَّضح أن مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئًا مهمًّا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٢، ٣٠٩٣)، ومسلم في الجهاد (١٧٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٦٩)، ومسلم في الوصية (١٦٣٧)، عن ابن عباس.

(٣) صـ١١٤.

(٤) صـ١١٦.



جدًّا»، ويعلل ذلك بأنهما لم يكونا يستمعان لرأي أحد، ولا كانا مستعدين لترك المنصب، ولا كان أهل السُّنَّة مستعدين للتخلي عنهما، حتَّى لو قال عمر: إن الله أو جبريل أو النبي قد أخطؤوا في إنزال هذه الآية، كما قاموا بتأييده فيما أحدثه من تغييرات في الدين الإسلامي[1]!! إلخ.

إلى هـذا الحد يكتـب «الخميني» عن أبي بكـر وعمر رضي الله عنهما، يكتبه لأتباعه أولًا ليغرس فيهم ـ كما غرس فيهم سابقوه، كلٌّ في زمانه ـ هذا الاعتقاد في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو بالطبـع اعتقاد لا نرضاه، ونعوذ بالله ممـن يصدِّقه. ولذلك لم يكـن عجبًا ولا بعيـدًا ما نقل عن أقوال الخمينـي وكتبه من أنـه يطلق على الشـيخين: «الجبـت والطاغوت» ويسـميهما «صنمي قريش»، ويـرى كجماعته أن لعنهما ولعن السـيدة عائشـة، والسـيِّدة حفصة، له ثواب عند الله! «هكـذا»، وكذلك الحال بالنسبة للخليفة عثمان رضي الله عنه[2].

وكذلك لم يكن عجبًا ـ وذلك هو رأي الخميني في أبي بكر وعمر ومن سـاندهما ـ أن يصدر عنهم نص دعاء يتجهون جميعًا به إلى الله[3] يسمونه «دعاء صنمي قريش».

كل هذا ينصب على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ومن معهما وتابعهما!

أعوذ بالله من الحقـد والحنق! فماذا أبقى هـؤلاء للَّذين كفروا بالله ورسوله؟!

---

(١) صـ١١٧.

(٢) كشف الأسرار صـ١٠٧، وراجع شهادة خميني في أصحاب رسول الله للشيخ محمد إبراهيم شقرة خطيب المسجد الأقصى سابقا.

(٣) كشف الأسرار صـ٢٤، وتحفة العوام لمنصور حسين (٤٢٢، ٤٢٣).



يا حفيظ! ويتجرؤون حتَّى يقفوا أمام الله يدعونه بهذا الدعاء؟! وعلى رأس هؤلاء الآن «الخميني».

علما بأن عمر ﷺ قد زوَّجه عليٌّ ﷺ بابنته «أم كلثوم» بنت «السيدة فاطمة» رضي الله عن الجميع، وأخت الحسن والحسين! فهل كان الإمام علي يرى في عمر ما يرون، ثمَّ يزوِّجه ابنته؟

وأعتقد أن رأي الخميني الآن فينا نحن الَّذين نجلُّ الخلفاء الراشدين والصحابة جميعًا، رأيه ظاهر واضح فينا! كفار نستحق اللعنة!

ولذلك لم يكن عجبًا أيضًا أن يعلن في مستهل عهده شعار: «تصدير الثورة للبلاد العربيَّة»، طبعًا ثورته؛ لا في الحكم فحسب، ولكن على أساس مذهبه، ليحولنا من الكفر إلى إسلامه هو، ومذهبه هو! ونشترك جميعًا في دعاء لعن صنمي قريش: أبي بكر وعمر ﷺ ليحصل لنا الثواب من الله!

شبهة إماميَّة عن الصحابة! وردُّها:

يستند بعض مراجع الشِّيعة الإماميَّة في زعمهم «ارتداد الصحابة» على حديث يقول فيه النبي ﷺ: «**ليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثمَّ يُحال بيني وبينهم، فأقول: أصحابي، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُحقًا لِمن غيَّر بعدي**»[1].

فهؤلاء القوم من الَّذين مات النبي ﷺ وهم على دينه، ثمَّ ارتدُّوا بعد ذلك، كما ارتدَّت كثير من قبائل العرب بعد موته ﷺ.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨٣، ٦٥٨٤)، ومسلم في الفضائل (٢٢٩٠)، عن سهل بن سعد.



ولو كان المقصود جمهور الصحابة فمَنْ قاتَل المرتدين؟ ومَن نشر دينَ الله في مشارق الأرض ومغاربها بعد وفاة النبي ﷺ؟! إن هؤلاء المقصودين بالحديث لا يُعَدُّون عند أهل السُّنَّة من الصحابة، ولا يشملهم مصطلح «الصحبة» كما عرّفه أهل العلم بقولهم: «مَن لقي النبيَّ ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام»، وإنَّما ذلك كان من باب الصُّحبة بمعنى الرفقة، كما قال النبي ﷺ عن رأس النفاق عبد الله ابن أبيٍّ ابن سلول: «أخشى أن يتحدَّث النَّاس أن محمدًا يقتل أصحابه»[1].

ويقال لهم أيضًا: قد أخبر تعالى أنه (رضي عنهم) كما في سُورتي التوبة والفتح، فهل ارتدوا قبل الرضا عنهم أو بعده؟ إن قالوا قبله، فهو باطل بالنص عن الرضا عنهم، وإن قالوا بعده، قيل لهم: هو باطل لأنَّه يلزم منه الخلف في وعد الله لهم بالجنَّات، لأنَّه قال في السابقين الأوَّلين: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]. واللازم باطل اتفاقا، فالملزوم مثله، وأيضا فمن يعد الجنَّات لمن علم أنه يرتد، يوصف فعله بالعبث، والله ﷻ منزّه عنه.

وإن قيل: لم تبدُ له ردتهم على أصلهم الفاسد، لزم تخلف علم الله الأزلي، ولزم أن أئمَّتهم الَّذين نصوا على أنَّهم يعلمون ما كان ويكون أعلم من الله تعالى، ولزم العبث في أفعال الباري تعالى وعز وجل، وكل ذلك باطل وعبث.

مناقشة الشِّيعة في سب الصحابة:

أما فيما يتعلق بسب الصحابة رضي الله عنهم، فقد قلت ولا أزال أقول: إنَّ من المستحيل أن نتقارب مع الشِّيعة الاثني عشريَّة، والمسافة بيننا شاسعة في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٩٠٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

النظر إلى الصحابة، وخصوصًا السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، والَّذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار، بنصِّ القرآن الكريم في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. حتَّى إن الآية الكريمة لم تقصر الثناء عليهم، بل أضافت إليهم «الذين اتبعوهم بإحسان»، ولا ريب أن من هؤلاء السابقين الأولين من المهاجرين: أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ﷺ. وهم الَّذين جاء فيهم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۞ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨] فهؤلاء هم الصادقون بنص القرآن، وقد أمرنا الله في كتابه أن نكون أبدًا مع الصادقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وهؤلاء هم الَّذين بايعوا النبيَّ تحت الشجرة على الموت في سبيل الله، ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وهم الَّذين شهدوا المشاهد مع رسول الله، في بدر وفي أحد وفي تبوك وغيرها.

وهم الَّذين شهدت لهم سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].



وهم الَّذيــن ينطبق عليهم قوله تعالــى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهم الَّذين نزل فيهــم قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فهم المؤمنون الَّذين نصر الله بهم رسوله ﷺ، وأعزَّ بهم دينه.

وهم الَّذين شــهد القرآن لهم جميعا بأن لهم الحسنى عند الله، وإن كان للسابقين فضل ســبقهم، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

حتى الَّذين وقع منهم خطأ في بعض الغــزوات، مثل الَّذين فروا في أحد بعد إشاعة موت رسول الله: أعلن القرآن أن الله تعالى عفا عنهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وهم الَّذين شهدت لهم الآية الأخيرة من سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

هؤلاء الَّذين شهدت لهم آيات القرآن الكريم، وشهدت لهم أحاديث الرسول العظيم، وشهد لهم التاريخ بما لم يشهد لمثلهم.



شهد لهم أنَّهم هم الَّذين حفظوا لنا القرآن المجيد، ونقلوه إلينا سالمًا من كل تحريف، محفوظًا من كل تبديل.

وهم الَّذين رووا لنا الأحاديث النبويَّة، والسنن القولية والفعلية والتقريرية، ونقلوا لنا سيرة الرسول وحياته جامعة مفصلة، بما لم يُهيَّأ لنبيٍّ ولا لعظيم من قبله.

وهم الَّذين بلَّغوا الإسلام إلى العالم، وفتحوا الفتوح، وقاوموا بسيوفهم الجبابرة المتسلطين على الخلق، ونصرهم الله على الأكاسرة والقياصرة، لينشروا عدل الله في الأرض.

مقتضى الفطرة:

وهم ـ بمقتضى المنطق والفطرة ـ أقرب النَّاس إلى نور النبوة، والتتلمذ عليها، والاستمداد منها، والتأثر بها، والاقتداء بسناها، والاهتداء بهداها. وكان لهم في رسول الله الأسوة الحسنة، فكانوا نِعْم التلاميذ لنِعْم المعلِّم. وحسبك أنَّهم التصقوا باسمه، فيقال: أصحاب محمد! فكان هؤلاء الصحابة الكرام ـ بحكم القرآن والسُّنَّة والتاريخ والمنطق ـ أفضل جيل عرفه التاريخ، ولا ريب، فهم تلاميذ سيِّد البشر، وثمرة تربيته، وغرس يده، ومن طعن فيهم، فكأنما طعن في أستاذهم ومربِّيهم ﷺ، وخصوصًا من كانوا أقرب إليه، وأخصهم به، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

وقد قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن القادحين والطاعنين فيهم: إنَّما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتَّى يُقال: رجل سوء، ولو كان رجلًا صالحًا لكان أصحابه صالحين[1].

---

(١) انظر: الصارم المسلول لابن تيمية صـ٥٨٠، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، نشر الحرس الوطني السعودي، السعودية.



فلا يمكـــن أن يكون تقريب بين عموم أمة الإســـلام وبين الشِّـــيعة الإماميَّة، إذا ظلت عقدة البغض الأســـود نحـــو أصحاب مُحَمَّد ﷺ هي الَّتي توجه سلوكهم.

صورتان متضادتان للصحابة:

هذه نقطة حساسة؛ بل في غاية الحساســـية بيننا وبين الشِّيعة، وهي القضيَّة الحية والســـاخنة دائما فـــي كل اللقاءات التقريبية مع الشِّـــيعة، وكانت هي إحدى النقطتين[1] اللتين أثارتا من التوتر ما أثارتا بيني وبين الشِّـــيعة الاثني عشريَّة، خلال شـــهر رمضان ١٤٢٩هـ (ســـبتمبر ٢٠٠٨م). وطالما تحدثـــت مع علمائهم كلمـــا التقينا حول هـــذه القضيَّة، وطالما سمعتهم يوافقونني على ما أطرحه.

موقف الشِّيعة المبدئي من الصحابة:

هذا موقف مبدئي وأساسي عند الشِّـــيعة، وهو فرع عن أصل ثابت، ونتيجة لمقدمة مســـلَّمة. هذا الأصل أو المقدِّمة عندهم: أن الرسول ﷺ نصَّ على أن يخلفه عليٌّ بعده، وأن الصحابة أخفوا هذه الوصيَّة، وغصبوا عليًّا حقَّـــه جهارًا نهارًا، وخانوا رســـولهم الَّذي هداهم الله به، وعاشـــوا حياتهم في نصرته، وفدَوْه بأرواحهم، وما ملكت أيديهم!

والعجيب أن يُجمعوا على ذلك، وأن يسكت عليٌّ فارس الإسلام عن إعلان حقه، ويبايع أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان. ولم يقل لأيٍّ منهم: إن عندي وصيَّة من رسول الله، فلماذا تتجاهلونها؟ ولماذا تجعلونها شورى في ستة وتشغلون أنفسكم: من الَّذي يقع عليه الاختيار، والأمر محسوم

(١) النقطة الأخرى هي السعي إلى نشر المذهب الشيعي في مجتمعات أهل السنة.



بالوصية النبويَّة؟ لماذا لم يصدع عليّ بما عنده من أمر؟ ثمَّ إذا كان الحسن بن علي منصوصًا على خلافته، كيف يتنازل عنها مختارًا، ويسلمها إلى معاوية؟! وهل يكون هذا من حقه إذا كان مكلَّفًا من الله بذلك؟ وكيف يثني رسول الله عليه بتنازله عن مهمته المنصوص عليها؟!

يقول ابنُ أبي العزِّ الحنفي: «فمن أضلُّ ممَّن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخَصْلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبُّوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة»[1].

هذه هي الصورة الَّتي رسمها الشِّيعة لصحابة مُحَمَّد رضوان الله عليهم!

صورة الصحابة عند أهل السُّنَّة:

بينما يرى أهل السُّنَّة أنَّ النبيَّ ﷺ قد أحبهم وقربهم إليه، وأثنى عليهم جماعة، وأثنى عليهم أفرادًا، واستفاضت بذلك صحاح الأحاديث في بيان فضائلهم، وتواترت الوقائع والأحداث الَّتي تؤكد فضلهم، وعلو مكانتهم، وحسن تأثيرهم في نصرة الله ورسوله ودينه!

ولا ريب أن هؤلاء الصحابة هم من ثمرة غرس النبي ﷺ، وحسن تربيته لهم، ومتابعته الدقيقة لأقوالهم وأعمالهم، ومواقفهم، ومثل ذلك

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٤٦٧ ـ ٤٧٠)، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٨، ١٩٨٤م.



متابعة الوحي الإلهي المتمثل في القرآن، يزكي ما حسن من أعمالهم، وينتقد ما يقع من هفواتهم، ليراجعوا أنفسهم، ويتوبوا إلى بارئهم، ويحسنوا من عملهم، حتَّى كانوا بحق ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وجسّدوا الأمَّة الوسط الَّتي جعلها الله شهيدة على الناس.

واستحقوا بذلك أن يُنزّل القرآن من فوق سبع سماوات ينوِّه بفضلهم، مهاجرين وأنصارًا، نذروا أنفسهم للدفاع عن رسول الله ﷺ ودعوته بأنفسهم وأموالهم.

هذه هي الصورة الَّتي رسمها أهل السُّنَّة للصحابة، وهي تستمد أجزاءها ومقوِّماتها من القرآن العظيم، ومن السنة الصحيحة، ومن وقائع السيرة، ومن شهادة الواقع التاريخي، على خلاف الصورة الَّتي رسمها الشِّيعة للصحابة. فهي مناقضة تمامًا لهذه الصورة، وهي لا تُستمد من قرآن ولا سنة، ولا سيرة ولا واقع.

خلاصة الصورة الأولى عند الشِّيعة: أن الرسول لم يحسن تربية تلاميذه، وأنَّه خُدع فيهم، وأنَّهم خانوه وضيَّعوا وصيَّته من بعده، وغدروا بآل بيته، وجحدوهم حقهم في الخلافة، وتآمروا عليهم.

وخلاصة الصورة الثانية عند السنة: أن الرسول كان نِعْم المربِّي، ونِعْم الأستاذ، وأنَّه كان أعرف النَّاس بتلاميذه، وهو الَّذي قرَّبهم منه، ورشَّحهم للخلافة من بعده، عن طريق الاستخلاف في الصلاة! وغير ذلك.

العلامة أبو الحسن الندوي ورؤيته لجيل الصحابة:

وفي كتابه «صورتان متضادتان» يرسم العلامة أبو الحسن الندوي رؤيتين متناقضتين لأصحاب النبي ﷺ: إحداهما عند أهل



السُّـــنَّة والجماعة؛ بل المنصفين من غير المسلمين، والأخرى لدى الشِّـــيعة الإماميَّة الَّتي امتلأت قلوبهم حقدا علـــى أصحاب مُحَمَّد رضوان الله عليهم.

يقول الشـــيخ أبو الحســـن: «إذا تركنا إلى الفطرة السليمة والذوق الصحيح والعقل العام وحده الحكم في اختيار التصوير والتعبير الَّذي يليق بشـــأن نبي يُعتبر أعظم هادٍ ومُربٍّ ومصلح في تاريخ الإنسانية، وأنجح نبي بنص القرآن وشهادة التاريخ! وتساءلنا بعد ذلك: هل يتفق التصوير الَّذي يلح عليه الشِّـــيعة الإماميَّة لجهـــود النبي ﷺ، والجيل المثالـــي الأول، واتفقت عليـــه كلمتهم، وما هو كالـــلازم لما يثبتونه ويقررونه، مـــع الدين الَّذي يوجه إلى الإنســـانية كلها رســـالة الهداية والســـعادة، والحب والإيثـــار والتضيحة، ويضمـــن بالتغيير الجذري العميق في سلوك الإنسان وأخلاقه إذا أخذ بهذه التعاليم، في كل عهد وجيل، ويتحمل مسئولية إنقاذه من حضيض البهيمية الأخيرة إلى قمة الإنسانية العالية؟!»[1].

ويضيف قائلًا: «إن الَّذين يسعدون بتربية الرسول ﷺ وصحبته، إنَّما تتحلى حياتهـــم بالصلة الوثيقة بالله، وبالإخـــلاص والعبوديَّة والتواضع والإيثـــار وهضم النفس، وذوق العبـــادة، والانصراف عـــن حطام الدُّنيا والاهتمام بالآخرة ومحاسبة النفس محاسبة دقيقة أمينة، والاستقامة على الدين، وهي الذروة الإيمانية والخلقية الَّتي لا ســـبيل إليها، ولا مطمع فيها للَّذين يتلقون التربية على أيدي الحكماء والفلاسفة، وخبراء التعليم ومعلمي الأخلاق.

---

(١) صورتان متضادتان صـ٥، ٦، نشر مطبعة ندوة العلماء، لكهنو، الهند، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.



ولقد صوَّر القرآن الكريم هذه التربية النبويَّة والتأثير الثوري الجذري الَّذي يتم على يد الرسـول ﷺ، ففي سـورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. ويقول ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧].

ويقول سـبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

لا بد من أن تثمر الدعوة في حياة الرسـول نفسـه، وأن تنتجَ جيلًا جديدًا لا يشبه الأجيال القديمة، ولا يقبل انتكاصًا ولا انتكاسًا!

إن الدين الَّذي لا يستطيع أن يقدم أمام العالم عددًا وجيهًا من نماذج عمليَّة ناجحة بنَّاءة، ومجتمعًا مثاليًا في أيَّام الداعي وحامل رسالته الأول، لا يعتبر ناجحًا، كما أنَّ الشجرة الَّتي لم تؤتِ ثمارها اليانعة الحلوة، ولم تنفتح أزهارها العطرة الجميلة، أيَّام شبابها وفي موسم ربيعها «وهو عهد النبوَّة» لا تعتبر شـجرة مثمِرة سليمة! وكيف يسـوغ لدعاة هذه الدعوة والدين وممثليهما الَّذين ظهروا بعد أن مضى على عهد النبوة زمن طويل، أن يوجهوا إلى الجيل المعاصر والعالم الحاضر دعوة إلى الإيمان والعمل والدخول في السلم كافَّة، والتغيير الكامل في الحياة، وهم عاجزون ـ في ضوء مذهب الشِّـيعة وأقاويلهم ـ عن تقديم نتائج حيَّـة باهرة للألباب، مُسلَّمة عند المؤرخين للمجهودات الَّتي بُذلت في العهد الأوَّل وفي فجر



تاريخه، في سبيل إبراز أمة جديدة، وإنشاء جيل مثالي، يمثل التعاليم النبويَّة أصدق تمثيل، ويبرهن على تأثيرها ونجاحها»[١].

تربية الصحابة من أرفع مآثر النبي ﷺ:

إن أعز مأثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية من بين مآثر النبوة، هو التوفيق الَّذي أكرمه الله به في مجال تربية الإنسان وصياغته، وكل فرد من أفراد الجيل الَّذي أعده الرسول الكريم كان نموذجًا رائعًا للتربية النبويَّة، ومفخرة وشرفًا للنوع الإنساني، لا توجد صورة في الكون كله أجمل وأروع وأشرف من هذه النماذج الإنسانية والأنماط البشرية، باستثناء الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

إن إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم الصادق، وحياتهم الساذجة، وتواضعهم وخشيتهم لله، وعفتهم وطهرهم وعطفهم ورأفتهم، وشجاعتهم وجلادتهم، وتذوقهم للعبادة، وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم بالنهار، وقيامهم بالليل، وتحررهم من سلطان الثروات، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة واستهوائها، وزهدهم في زخارف الدنيا، وعدلهم وحسن تدبيرهم، كل ذلك ممَّا لا يوجد له نظير في الدنيا! ومن مآثر النبوة أنَّها صنعت رجالا كانوا أفذاذًا من نوعهم في التاريخ.

ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالًا شعريًّا، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال فيه للشك!»[٢].

---

(١) صورتان متضادتان صـ٩ ـ ١٢.

(٢) صورتان متضادتان صـ١٨ ـ ٢٠.



زهد الخلفاء وعدم استخلاف أقربائهم:

ولا أدل على إخلاص هؤلاء الخلفــاء الأربعة واتصالهم بالله، وعلى عظمتهم وتفردهم بهذه الخصائص، أَنَّهم لم يرضوا بالتمتع بذلك الثراء العظيم الهائل، والقناطير المقنطرة الَّتي كانت ثمرة قرون، وبدأت تتدفق كالسيل من الروم وفارس في أيامهم، ولم يعيشوا بالرغم من ذلك عيشة رفاهيــة، فضلًا عــن التنعُّــم والبذخ؛ بــل إنَّهــم اقتفوا آثار الرســول الحبيب ﷺ، وآثروا حياة الزهد والإيثار على كل متعة ورخاء؛ بل الواقع أَنَّهم كانوا أرفه حالًا وأهنأ بالًا، قبل أن يتولوا الخلافة.

كما أن واحدًا منهم لم يستخلف ابنه أو أقرب فرد من أسرته، على ما كان يتمتع به من سلطة ومكنة، بل بالعكس من ذلك، فإنَّهم أوصوا أبناءهم وأقاربهم بالابتعاد عن الخلافة، وأوصوا المسلمين كذلك بألَّا يختاروهم لمنصب الخلافة أبدًا. الأمر الَّذي لا تســتنبط منه إلا نتيجة واحدة، وهي أَنَّهم كانوا مخلصين بكامــل معنى الإخلاص، متصلين بالله تمام الاتصال، بعيديــن عن كل غرض ظاهر وباطــن، لم يتولوا مســؤوليَّة الخلافة إلا لابتغاء وجه الله ونشر دينه ودعمه، ولسد أبواب الفتن والأخطار، وإلا إن صح أن هؤلاء الخلفاء كانوا قد تولَّوا الخلافة تحقيقًا لأغراضهم الشــخصية، وطلبًا للجاه والحصــول على المنافع المادية، فلا معنى لخســران الآخرة، والتعرض لســخط الله، من غير انتفــاع بالدنيا! إنــه الإثم الخالص الَّذي ليســت وراءه لــذة، وذلك ما لا يرضى به عاقل!»[1].

(١) صورتان متضادتان صـ٣٨، ٣٩.



من شهادات غير المسلمين في حق الصحابة:

يقول الفاضل الألماني كايتاني (Caetani) في كتابه «سنين الإسلام»: «لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل، وحملة تعاليم مُحَمَّد الَّتي بلَّغها إلى أهل التقوى والورع! لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله، وحبهم الخالص له، إلى عالمٍ من الفكر والعواطف، لم يُشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعًا، والواقع أن هؤلاء الصحابة كان قد حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ مُحَمَّد ﷺ إنَّما بُذِرَت في أخصب أرض أنبتت نباتًا حسنًا، وذلك عن طريق أناس ذوي كفاءات عالية جدًّا، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، وكانوا محافظين على كل ما تلقَّوْه من رسول الله من كلام أو أمر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الَّذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين»[١].

ويقول المؤلف الإنجليزي الشهير إدوارد جبون عن الخلفاء الراشدين: «لقد كانت أخلاق الخلفاء الأربعة الأوَّلِين وتصرفاتهم نزيهة مضرب المثل، إن نشاطهم وتفانيهم إنَّما كان بإخلاص تام، ورغم التمكن من الثراء والسلطة، فقد أفنوا أعمارهم في أداء المسؤوليات الخلقية والدِّينيَّة»[٢].

---

(١) Caetani (Annali dell' Islam) Vol. Il, p. 429، نقلا عن «**صورتان متضادتان**» صـ٢٣.

(٢) Edward Gibbon The History of the Decline and Fall of hat Roman Empire. 1991 pp. 384، نقلا عن «**صورتان متضادتان**» صـ٢٤.

الصورة المشوَّهة المظلمة للجيل الإسلامي الأوَّل عند الشِّيعة:

ولكن بالعكس من ذلك، فإن جماعة تدَّعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام ﷺ ـ وهي فرقة الإماميَّة الاثني عشريَّة ـ تقدم لهذا المجتمع والعصر صورة معاكسة تهدم المجهودات الَّتي قام بها النبي ﷺ في مجال التربية والتوجيه، وتُثبت له إخفاقًا لم يواجهه أي مصلحٍ أو مربٍّ خبير مخلص غير مأمور من الله، ولا مؤيد من السماء! إنها تقدم صورة مشوَّهة كالحة لجحود النعمة، والجفاء، والغدر، وإخفاء الحق، وعبادة النفس، وحب الجاه، واستخدام كل نوع من المساعي والمؤامرات، والتحريفات والافتراءات، وتبريرها لتحقيق أغراضها الخسيسة، إنها الصورة المشوهة الكريهة، الَّتي لا تبعث في النفوس اليأس عن مصير الجهود الإسلاميَّة والتربوية فحسب؛ بل إنها تبث اليأس عن صلاحية الإنسانية جمعاء ومصيرها ومستقبلها.

إنها ترى أن المجهودات الجبارة الَّتي بذلها مُحَمَّد ﷺ ثلاثة وعشرين عامًا، لم تنتج إلا ثلاثة أشخاص ـ أو أربعة وفقًا لبعض الروايات ـ ظلوا متمسِّكين بالإسلام إلى ما بعد وفاة النبي ﷺ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم فور وفاته ﷺ ـ والعياذ بالله ـ عن الإسلام! وأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت في مهمته الَّتي توخاها!

الخميني وأقواله:

وكما قلنا، فليست الصورة الَّتي رسمها الشِّيعة الإماميَّة عن الصحابة شيئًا من التاريخ قد انقضى، وإنَّما هو عقيدة راسخة لديهم؛ حتَّى إن قائد الثورة في إيران ومؤسس ما يسمى «الحكومة الإسلاميَّة» فيها، «ونائب الإمام الغائب»، آية الله، روح الله، الخميني ينعت الصحابة الكرام رضي الله عنهم في كتابه الفارسي «كشف الأسرار» بأوصاف تجعلهم عبَّادًا للدنيا؛ متجرئين



على الله تعالى، يقول في كتابه «كشف الأسرار» ما ترجمته: «إن أولئك ـ الصحابة ـ الَّذين تمسكوا بدين النبي سنينَ طمعا وحبًّا في الرئاسة ولم يكونوا مستعدين للتراجع؛ حتَّى مع نص القرآن (على الإمامة)، كان من الممكن إذا نصَّ القرآن على الإمام أن يعمد أولئك الَّذين لا يربطهم بالإسلام والقرآن إلا الدُّنيا والرئاسة، ويريدون أن يصلوا من خلال القرآن إلى تحقيق نواياهم السيئة، أن يعمدوا إلى حذف تلك الآيات من القرآن، وتحريف الكتاب السماوي وإلى الأبد، ويبقى هذا العار على المسلمين إلى يوم القيامة، ويصيب المسلمين ما أصاب كتاب اليهود، وكتاب النصارى»[1].

ويقول في موضع آخر: «لو فرضنا أن القرآن قد نصَّ على اسم الإمام، فكيف يرتفع الخلاف؟ إن الخلاف بين المسلمين يؤدّي حينئذ إلى هدم أصل أساس الإسلام؛ لأنَّه كان من الممكن إذا رأى طلاب الرئاسة أن وصولهم إلى غرضهم لم يعد ممكنًا من خلال الإسلام فسوف يشكلون حزبًا ضد الإسلام ويثور المسلمون حينئذ، ولم يكن ليسكت علي بن أبي طالب وباقي المؤمنين، وبملاحظة أن الإسلام كان فتيًّا فإن مثل هذا الخلاف العظيم في الإسلام سيقضي على أصله وإلى الأبد، وسيفنى حتَّى ذلك الإسلام الجزئي»[2].

سبُّ الصحابة يتنافى مع أي تقريب:

ولقد كتبت في رسالتي «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلاميَّة» الَّتي سردتُ فيها مبادئ أو أصولًا عشرة للحوار أو التقريب، وكان منها: «اجتناب المستفزات».

---

(١) كشف الأسرار صـ١٢٢.

(٢) كشف الأسرار صـ١٢١، ١٢٢.

وأعني بها الأشـياء الَّتي تسـتفز الآخرين، وتسـتثير نفوسـهم، وتضعهم أمام تحدٍّ يصعب قبوله. وكان في طليعة هذه «المستفزات»: سبُّ الصحابة رضي الله عنهم.

وممَّا قلته: «تبقى المشـكلة في «سـب الصحابة» من قِبَل الشِّـيعة، وخصوصًا الكبار منهم، الَّذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، مثل الخلفاء الراشـدين: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ومن كان من العشـرة المبشرة بالجنة مثل: طلحة والزبير، وهؤلاء جميعًا من السابقين الأوَّلين من المهاجرين، الَّذين كان لهم فضْل السَّـبْق إلى الإيمان برسـول الله، فصدَّقوه حيث كذَّبـه الناس، وآمنوا به حيث كفر بـه الناس، ولذا أثنى عليهـم الله تعالى في كتابه، ورضي الله عنهم، ورضُـوا عنه، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومثل ذلك: مَنْ برَّأها الله من فوق سبع سـماوات: الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، أم المؤمنين عائشـة رضي الله عنها[١]، فقد نزلت فيها الآيات الكريمة من سورة النور: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النور: ١١].

وكذلك غيرهم مـن الصحابة الَّذيـن هم دون هؤلاء فـي المنزلة، ولكنَّهم سـعدوا بصحبة مُحمَّد ﷺ، وكلهم على خيـر، كما قال تعالى:

(١) ذكر الموسـوي، أن عليًّا الغروي ـ من آياتهم ـ يقول: (إن النبي صلى الله عليه وآله لا بد أن يدخل فرجه النار، لأنه وطئ بعض المشركات) يقصد عائشة. انظر: الأسرار صـ٢١، نشر دار الأمل، ط ٤.



﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [الحديد: ١٠].

وهذه هي النقطة الحسَّاسة، بل الشديدة الحساسية بيننا وبين الشِّيعة الاثني عشريَّة، فليس يمكن أن نتفاهم ونتقارب فيما بيننا، ونحن نقول: أبو بكر رضي الله عنه، وهم يقولون: أبو بكر لعنه الله! فكم من الفرق البعيد بين التَّرضِّي عن شخص وقذفه باللعنة»(١).

نقاط أضعها بين يدي عقلاء الشِّيعة:

والصحابة لا شك هم عَصَبة الإسلام، وحَمَلة رسالته العالميَّة، والجيل القرآني الأوَّل الَّذي تَخرَّج في مدرسة الرسالة المُحمديَّة، وهم الَّذين حفظوا الكتاب والسُّنَّة لمن جاء بعدهم، والَّذين هدى الله على أيديهم الأممَ والشُّعوب، وأخرجهم من الظلمات إلى النور.

فمَن طعن في هؤلاء البَرَرة الكرام وسبَّهم ولعنهم، فقد خالف القرآن والحديث، وسيرة الصحابة والأئمَّة المهتدين بحقِّهم، وجاء أمرًا نُكرًا، فالصحابة هم خطُّ الدفاع الأوَّل، إذا سقط سقط كلُّ تاريخ الإسلام ومجده.

وأحبُّ أن أضع هذه النقاط أمام الشِّيعة الاثني عشريَّة، لا أقصد بها إلَّا ابتغاء وجه الله، وخدمة دينه، وجمع الأمة كلها عليه.

أوَّلًا: أنَّ هذا الَّذي حدث بين الصحابة بعضهم وبعض من خلاف ـ وإن دخلته المبالغات، ولوّثته الأهواء، وضخَّمته أجواء الفتن ـ قد

(١) مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية صـ٤١ ـ ٤٣، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.



أصبح تاريخًا انتهى، وطويت صفحاته بحلوه ومرِّه، وخيره وشرِّه، وسيسأل الله أصحابه ويجزيهم بأعمالهم ونيَّاتهم، وأوْلى بنا أن ندع ذلك إلى الله، ولا نكلِّف أنفسنا حسابهم؛ وقد قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وهذا ما جعل الخليفة الراشد المرضيَّ عمر بن عبد العزيز يقول حينما سُئِلَ عن تلك الفتن وما جرى فيها: تلك دماء طهَّر الله منها أيدينا، فلا نلطخ بها ألسنتا[١]!

ثانيًا: أنَّ من قواعد التسامح بين المختلفين من أهل الديانات: أن حساب الضَّال منَّا على ضلاله، والكافر على كفره؛ إنَّما هو إلى الله تعالى، وليس إلينا، وأن موعد هذا الحساب إنَّما هو في الآخرة، وليس في هذه الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج: ١٧].

وقال سبحانه لرسوله: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥].

فإذا كان هذا شأن المختلفين من أهل الديانات المتباينة، فكيف بالمختلفين من أهل الدين الواحد؟

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٤/٩).



ثالثًـا: إن الأجدر بنا هنـا أن نكل هـؤلاء المختلفين إلـى نيَّاتهم وسـرائرهم، وقد أفضوا إلى ما قدَّموا. على أن هؤلاء الصحابة لو سلمنا أنَّهم أخطؤوا أو أذنبوا، لكان لهم من صحبتهم لرسول الله، ومن جهادهم معه ما يشـفع لهم عند الله، كما قال الرسـول لعمر في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وقد قام بعمل من أعمال التَّجسُّس لحساب قريش، قُبيل فتح مكة، فقـال عمر لرسـول الله: دعنـي أضرب عنقـه فقد نافـق! فقال رسول الله ﷺ: «**وقد شهد بدرًا؟! وما يُدريكَ يا عمر، لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهل بدر؟ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[1].

قول الإمام القرطبي:

وقد قال الإمام القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»:

«لا يجوز أن يُنسـب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وأرادوا الله ﷻ، وهم كلهم لنا أئمَّة، وقد تعبَّدنا بالكف عما شجر بينهم، وألَّا نذكرهم إلا بحسن الذكر، لحرمة الصحبة، ولنهي النبي ﷺ عن سـبهم، وأن الله غفر لهم، وأخبر بالرضا عنهم. هذا مع ما قد ورد من الأخبار مـن طرق مختلفة عن النبـيِّ ﷺ: أنَّ طلحة شـهيد يمشـي على وجه الأرض[2]. فلو كان ما خرج إليـه من الحرب عصيانًا لم يكن بالقتل فيه شهيدًا. وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأً في التأويل وتقصيرًا في الواجب عليه؛ لأن الشـهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة، فوجب حمل أمرهم على ما بيَّناه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٩٤)، عن عليّ.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٨٦/٢٥).



وممَّا يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من أخبار عليٍّ بأن قاتل ابن صفية في النار. وقوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بشِّرْ قاتلَ ابنِ صَفِيَّة**[1] **بالنَّار**»[2].

وإذا كانت كذلك فقد ثبت أنَّ طلحة والزُّبَير غير عاصين ولا آثمين بالقتال؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يقل النبيُّ ﷺ في طلحة: «شهيد». ولم يخبر أنَّ قاتل الزبير في النار.

وكذلك من قعد ـ أي: عن القتال مع أحد الفريقين ـ غير مخطئ في التأويل، بل صوابٌ أدَّاهم إليه الاجتهاد. وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم، وإبطال فضائلهم وجهادهم، وعظيم غَنائهم في الدين، رضي الله عنهم.

وقد سُئِل بعضهم عن الدماء الَّتي أُريقت فيما بينهم فقال: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة: ١٣٤].

وسُئل بعضهم عنها أيضًا فقال: تلك دماءٌ قد طهَّر الله منها يدي، فلا أخضب بها لساني. يعني في التحرُّز من الوقوع في الخطأ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبًا فيه.

وقال المحاسبي: فأما الدماء، فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم. وقد سُئل الحسن البصري عن قتالهم، فقال: قتال شهده أصحاب مُحَمَّد ﷺ وغِبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا. قال المحاسبي: فنحن نقول كما قال الحسن، ونعلم أن القوم كانوا أعلم

---

(١) ابن صفية هو الزبير بن العوام، وصفية بنت عبد المطلب هي عمة رسول الله ﷺ.

(٢) رواه أحمد (٦٨١)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والطبراني (١٢٣/١)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٦٧/٣)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن علي.



بما دخلوا فيه منَّا، ونتبع ما اجتمعوا عليه، ونقف عند ما اختلفوا فيه، ولا نبتدع رأيًا منا، ونعلم أنَّهم اجتهدوا وأرادوا الله ﷻ، إذ كانوا غير متَّهمين في الدين. ونسأل الله التوفيق»(١) انتهى.

رابعا: ثمَّ إن علينا ـ من ناحية أخرى ـ أن نشتغل بحاضرنا، بدل أن يشغلنا ماضينا! وحاضرنا مليء بالمصاعب، والآفات، والعقبات الَّتي تقف في وجوه المصلحين والمجددين! وهي تحتاج منا إلى جهود مضنية، كفيلة بأن تشغل عقولنا وقلوبنا وسواعدنا. ولا سيَّما في هذه المرحلة الَّتي اجتمع علينا فيها المكر الصهيوني، والتَّجبُّر الأمريكي.

وقد سمعت شيخنا مُحَمَّد الغزالي رَحِمَهُ اللهُ يرد على رجل يجادله فيما كان بين الصحابة، ويثير سؤالًا لا معنى له: أيهما كان أحق بالخلافة: أبو بكر أم علي؟

فقال له الشيخ: لقد ذهب أبو بكر وذهب علي، وذهبت الخلافة الراشدة والأمويَّة والعباسيَّة والعثمانيَّة، وألغيت الخلافة نهائيًّا من ديار الإسلام، وأصبح الَّذين يتحكمون فينا هم الأجانب، لا أبو بكر ولا علي، فإلى متى نظل في هذه المفاضلات الحمقاء؟!

خامسًا: إن مسألة «السبّ» في ذاتها ليست محمودة شرعًا، فالمؤمن ليس سبَّابا ولا لعَّانا، والقرآن ينهى عن سب الأصنام، خشية أن يثير ذلك المشركين، فيسبُّوا الله تعالى دفاعًا عن آلهتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(١) تفسير القرطبي (٣٢١/١٦، ٣٢٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.



ومن قرأ السُّـنَّة النبويَّة وجد جملة من الأحاديث تنهى عن السـب، ومنها:

«**لا تسبُّوا أصحابي، فوالَّذي نفسي بيده، لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحُدٍ ذهبًا، ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه**»[١].

«**لا تسبُّوا الأموات، فإنَّهم أَفْضَوا إلى ما قدَّموا**»[٢].

«**لا تسبُّوا الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر**»[٣].

«**لا تسبُّوا الرِّيح، فإنَّها من رَوْح الله**»[٤].

«**لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم**»[٥].

وأعجب هذه الأحاديث قوله ﷺ: «**لا تسبُّوا الشيطانَ، وتعوَّذوا بالله من شرِّه**»[٦]. حتَّى الشـيطان الرجيم لا ينبغي أن نشـتغل بسبه، ولكن نتعوذ بالله من شره، لأنَّ السبَّ عمل سلبي، والاستعاذة من شرِّ الشيطان عمل إيجابي.

---

(١) متفق عليه: رواه البخـاري (٣٦٧٣)، ومسـلم (٢٥٤١)، كلاهما في فضائـل الصحابة، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٣)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)، وأحمد (٩١٣٧)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٢١١٣٩): وقال مخرجوه: حديث صحيح. والنسـائي في الكبري في عمل اليوم والليلة (١٠٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٢٧٢/٢)، وصححه على شرطهما، وقال الذهبي: على شرط البخاري. عن أبي بن كعب.

(٥) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٧٥)، عن جابر.

(٦) رواه أبو طاهر في المخلصيات (١٥٧٢)، وأبو القاسم تمام الرازي في الفوائد (٧٧٨)، ورجح الدارقطني في العلل (١٩٣٦) الموقوف، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣١٨)، عن أبي هريرة.



والغربيُّون يقولون: بدل أن تســبَّ الظلام أضئْ شمعة؛ أي إن سب الظلام ولعنه لا يغيِّر من الواقع شيئًا، وخير منه أن تعمل شيئًا يضيء لك الطريق في الظلام، ولو كان شمعة صغيرة.

ثم إن عدم السب واللعن مطلقًا لا يحمل صاحبه أيَّة مسؤوليَّة، فليس سبُّ الأشرار أو الكفار، ولعنهم واجبًا دينيًّا، إذا لم يقم به المكلَّف كان معاقَبًا عليه أمام الله؛ حتَّى قال بعض الأئمَّة: لو عاش إنسان طول عمره، دون أن يلعن فرعون، أو أبا جهل، أو إبليس، ما كان محاسبًا يوم القيامة على ذلك. ولو أنه لعن مرَّة واحدة من لا يســتحق اللعنة، لكان محاسبًا أمام الله تعالى يوم الدين: لماذا لعنه؟

ولذا قال الإمــام الغزالي: المؤمن ليس بلعَّــان، فلا ينبغي أن يُطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم، دون الأشخاص المعيَّنين، فالاشتغال بذكر الله أوْلى، فإن لم يكن؛ ففي السكوت سلامة[(١)].

قال مكي بن إبراهيم: كنَّا عند ابن عون، فذكروا بلال بن أبي بردة ـ الوالي ـ فجعلــوا يلعنونه ويقعون فيه؛ وابن عون ســاكت، فقالوا: يا بن عــون، إنَّما نذكره لمــا ارتكب منك! فقال: إنَّمــا هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: «لا إله إلا الله»، «ولعن الله فلانًا»، فلأن يخرج من صحيفتي: «لا إلــه إلا الله»؛ أحب إلي من أن يخرج منها: «لعن الله فلانا»[(٢)]!

وقال ابن عمر: أبغض النَّاس إلى الله كل طعَّان لعَّان[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٢٥/٣، ١٢٦)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٧٤١).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (٦٨٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٦٦٧).



ثم إن سبَّ الصحابة خاصَّة غير لائق بالمسلم، لصلتهم برسول الله ﷺ، فهم أصحابه وأخص النَّاس به، فهم قد تخرجوا من مدرسته، وتعلموا في حجره، واقتبسوا من مشكاة نبوته، وشاهدوا تنزيل القرآن، ووقائع السيرة، ومن الطبيعي والمنطقي أن ينالهم قبس من نور النبوة، وأن ينهلوا من فيض الرسالة، ومن سبَّ أقرب تلاميذ الأستاذ إليه، فكأنما سبَّ الأستاذ نفسه! ولهذا كان التابعون أقرب في الفضل إليهم، لأنَّهم تتلمذوا عليهم، وأخذوا عنهم، ومَنْ بعد التابعين بعدوا عن نور النبوة أكثر، وكل عصر يبعد أكثر من غيره.

والتاريخ شاهد صدق على فضل هؤلاء، فهم الَّذين حفظوا لنا القرآن ونقلوه إلينا بالتواتر، وهم الَّذين رووا لنا سنن النَّبي وأقواله وأفعاله وتقريراته، وهم الَّذين فتحوا الفتوح، ونشروا الإسلام في آفاق الأرض، فلولاهم ما كنا نحن اليوم مسلمين، فهم الَّذين علَّموا الأمم الإسلام، بعد أن تعلموه من رسولهم عليه السلام[1].

ومن قرأ سيرهم وتاريخهم وجد صحائف من البطولات الأخلاقيَّة لا نظير لها في الأمم، خليقة أن تكون نماذج ومُثُلًا لتربية الأجيال. وهذا ما تلمسه في كتاب «حياة الصحابة» المؤلف من عدة مجلدات، للشيخ مُحَمَّد يوسف الكاندهلوي.

فضلًا عن الكتب الَّتي عُنِيت بتاريخهم مثل «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر، و«أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر.

---

(١) راجع كتابنا: مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية صـ٥٥ ـ ٥٨.

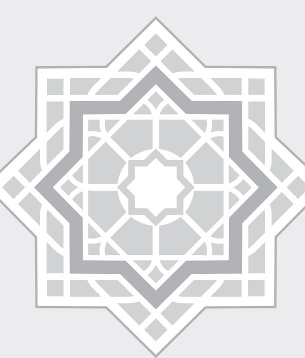


وأنصح بقراءة كتاب السيِّد مُحِبِّ الدِّين الخطيب «مع الرعيل الأوَّل»، وفصل «جيل قرآني فريد» للشهيد سيِّد قُطب في كتابه «معالم في الطريق». وعبقريَّات «العقَّاد» عن عدد من الصحابة، و«أخبار عمر» للشيخ علي الطنطاوي، وكتب الدكتور علي الصلَّابي.

وأنصح قبل ذلك بقراءة الكتب الَّتي تنبههم على التوحيد، مثل كتابي في حقيقة التوحيد، وما كتبته في سلسلة عقائد الإسلام، وكذلك قراءة الكتب الَّتي تهدم أصولهم، وتبين ما في عقائدهم من الزيغ والضلال، مثل «مختصر التحفة الاثني عشريَّة» للألوسي الحفيد، وكتاب «الأجوبة العراقيَّة عن الأسئلة الإيرانيَّة» للألوسي الجد[1]، وكتب الموسوي، ونحو ذلك.

* * *

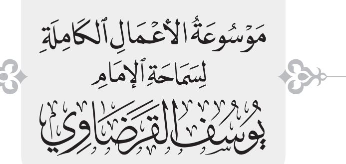
(١) محمود بن عبد الله الحسيني الإمام المفسر المتوفي سنة ١٢٧٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١٧٦/٧)، نشر دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢م.



الفصل الرابع

الشيعة الاثنا عشريَّة وعقيدتهم في الإمامة





الشيعة الاثنا عشريَّة وعقيدتهم في الإمامة

تمهيد:

توجد خلافات كثيرة بيـــن الناس، متباينة الأســباب، بعضها ديني، وبعضها عنصــري، وبعضها فكري، وبعضها سياســي، إلــى آخر هذه الأسباب. وكثير منها يعرف النَّاس سبب الخلاف فيه، وبعضها لا نستطيع أن نجد له سببًا يفهمه العقل السليم، والفكر المستقيم.

ومن الخلافات الَّتي وجدتها وصادفتني، ولم أعرف لها سببًا يستريح إليه عقلي ما يخالــف فيه الشِّــيعة الإماميَّة الاثنا عشــريَّة أهلَ الســنة والجماعة؛ واعتبارهم إمامة سـيِّدنا علي وبنيه من ذريَّة الحســين، من أصول الإيمان، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.

ومن يقرأ ويطيل القراءة في كتب الشِّيعة الإماميَّة الاثني عشريَّة: يجد أنَّهم يعتقدون أوَّل ما يعتقدون: أن من الفرائض الدِّينيَّة الأساسيَّة على كل مسلم: أن يعتقد اعتقادًا دينيًّا لا يصح إسلامه إلا به، ولا يدخل الجنَّة إلا بالتزامه، وهو الإيمان بإمامة أو خلافة اثني عشر إمامًا معصومًا، أوصى بهم رســول الله ﷺ، إلى علي بن أبي طالب، ليتسلموها من أوَّل الأمر، وينقلها كل واحد إلى ما بعده حتَّى سنة ٢٦٠هـ، ثمَّ يختفي الإمام الأخير إلى اليوم.



لا بد لكل شيعي أن يؤمن بهذه العقيدة! ولماذا يؤمن بها؟ لأنَّها جزء من العقيدة الإسلاميَّة كما يدَّعون، وبدونها لا تتم عقيدته، ولا يصح إيمانه!

وما فائدة هـذه العقيدة بعـد الإيمان بمحمد وبكتابـه وبربه، وهو ما جاء به من أوَّل الأمر وأعلنه ودعا إليه، وجاهد في سبيله.

حاولت بكل ما لدي من عقل، وما أملكه مـن تفكير، وما يمكنني من تساؤلات، وما أثيره من مناقشات: أن أعرف ما ضرورة هذه الإمامة الَّتي يزعمون النص عليها، بعد الإيمان بمحمد رسولًا؟!

لم أسـتطع أن أقنع عقلي الَّذي درس ما درس مـن الملل والنحل، ومن أصول الديانات والتوحيد، والوثنيات والماديات والإلحاديات، وما تفرع منها، وما ترتب عليها. فلم أستطع أن أجد ما أرضي به عقلي. رغم كل المحاولات المضنية، والمجادلات المسهبة.

أهميَّة الإمام:

أجمعت الأمة كلُّها على اختلاف مذاهبهـا على وجوب نصب إمام ينوب عن رسول الله ﷺ في إقامة الدين وسياسة الدُّنيا به، إلا بعض فرق الخوارج والأصم من المعتزلة، يقول ابن حزم: «اتفق جميع أهل السُّنَّة، وجميع المرجئة، وجميع الشِّيعة، وجميع الخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليهـا الانقياد لإمـام عادل، يقيم فيهـم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة الَّتي أتى بها رسول الله ﷺ، حاشا النَّجَدات[1] من الخوارج، فإنَّهم قالوا: لا يلزم النَّاس فرض الإمامة، وإنَّما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم، وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد»[2].

---

(١) النجدات: فرقة من الخوارج؛ وهم المنسوبون إلى نجدة بن عُمَير الحنفي القائم باليمامة.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٧٢/٤).



ومما يدل على أهميَّة منصب الإمــام أو الخليفة أن الصحابة قدموا اختيار الخليفة ومبايعته على دفن رسول الله ﷺ إيمانًا منهم بأن هذا أمر لا يقبل التَّسويف والتأجيل.

يقول ابن خلــدون: «إنَّ نصب الإمام واجب، قــد عُرف وجوبه في الشَّرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم تترك النَّاس فوضى في عصر من العصور، واستقرَّ ذلك إجماعًا دالًّا على وجوب نصب الإمام»[١].

ومع اتفاق الشِّيعة مع أهل السُّــنَّة في وجوب الإمامة، واتفاقهم في ذلك ـ أيضًا ـ مع الخــوارج والمعتزلة، فإن لهم تصــوُّرًا خاصًّا لمفهوم الإمامة، يختلف عن مفهوم جمهور المسلمين، فجمهور المسلمين على أن الإمامة واجبة على الأمة، وأن على المســلمين نصب إمام يســوس الدنيا، ويحرس بيضة المسلمين، ويقيم بينهم الشرع.

اختلاف النظرة بين السُّنَّة والشِّيعة في قضيَّة الإمامة:

والشيعة الإماميَّة يختلفون اختلافًا كبيرًا عن «أهل السنَّة» في نظرهم إلى الخليفة، وهو ما يشــير إليه الأســتاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام»؛ مبيِّنًا مقارنته بين نظرة الإسلام السنِّي؛ الَّذي هو إسلام الأمة، ونظرة الإسلام الشِّيعي الاثني عشري.

(١) مقدمة ابن خلدون صـ٢٣٧، ٢٣٨، تحقيق خليل شــحادة، نشــر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.



الخليفة عند أهل السُّنَّة:

يقول الأستاذ أحمد أمين: «فالخليفة عند «أهل السنَّة» إنسان ككلِّ الناس، وُلد كما يولد الناس، وتعلَّم أو جهل، كما يتعلَّم الناس، أو كما يجهل الناس، ليس له من مزيَّة إلا أن كفايته وأخلاقه جعلت النَّاس يختارونه، أو أنه تلقَّى الخلافة ممَّن قبله، ليس يتلقَّى وحيًا، وليس له سلطة روحيَّة، إنَّما هو منفِّذ للقانون الإسلامي، وقد ينحرف عن التنفيذ، فلا طاعة له على الناس، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ وليس له أن يُشرِّع إلا في حدود القوانين الإسلاميَّة، وإلا فتشريعه باطل؛ ثمَّ قد يجور، وقد يعدل، وقد يتهتَّك ويشرب الخمر، فيكون عاصيًا؛ والمؤرِّخون أحرار في تشريحه كتشريح كلِّ الناس، ويزِنُونه بنفس الموازين الَّتي توزن بها أعمال الناس؛ وإن انحرف واستطاعوا عزله؛ عزلوه.

الإمام عند الشِّيعة:

أما الإمام في نظر الشِّيعة، ففوق أن يُحكم عليه. وهو فوق النَّاس في طِينته وتصرفاته، وهو مُشرِّع، وهو مُنفِّذ، ولا يُسْأل عما يفعل، والخير والشَّرُّ يُقاس به، فما عمله؛ فهو خير، وما نهى عنه؛ فشرٌّ، وهو قائد روحيٌّ، وله سلطة روحيَّة تفوق حتَّى سلطة البابا في الكنيسة الكاثوليكيَّة، فالصلاة والصيام والزكاة والحجُّ لا تنفع إلا بالإيمان به، كما لا تنفع أعمال الكافر من غير إيمان بالله ورسوله.

وظاهرٌ أن عقيدة الشِّيعة على هذا المنوال تشل العقل، وتميت الفكر، وتعطي للخليفة أو الإمام سلطة لا حدَّ لها، فيعمل ما يشاء، وليس لأحد أن يعترض عليه، ولا لثائر أن يثور في وجهه ويدَّعي الظلم؛ لأن العدل هو ما فعله الإمام.



وهي أبعد ما تكون عن الديمقراطيــة الصحيحة الَّتي تجعل الحكم للشعب في مصلحة الشعب، وتزن التصرفات بميزان العقل، ولا تجعل الخليفة والإمام والملك إلا خادمًا للشعب، فيوم لا يخدمهم لا يستحق البقاء في الحكم.

حكم ديني معصوم:

حكم الإمام في نظر الشِّــيعة حكــم ديني معصوم، وفــي هذا إفناء لعقليتهم وتســليم مطلقٌ لتصرفات أئمَّتهم، وأين هــذا النظر من النظر المستند إلى الطبيعة؛ وهو أن الله لم يخلق فرعًا أو أسرة من النَّاس تمتاز كلها متسلســلة بامتياز لا حدَّ له، وفوق مســتوى كل النَّــاس في العقل والدين والحكم والتصرف.

الصلاح والتقوى لا يورثان:

إن المُشاهَد والمعقول أن كل أســرة فيها الطالح والصالح، والذكي والغبي، وكلنــا أولاد آدم، وفينا أصلح النَّاس وأفســد الناس، وولد آدم لصلبه، قال فيهما الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وابن نوح قال الله فيه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦]، وقال الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبــة: ١١٤]، ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]. ورســول الله ﷺ يقــول لابنته فاطمة وهو



يعظها: «**يا فاطمة بنت محمَّد، سـليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**»[١].

فهذه الآيات كلها تدلُّ على أنَّ القرابة والنسب لا مدخل لهما في تقويم الأشخاص، وليس الصلاح والتقوى والعلم تُورَث كما يورث المال، إنَّما هي أمور خاضعة لقوانين أخرى غير قانون الإرث المالي.

ومن مزايا الإسلام العظيمة تقريره أن الإنسان يوزن بأعماله، لا بآبائه، ولا بجاهه، ولا بماله: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقد كان من الموالي من هو أقرب لرسول الله من بعض القرشيين. فدعوى أنَّ الإمامة إرث، وأنَّ الإمام معصوم، وأنَّ الإيمان بالإمام يَجُبُّ المعاصي، قلبٌ لنظام الإسلام، وهدمٌ لأهم مبادئه.

وقد كان عمر يخطئ، وأبو بكر يخطئ، وعليٌّ يخطئ، ولو كان لعليٍّ كل هذا الَّذي يدَّعونه للإمام من عصمة وعلم ببواطن الأمور وخفاياها ونتائجها، لتغيَّر وجه التاريخ، ولما قَبِل التحكيم، ولدبَّر الحروب خيرًا ممَّا دبَّر، فإن ادَّعوا أنه علم وسكت وتصرَّف وفق القدر، فهو خاضع للظروف خضوع الناس، تتصرَّف فيه حوادث الزمان كما تتصرَّف في الناس، خاضع للحكم عليه بالخطأ والصواب خضوع الناس، والنبيُّ نفسه يقول: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨].

أوهام أخضعت النَّاس للظلم والفساد:

الحق أن هذه أوهام جرَّت على النَّاس البلاء، وجعلتهم يذِلُّون ويخضعون خضوعًا مُطلقًا للظلم والفساد، ويرضَوْن به، ولا يرفعون

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٦)، عن أبي هريرة.



صوتهم بالنقد، بل ولا يقومون بأضعف الإيمان، وهو الاستنكار بالقلب.

وهذا النظر الشِّيعي إلى الإمام يُلقي على تاريخ الفاطميين، وعلى كل الدول الشيعيَّة ضوءًا قويًّا، فنعرف السرَّ: لِـمَ كان يخضع النَّاس للخلفاء؟ وكيف ينظرون إليهم نظر تقديس؟ وكيف كانت تُقابَل أعمالهم مهما جارت وظلمت بالقبول والاستحسان؟

إن شئتَ فاستعرِض ديوانَ ابن هانئ الأندلسي المغربي الشِّيعي تَرَ العجب العُجاب، فاستمع مثلًا لما يقوله في مدح المُعزّ لدين الله الفاطمي:

ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ

وكأنَّما أنتَ النبيُّ محمّدٌ وكأنّما أنصاركَ الأنصارُ

هذا الَّذي تُرْجى النجاةُ بحبِّهِ وبه يُحَطُّ الإصْرُ والأوزارُ

هذا الَّذي تُجْدي شفاعتُه غدًا حقًّا وتَخمُدُ أن تراهُ النارُ[1]

النظرة المعتدلة للإمامة:

إن شئتَ نظرًا معتدلًا هادئًا، فوازن بين قومٍ يرون أن إمامهم أحد الناس، يجري عليه ما يجري عليهم، ويُخطئ كما يُخطِئون، ويصيب كما يصيبون، إذا أخطأ نُقِد، وإذا أصرَّ على الخطأ عُزِل، وهو ليس إلا خادمًا للأمَّة، إذا لم يؤدِّ الخدمة نُحِّي! وبين قوم يرون أنَّ إمامهم معصوم، لا يأتي بخطأ، بل يجب أن تحور العقول، ويقلب وضعها في الرؤوس؛ حتَّى تفهم أنَّ ما يأتي الإمام به عدل كائنًا ما كان.

(١) انظر: تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ لزاهد على صـ٣٦٥، نشر مطبعة المعارف، مصر، ١٣٥٢هـ.



إنِّي أرى رأيًا لا تحيُّز فيه: أن نظر أهل السُّنَّة إلى الخلافة كان أعدل وأقوم مذهب إلى العقل، وإن كانوا يُؤاخذون مؤاخذة شديدة على أنَّهم لم يطبقوا رأيهم تطبيقًا جريئًا؛ فلم ينقدوا الأئمَّة نقدًا صريحًا، ولم يقفوا في وجوههم إذا ظلموا، ولم يقوِّموا إذا جاروا، ولم يضعوا الأحكام الحاسمة في موقف الخليفة من الأمة، وموقف الأمة من الخليفة، بل استسلموا لهم استسلامًا معيبًا، فجنَوْا بذلك على الأمَّة أكبر جناية، ولكنَّهم كانوا أحسن حالًا من الشِّيعة، فهناك من مؤرِّخيهم من دوَّنوا تاريخ الخلفاء في أمانة، وصوَّروهم كما يعتقدونهم، وعابوا بعض تصرفاتهم، ومن المشرِّعين من وضعوا الأحكام السلطانية، يبيِّنون فيها ما يجب للإمام، وما يجب للأمَّة، إلى غير ذلك.

وعلى كل حال فنحن الآن نوازن بين النظرتين، ونقارن بين الوجهتين! وأظنُّ أنَّ الزمن الَّذي أفهم النَّاس حقوقهم وواجباتِهم، وحرَّرهم ممَّا يشلُّ تفكيرهم يعدل بإخواننا الشِّيعة عن هذا النظر في الأئمَّة، الَّذي لا يصلح إلا لأن يدوَّن في التاريخ، على أنَّهم في حياتهم العمليَّة سائرون على هذه الطريقة فعلًا، من إدخال الإصلاحات الاجتماعيَّة، والمجالس النيابيَّة، ومشايعة المدنيَّة الغربيَّة، وهذا لا يتفق ونظريَّة الإمامة، وترقب المهدي المنتظر، وليس من العدل أن تكون أفكار رجال الدين في جانب، والحياة الواقعيَّة من جانب، فمهمتهم أكبر من أن يلقَّنوا تعاليم الإمامة نظريًّا وتلقينها كذلك؛ إنَّما مهمتهم مواجهة الواقع، وإصلاح ما فيه من خطأ إن كان»[1].

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين (٢١٦/٣ ـ ٢٢٣) بتصرف، نشر مكتبة الأسرة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٩م.

نشأة عقيدة الإمامة عند الشِّيعة

نظريَّة ابن سبأ:

وبالرجوع إلى التاريخ وروايات الشِّيعة أنفسهم نجد أن أوَّل من بدأ القول بالإمامة ـ كما تفهمها الشِّيعة ـ هو ابن سبأ اليهودي، الَّذي بدأ يشيع القول بأنَّ الإمامة هي وصيَّة من النبي، ومحصورة بالوصي، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره، وفي كتب الشِّيعة أن ابن سبأ «كان أوَّل من أشهر القول بفرض إمامة علي، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه وكفَّرهم»[1]. فلم تكن هذه المقولة في زمن أبي بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم، ولم يسمع بها أحد من الصحابة في تلك العهود.

إحياء نظريَّة ابن سبأ على يد مؤمن الطاق:

ثم وجدنا من يُحيي قول ابن سبأ من جديد، بل يزيد عليها، فكان «صاحب الطاق»[2] كما يُسمَّى عند الشِّيعة، هو أوَّل من بدأ يشيع القول بالإمامة من جديد.

ولم يتوقف شيطان الطاق هذا عن القول بالإمامة لعلي رضي الله عنه، كما كان يقول ابن سبأ؛ بل أشاع بأن الإمامة لعلي ثمَّ لبعض أولاده من أهل البيت.

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٨٧/٢٥).

(٢) هو: محمد بن علي بن النعمان ابن أبي طريفة البجلي. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي (٢٧١/٦).



وقد اعتــرض عليه زيد بن علي مســتنكرًا أن يكون عند شــيطان الطاق علم من أبيه لم يعلمه هو، فقد روى الكُلَيْني بسنده: أنَّ صاحب الطاق قــال: «قال لــي زيد بن علــي: يا أبا جعفر، كنــت أجلس مع أبي على الخِوَان، فيلقمني البضعة الســمينة، ويبرد لي اللقمة الحارة حتَّى تبرد، شفقة علي، ولم يشفق عليَّ من حرِّ النار، إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به؟!

فأجابه شيطان الطاق: جُعلتُ فداك، من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك، خــاف عليك ألَّا تقبلــه فتدخل النار، وأخبرني أنــا، فإن قبلتُ نجوتُ، وإن لم أقبل لم يبالِ أن أدخل النار»[1]!

يقول الأســتاذ محب الدِّين الخطيب: «وهكذا اخترع شيطان الطاق أكذوبة الإمامة، الَّتي صارت من أصول الديانة عند الشِّيعة، واتَّهم الإمام عليًّا زين العابدين بن الحســين، بأنه كتم أســاس الدين، حتَّى عن ابنه الَّذي هو من صفوة آل مُحَمَّد، كما اتهم الإمــام زيدًا بأنه لم يبلغ درجة أخس الروافض في قابليته للإيمان بإمامة أبيه!

والشــيعة هم الَّذين يروون هذا الخبر في أوثــق المصادر عندهم، ويعلنون فيه أن شــيطان الطاق يزعم ـ بوقاحته ـ أنــه يعرف عن والد الإمام زيد ما لا يعرفه الإمام زيد من والده، ممَّا يتعلق بأصل من أصول الدين عندهم»[2]!

---

(١) أصول الكافي (١٩٤/١، ١٩٥)، كتاب الحجة، باب الاضطرار إلى الحجة.

(٢) انظر: تعليق محبِّ الدِّين الخطيب على مختصر التحفة الاثني عشرية الألوسي صـ١٩٥، نشر المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٣هـ.



هشام بن الحكم (ت١٧٩هـ):

كما تذكر الروايات الشِّيعيَّة أنَّ رجلا آخر يُدعى هشام بن الحكم أخذ يردد قول صاحب الطاق ويشيعه، كما أشـــاع أنَّ مقولته في الإمامة إنَّما هي عن أمر موسى الكاظم، وقد كانت هذه المقالة سببًا في مقتل موسى الكاظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ !

وكم أرسل موسى الكاظم إلى هشام بن الحكم يكفُّه عن الكلام في أمر الإمامة، قائلا: «أيسرُّك أن تشـــرك في دم امرئ مسلم؟ قال: لا. قال: وكيف تشرك في دمي؟! فإن سكتَّ وإلا فهو الذبح! فما سكت حتَّى كان من أمره ما كان[1]».

وروى الطوســـي عن أبي الحســـن الرضا أنه قال: «أمـــا كان لكم في أبي الحسن عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عظة، ما ترى حال هشام بن الحكم؟ فهو الَّذي صنع بأبي الحسن ما صنع، وقال لهم، وأخبرهم. أترى الله يغفر له ما ركب منا؟!»[2].

وقد ظهر بذلك أن كلا من صاحب الطاق وهشام بن الحكم هما من قاما بإحياء نظريَّة ابن ســـبأ في علي بن أبي طالب؛ بل زادا عليها تعميم ذلك على آخريـــن من أولاده من أهل البيت، مســـتغلين بعض ما جرى على أهل البيت، في إثارة مشـــاعر النَّاس وعواطفهم، لتحقيق أغراضهم ضد الدولة الإسلاميَّة في ظل هذا الستار!

وهكذا يتبين أن الإمامة الَّتي اعتبرها الشِّيعة أصلًا من أصول الدين، ودعامة من دعائم الإســـلام: لم تعرفها العصور الأولـــى؛ ولم يكن لها

(١) رجال الكشي للطوسي صـ٢٣٠، ٢٣١.

(٢) المصدر السابق صـ٢٣٦.



وجود زمن أبي بكر وعمر وعثمان، ووقف لها علي ﷺ بالمرصاد؛ حين ظهر القول بها في عصره.

فكرة كتمان الإمامة:

ولما عاد القول بالإمامة يظهر مرَّة أخرى، أنكر الأئمَّة الموجودون هذا الأمر، ورفضوا القول به، وأنكروا على القائلين به؛ بل طلبوا ممن يقول بها أن يكفوا عن ذلك، وهو أيضًا ما ذكرته كتب الشِّيعة أنفسهم.

وعلّل الشِّيعة لأئمَّتهم هذا الأمر بكونهم يخافون على أتباعهم من جَوْر الحكام، وسفه العوام؛ بل جعلوا الإسرار بمبدأ الإمامة من الدين، وصنفوا في «الكتمان» أبوابًا، بل جعلوا إنكار الأئمَّة أو الإمامة خداعًا للناس مقبولًا، وربما كان أمرًا واجبًا، كما سنبيِّن ذلك في الحديث عن التقيَّة.

وفي الأمر بالإسرار والكتمان لأمر الولاية، أورد الشِّيعة روايات عديدة منها: ما يرويه الكُلَيْني، عن أبي جعفر الباقر قال: «ولاية الله أسرَّها إلى جبرائيل، وأسرَّها جبرائيل إلى مُحَمَّد، وأسرَّها مُحَمَّد إلى علي، وأسرَّها عليٌّ إلى من شاء الله، ثمَّ أنتم تُذيعون ذلك، من الَّذي أمسك حرفا سمعه؟!»[1].

وقال المازندراني: «واعلم أنه عليه السلام كان خائفًا من أعداء الدين على نفسه المقدَّسة، وعلى شيعته، وكان في تقيَّة شديدة منهم، فلذلك نهى عن إذاعة خبر دال على إمامته، أو إمامة آبائه»[2].

---

(١) أصول الكافي (٢/٢٥٣)، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان.

(٢) شرح الكافي للمازندراني (١٠/٣٣)، تحقيق السيد علي عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.



فهذه النصوص وغيرها تشـير إلى أنَّ الولاية من الأسرار، في أصل التَّنزيل الإلهي، ويحذِّر من إظهار الحديث عنها، ويعلِّل شـارح الكافي ذلك بقوله: «لما كانت التَّقيَّة شـديدة في عصرهم عليهم السلام، أمروا شيعتهم بكتمان أسرارهم وإمامتهم، وأحاديثهم وأحكامهم المختصَّة بمذهبهم»[1].

ونحن نعجب بعد هذه النصوص: كيف يتَّهمون الصحابة أنَّهم أخفوا نصوص الولاية والإمامة؟!

نقد فكرة سِرِّيَّة الولاية:

وإذا كانت الولاية صنو النبوَّة أو أعظم، فلماذا تكون سـريَّة مُحاطة بالكتمان؟! حتَّى إنَّ رسول الله ﷺ الَّذي أمره الله أن يبلغ ما أنزل الله إليه يُخفي أمرها، ويُسـرَّها إلى علـي وحده، ثمَّ يسـرها عليٌّ رضي الله عنه إلى من شاء؟!

فكيف تكون الولايـة الَّتي هي أصل النَّجاة عندهم، وأسـاس قبول الأعمال، والفيصـل بين الإيمان والكفر، كيف تظل سـريَّة حتَّى يتولى نشرها ابن كيسان؟! ويعدُّون ذلك خروجا عن الأصل المأمور به.

لن تجد لهذه الأجوبة غير أن الإمامة شيء مخترع في دين الإماميَّة، لم يأتِ به مُحَمَّـد ﷺ، ولم يعرفه أصحابه، ولا حتَّـى آل البيت، ولما وصل إلـى آل البيت ما كُـذِب عليهم، أنكـروه ورفضوه. ولـم يدَّعُوا لأنفسهم شيئًا من هذا.

وكل هذا يقدح في هذا المبدأ؛ إن لم ينسفه من أساسه.

(١) شرح الكافي للمازندراني (٩/١٢٧).



الإمامة شرط من شروط الإيمان عند الشِّيعة الاثني عشريَّة:

يرى الشِّيعة أن الإيمان بولاية الاثني عشر إمامًا أصلٌ من أصول الدِّين عندهم، وامتلأت كتب الشِّيعة؛ سلفهم وخلفهم بروايات توجب الإيمان بهذا الأصل، وتكفير من خالف في ذلك، بل وجوب خلوده في النار.

فلا يصح إيمان مسلم، ولا يقبل منه الإسلام عند الله تعالى، إذا لم يؤمن بأن عليًّا خليفةٌ منصوص عليه من الله تبارك وتعالى، وكذلك الأحد عشر إمامًا من ذريَّته. ومن أنكر ذلك أو شك فيه فهو كافر مخلَّد في النَّار. هذا ما نصُّوا عليه في رواياتهم المستفيضَة في «الكافي» وغيره، وما نصَّت عليه كتب عقائدهم.

والأئمَّة الاثنا عشر عندهم على الترتيب هم: علي بن أبي طالب، ثمَّ ابنه الحسن، ثمَّ أخوه الحسين، ثمَّ ابنه علي بن الحسين (زين العابدين)، ثمَّ ولده مُحَمَّد (الباقر)، ثمَّ ولده جعفر (الصادق)، ثمَّ ولده موسى (الكاظم)، ثمَّ ولده عليّ (الرضا)، ثمَّ ولده مُحَمَّد (الجواد)، ثمَّ ولده عليّ (الهادي)، ثمَّ ولده الحسن (العسكري)، ثمَّ ولده مُحَمَّد (الحُجَّة والمنتظَر) وهو الثاني عشر.

وعلى هذا الأساس نرى عامتهم يكفِّرون أهل السُّنَّة عامَّة؛ لأنَّهم يخالفونهم في هذه العقيدة، بل ينكرونها أصلًا، ويعتقدون أنَّها باطلة مكذوبة على الله ورسوله.

بل هم يُكَفِّرون الصحابة الَّذين لم يعترفوا بها لعلي رضي الله عنه، ويكفِّرون الخلفاء الراشدين الثلاثة الَّذين سبقوا عليًّا: أبا بكر، وعمر، وعثمان، ومن رضي بهم من صحابة رسول الله!



ونحن نعلـــم أن كل الصحابة قد رضي بهم، حتَّى علي نفســـه؛ وإن تأخر في أوَّل الأمر عن مبايعة أبي بكر، إلا أنه استدرك وبايعه، وقال له: إنَّا لا ننكر فضلك ومنزلتك يا أبا بكر، ولكن كنا نرى لنا في هذا الأمر حقًّا، لقرابتنا من رسول الله[1]. ولم يذكر أن لديه نصًّا من الله ورسوله!

الإمامة عند الشِّيعة أصل من أصول الدين:

يرى الشِّيعة الاثنا عشريَّة أن الإمامة واجب من الواجبات العقديَّة؛ بل شـــرط في قبول الأعمال، وهذه عقيدة لا يتزحزحـــون عنها، وهي أكثر عندهم من حجم التواتـــر، وما عُلم من الدين بالضـــرورة، ولا يقبل الله الأعمال ـ بزعمهـــم ـ إلا بها، بل لا يقبل الإيمان بالله ورســـوله إلا بها. وأنقل هنا ما قاله مُحَمَّد رضا المظفر في كتابـــه «عقائد الإماميَّة» لأبين للقارئ الفرق بين الإمام عند أهل السُّنَّة ومعهم بقيَّة الأمة، وبين الإمام عند الشِّيعة الإماميَّة عموما والاثني عشريَّة خصوصًا!

يقول مُحَمَّد الرضا المظفر: «نعتقد أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمـــان إلا بالاعتقاد بهـــا، ولا يجوز فيها تقليـــد الآباء والأهل والمربِّين، مهما عظموا وكبروا؛ بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة! كما نعتقد أنَّها ـ كالنبوة ـ لُطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هادٍ، يخلف النَّبيَّ في وظائفه، من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصَّلاح والسَّـــعادة في النَّشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامَّـــة على الناس، لتدبير شـــؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧١١، ٣٧١٢)، ومســـلم في الجهاد والســـير (١٧٥٩)، عن عائشة.



وعلى هذا، فالإمامة استمرارٌ للنبوة، والدليل الَّذي يوجب إرسال الرسل، وبعث الأنبياء، هو نفسه يوجب أيضًا نصب الإمام بعد الرسول.

فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الَّذي قبله، وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس، فليس لهم إذا شاؤوا أن ينصبوا أحدًا نصَّبُوه، وإذا شاؤوا أن يُعيِّنوا إمامًا لهم عيَّنوه، ومتى شاؤوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام، بل من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض.

وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة، منصوب من الله تعالى، سواء أبى البشر أم لم يأبَوْا، وسواء ناصروه، أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يُطيعوه، وسواء كان حاضرًا أم غائبًا عن أعين الناس، إذ كما يصح أن يغيب النبي كغيبته في الغار والشِّعْب، صح أن يغيب الإمام، ولا فرق في حكم العقل بين طُول الغَيْبة وقِصَرها»[1].

ولنا على هذا النقل عدَّة ملاحظات:

١ ـ أنَّه جعل الإمامة من أصول الدِّين وأركان العقيدة.

٢ ـ أنَّه جعل الإمامة منصبًا إلهيًّا، وحرم الأمَّة نظريًّا من حقها في اختيار الإمام، وحرمها من حقها في الشُّورى، ذلك المبدأ القرآني الَّذي وصف الله به الأمَّة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

---

(١) عقائد الإمامية للمظفر صـ٨٦ ـ ٨٨.



٣ ـ أنه رفع الإمام إلى مقام النبوة، فكلاهما اصْطِفاء من الله لا مدخل للبشر فيه، وكلاهما لطف إلهي، والدليل الَّذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء، هو نفسه يوجب أيضًا نصب الإمام بعد الرسول.

٤ ـ أن حديث «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» باطل لا أصل له بهذا اللفظ! ويدل على بطلانه أن كل طائفة من الشِّيعة تدَّعي إماما: فالإسماعيليَّة تدعي النص على إسماعيل بن جعفر، والإماميَّة على موسى الكاظم وغير ذلك، فأيهم إمام الزمان؟ ولا نص مقطوعا به في تعيين أحدهما!

وأيضا فالحديث الَّذي ذكروه حجة عليهم فإنَّهم لا يعرفون الإمام الثاني عشر الَّذي اختفى في السرداب من سنة ٢٠٦ ولا يعرفون شكله، ولا شخصه، ولا أمره، ولا نهيه، ولا أي خبر عنه؛ فعلى هذا كل من مات على الاعتقاد به مات ميتة جاهلية؛ لأنَّه مات وهو لا يعرفه.

وهم وإن جعلوا الإمام في مرتبة دون النبي نظريًّا إلا أنه عمليًّا في مرتبة مساوية للنبي، فكلاهما باختيار الله، وكلاهما معصوم، وسيتضح ذلك أكثر بنقلنا لما قالوه في عصمة الإمام وصفاته.

الإمامة عند الشِّيعة الاثني عشريَّة ركن من أركان الإسلام:

جاء في أصول الكافي عن أبي جعفر (الباقر) أنه قال: «بُني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية. ولم يُنادَ بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ النَّاس بأربع، وتركوا هذه» يعني الولاية[1].

---

(١) أصول الكافي (٤٢/٢)، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام.



وعن زُرارة عن أبي جعفر قال: «بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية. قال زرارة: قلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنَّها مفتاحهن»(١).

بل عندهم أن الله رخَّص في أشياء من الفرائض الخمسة عدا الولاية فما فيها من رخصة، وفي هذا يروون عن الصادق: «إن الله افترض على أمَّة مُحَمَّد ﷺ خمس فرائض: الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا، فرخَّص لهم في أشياء من الفرائض الأربعة، ولم يرخِّص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا، لا والله ما فيها رخصة»(٢).

القول بأن الإمامة ركن من أركان الإسلام عند المحدثين:

كنَّا نظن أن هذه الأفكار ممَّا تعداها الزمن، ولا قائل بها منهم اليوم؛ فإذا بهذه الفكرة متجذرة عند القوم، متغلغلة فيهم.

يقول الخميني مدافعًا عن هذه العقيدة: «الإيمان لا يحصل إلا بواسطة ولاية عليّ، وأوصيائه؛ من المعصومين الطاهرين عليهم السلام، بل لا يقبل الإيمان بالله ورسوله من دون الولاية»(٣).

ويقول أيضًا: «إن كون ولاية أهل البيت ومعرفتهم شرطًا في قبول الأعمال، يعتبر من الأمور المسلَّمة، بل تكون من ضروريات مذهب التَّشيُّع المُقدَّس، وتكون الأخبار في هذا الموضوع أكبر من طاقة مثل هذه الكتب المختصرة على استيعابها، وأكثر من حجم التواتر»(٤).

---

(١) أصول الكافي (٢/٤٢، ٤٣).

(٢) روضة الكافي (٨/٢٢٦).

(٣) الأربعون حديثا للخميني صـ٥١١، نشر دار التعارف، بيروت، ١٩٩١م.

(٤) المصدر السابق صـ٥١٢.

إنكار الإمامة مثل إنكار النبوَّة:

ويعتبرون أنَّ إنكار إمامة الأئمَّة كإنكار نبوَّة الأنبياء، **فعن أبي جعفر الصدوق** قال: «واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمَّة من بعده أنه كمن جحد نبوَّة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقرَّ بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا مِنْ بعده من الأئمَّة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا مُحَمَّد ﷺ»[1].

وفي رسالة «الاعتقادات»، قال النبي ﷺ: «من جحد عليًا إمامته بعدي فقد جحد نبوَّتي، ومن جحد نبوَّتي فقد جحد اللهَ رُبوبيَّتَه»[2][3].

ما يستدلُّ به الشِّيعة على مفهومهم للإمامة:

يستدل الشِّيعة باستدلالات كثيرة لإثبات مذهبهم في الإمامة، بعضها من القرآن، وبعضها من السنة، وبعضها من الحجج العقلية.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾:

ومن أعجب استدلالاتهم على هذا المبدأ ـ الَّذي يعدُّ أهم المبادئ عندهم، وعليه بني كثير من أصولهم ـ: استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

ويعتبر علماء الشِّيعة هذه الآية أقوى دليل من القرآن على النص على إمامة علي رضي الله عنه، وفي هذا يقول شيخ الطائفة الطوسي: «وأمَّا النَّصُّ على

(١) الاعتقادات لابن بابويه صـ١٠٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) وهذا كله باطل موضوع مما صنعته أيديهم.



إمامته من القرآن، فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]»[١].

وقال الطبرسي: «وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحَّة إمامة عليّ بعد النبي بلا فصل»[٢].

ويقول الزَّنجاني في «عقائد الإماميَّة»: «اتَّفقَ المفسِّرون والمُحدِّثون من العامَّة والخاصَّة، أنَّها نزلت في عليٍّ لمَّا تصدَّق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة، وهو مذكور في الصحاح الستَّة»[٣].

ويروون عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية [المائدة: ٥٥]. قال: إنَّ رهطًا من اليهود أسلموا، منهم عبد الله بن سلام، وأسد، وثعلبة، وابن يامين، وابن صوريا، فأتوا النَّبيَّ صلى الله عليه وآله فقالوا: يا نبي الله، إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصيُّك يا رسولَ الله؟ ومن وليُّنا بعدك؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قوموا». فقاموا، فأتوا المسجد، فإذا سائل خارج، فقال: «يا سائل، أما أعطاك أحد شيئًا؟». قال: نعم، هذا الخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الَّذي يُصلِّي. قال: على أيِّ حال أعطاك؟ قال: كان راكعًا.

---

(١) تلخيص الشافي (١٠/٢)، نشر مؤسسة انتشارات المحبين، إيران، ط١.

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسي (٢٩٨/٣) (آية ٥٥ المائدة)، نشر دار المرتضى بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٣) عقائد الإمامية للزنجاني صـ٨١، ٨٢، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.



فكبَّر النبي ﷺ، وكبَّر أهل المسـجد، فقـال النبي ﷺ: «علي بن أبي طالب وليكم بعدي». قالوا: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّد نبيًّا، وبعلي بن أبي طالب وليًّا[1].

الآية لا تدل على ما يقولون:

والآية لم تذكر عليًّـا ولا غيره، وليس فيها أي اسـم، ولا تدلُّ بأيِّ وجه من الوجوه على فضل أي شخص كان!

وعندما يثبت علماء الشِّـيعة إمامـة عليٍّ رضي الله عنه اسـتنادًا إلى «آية الولاية» هذه، فإنَّهم يَدَّعون في بداية استدلالهم ـ كما ذكر الزنجاني ـ أنَّ أكثرَ المفسِّـرين وعلماء الحديث متَّفقون على أن هذه الآية نزلت في الإمام عليٍّ رضي الله عنه، وأن سـبب نزولها هو قصـة التَّصدُّق بالخاتم أثناء الصلاة.

وزعمهم المذكور في السـنن مكذوب، ولا أساس له في الصحاح، ولا أدري كيف جرت ألسـنة هؤلاء بالكذب المكشوف ولا يستحون؟! فالأكثريَّة العظمى لعلماء الإسـلام «سـواء في الماضي أم في الحاضر» يعتبرون القصَّة موضوعة ومختلقة من أساسها.

فكان الأجدى بهم ـ وقد بلغت الولايـة في دينهم هذه المكانة ـ أن يأتـوا بدليل صحيح الثبوت، صريـح الدلالة، يثبتهـا، ولكن القوم في الحقيقة بَدَوْا عاجزين عن الإتيان بدليل قويّ يُثبت أهم وأعظم أصل من أصول الدين عندهم، وهذا من فشلهم الذريع ولا شك.

(١) بحار الأنوار للمجلسي (١٨٣/٣٥).



وهم يظنُّون أنَّهم باستنادهم إلى كتاب من كتب أهل السُّنَّة، وردت فيه هذه القصة مثل «تفسير الثعالبي»[(١)] وغيره، أنَّهم بذلك قد أتوا بما يُقنع الخصم من كتبه.

والحق أن بعض مفسري أهل السُّنَّة قد أتى بالقصة دون أن يذكروا لها سندًا موثوقًا به أو صحيحًا، فقد كان بعضهم يسعى لاستقصاء كل ما يُقال حول الآية من أسباب النزول، دون اقتصار على الصحيح الثابت فقط، ولذا فهذه الرواية ـ وإن ذكرت في بعض الكتب ـ غير معتمدة لدى علماء أهل السُّنَّة ومفسِّريهم.

وإذا كان مجرَّد وجود رواية في بعض مصادر أهل السُّنَّة دليلًا على أن أهل السُّنَّة يؤمنون بمضمون هذه الرواية ويعتقدون بمفادها، فما القول في كثير من الروايات الَّتي تضمنت أفكارًا وتصورات خرافية، تصادم العقل والقرآن؟ جاءت في أهم كتبهم وأوثقها عند الشِّيعة، ككتاب «الكافي» للكليني، و«بحار الأنوار» للمجلسي وغيرهما؟ ولا ردَّ لهم سوى أنَّها روايات غير معتبرة وغير صحيحة، مع ورودها في أوثق الكتب عندهم!

فكذلك رغم ذكر قصة تصدُّق عليٍّ رضي الله عنه بالخاتم أثناء الصلاة في عدد محدود من مصادر أهل السُّنَّة، إلا أنَّ معظم علماء أهل السُّنَّة وفقهائهم يعتقدون أن سنَدَها ضعيفٌ للغاية، ومتنَها مخدوشٌ ومضطربٌ، وعلامات الوضع فيها ظاهرة.

---

(١) تفسير الثعالبي (٤/٨٠)، الآية (٥٥) من سورة آل عمران، تحقيق الإمام أبي محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.



يقول ابن كثير: روي مـن حديث علي بن أبي طالب ﵁ نفسه، وعمار بن ياسر وأبي رافع، وليس يصح شيء منها بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[1].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية الآية، ثمَّ علَّق على استشهاد الرافضة بها، قائلًا: ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم وهو تصدقه ـ أي عليّ ـ بخاتمه في الصلاة[2].

وأيضًا فالآية مكيَّة والحادثة المزعومة في المدينة، وهو قاطع في بطلان هذا الخبر، وإن قيل نزلت مرتين فهو تحكُّم باطل لا دليل عليه.

والغريب أنَّ علماء الشِّيعة على مر القرون عجزوا عن المجيء بدليل غير هذا الدليل الَّذي حوله الاختلاف والنقد والرد، ممَّا يثبت فراغهم الحقيقي من مضمون نافع، موصول بالقرآن، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله.

حديث غدير خمٍّ:

وقد احتجوا أيضًا بالروايات والأخبار على معتقدهم، لكن الَّذي يعنينا هنا هو ما يستدلون به من كتب أهل السُّنَّة ومصادرهم، لأننا بيَّنا ما في كتبهم ومصادرهم وكتب الأخبار والرواية عندهم في الفصول السابقة.

من استدلالهم بالسنة: احتجاجهم بذكر حديث «غدير خُم»، وخم موضع مرَّ به النبي ﷺ في عودته من حجته الَّتي حجها، به غدير ماء، خطب النبي ﷺ فيه الناس، وأوصى بأهل بيته، وبيَّن مكانة علي ﵁ ،

(١) تفسير ابن كثير (١٣٩/٣)، تحقيق سامي محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٩/١٣).



وقد رُوِيَ الحديث بعدة روايات وألفـاظ، ملخصُ ما صحَّ منها: أنه لما رجع رسـول الله ﷺ من حجة الـوداع، ونزل غدير خم أمـر بدوحات فقممن، فقال: «**كأنِّـي قد دُعيتُ فأجبتُ، إنِّي قد تركـت فيكم الثّقَلَيْن: أحدهمـا أكبر من الآخـر: كتاب الله تعالـى، وعترتـي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنَّهما لن يتفرَّقا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوض**». ثمَّ قال: «**إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ مولاي، وأنا مولى كلِّ مؤمن**». ثمَّ أخذ بيد عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: «**من كنت مولاه فهذا وليه، اللهمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»[1].

هذا هو حديث الغدير الَّـذي يحتج به الشِّـيعة، وهو «لا يدل على ولاية السلطة، الَّتي هي الإمامة أو الخلافة، ولم يستعمل هذا اللفظ في القرآن بهذا المعنى، بل المراد بالولاية فيه: ولاية النصرة والمودَّة، الَّتي قـال الله فيها فـي كل مـن المؤمنيـن والكافريـن: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]. ومعناه: من كنت ناصرًا ومواليًا لـه فعليٌّ ناصره ومواليه، أو مَنْ والاني ونصرني فليـوالِ عليًّا وينصره، وحاصل معنـاه أنه يقفو أثر النبيِّ ﷺ، فينصر من ينصر النبي ﷺ، وعلى من ينصر النبي أن ينصره، وهذه مزيَّـة عظيمة، وقد نصر كـرم الله وجهه أبا بكـر وعمر وعثمان، ووالاهم. فالحديث ليس حُجَّة على مـن والاهم مثله، بل حُجَّة له على من يُبغضهم ويتبرَّأ منهم! فهو لا يـدل على الإمامة، بل يدلُّ على نصره

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسـند (٩٥٠) مختصرًا. وقـال مخرجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في المناقب (٨٠٩٢)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٦٥)، وقال عقبه: هذا الحديث صحيح الإسـناد، لا طعن لأحد في أحد من رواته. والحاكم في معرفة الصحابة (١٠٩/٣)، وصححه على شـرط الشـيخين. وقـال ابن كثير في البدايـة والنهاية (٦٦٨/٧): قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: وهذا حديث صحيح. ونقل عنه أيضا في موضع آخر (٦٨١/٧): صدر الحديث متواتر، أتيقن أن رسول الله ﷺ قاله وأما: «اللهم وال من والاه» فزيادة قوية الإسناد.



إمامًا ومأمومًا. ولو دلَّ على الإمامة عند الخطاب، لكان إمامًا مع وجود النبي ﷺ»[١].

وهم يحتجُّون بزيادة (أصبحت ولي كل مؤمن بعدي)[٢] وهو حديث رواه أحمد وغيره.

وجوابــه من عدة وجــوه: أنَّ الولي غيــر الوالي، فــالأول النصرة، والثاني: الخلافــة، وهو غير مراد بل المراد نصرتــه، ونصرته تجب في زمان النبوة وبعده، وإنَّما أكد على وجوب نصرتــه؛ لأن عليًّا امتنع من قســم الغنائم قبــل قدوم النبــي ﷺ، فوقع فــي عرضه وعــاداه بعض المنافقين، فقام النبي ﷺ خطيبا في خــم، ورد عليهم بذلك، فالحديث وارد على سبب يبيِّن أن المراد موالاته؛ لا ولايته، ولو أراد الخلافة لقال: أصبحت والي كل مؤمن بعدي.

وثانيًا: أن البعدية هنا بمعنى الاستثناء لا بعدية الزمان؛ لأنَّه لا معنى لبعدية الزمان لما تقرر من وجوب موالاة علــي في زمان النبوة وبعده، فمعنى بعدي أي: غيري وسواي، أي: أصبحت وليًّا لكل مؤمن سواي؛ لأن النبي يوالى ولا يوالي.

وعلى التسليم أن البعدية يراد بها الزمانيَّة فهي مطلقة، ولم يعين أن المراد بعد موته مباشــرة بل البعدية الزمانية تتَّســع لــكل ما كان بعده مباشــرة، أو بعده في الأزمان الأخرى، فإن قدِّر أن المراد بعدية الزمان فالمعنى: إذا بويع لعلي بالولاية، وجبت بيعته سواء كانت بعد النبي أو

(١) تفسير المنار (٦/٣٨٥).

(٢) رواه أحمد (١٩٩٢٨): وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في المناقب (٣٧١٢): وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في الخصائص (٨٤٢٠)، عن عمران بن حصين.



بعد من بعده، وأهل السُّنَّة قد بايعوا عليًّا بالخلافة ولوه بعد عثمان، وعملوا بالحديث.

يقول العلامة السيِّد مُحَمَّد رشيد رضا: «إننا نجزم بأنَّ مسألة الإمامة؛ لو كان فيها نصٌّ من القرآن أو الحديث لتواتر واستفاض، ولم يقع فيها ما وقع من الخلاف، ولتصدَّى عليٌّ للقيام بأمر المسلمين يوم وفاة النبي ﷺ، فخطبهم وذكرهم بالنص، وبيَّن لهم ما يحسن بيانه في ذلك الوقت، وكان هو الواجب عليه لو كان يعتقد أنه الإمام بعد رسول الله ﷺ بأمر من الله ورسوله، ولكنَّه لم يقل ذلك، ولا احتج بالآية[1] هو ولا أحد من آل بيته وأنصاره الَّذين يفضِّلونه على غيره، لا يوم السقيفة، ولا يوم الشورى بعد عمر، ولا قبل ذلك، ولا بعده في زمنه، وهو هو الَّذي كان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولم يعرف التَّقيَّة في قول ولا عمل؛ وإنَّما وجدت هذه المسائل، ووضعت لها الروايات، واستُنْبطت الدلائل بعد تكوُّن الفِرَق، وعصبية المذاهب!

لو أراد النبي ﷺ النصَّ على خليفته من بعده، وتبليغ ذلك للناس، لقاله في خطبته في حجَّة الوداع، وهي الَّتي استشهد النَّاس فيها على تبليغه فشهدوا، وأشهد الله على ذلك!

وأما الحديث فنهتدي به، نوالي عليًّا المرتضى، ونُوالي من والاهم، ونعادي من عاداهم، ونعد ذلك كموالاة رسول الله ﷺ وعلى آله، ونؤمن بأن عترته ﷺ لا تجتمع على مفارقة الكتاب الَّذي أنزله الله عليه، وأنَّ الكتاب والعترة خليفتا الرسول، فقد صحَّ الحديث بذلك في غير قصة

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. فقد ذكروا أنها نزلت في الوصية على إمامة علي رضي الله عنه.



الغدير، فإذا أجمعوا على أمر قبلناه واتبعناه، وإذا تنازعوا في أمر رددناه إلى الله والرسول»[١].

حديث الاثني عشر أميرًا:

ومن ذلك استدلالهم بحديث الاثني عشر أميرًا الوارد في الصحيحين، فإذ لم يجدوا دليلًا قويًّا من القرآن الكريم لمسألة الولاية، فقد لجؤوا إلى كتب الحديث عند أهل السُّـنَّة، لينقبوا فيها عن دليل يسند حُجَّتَهُم، حتَّى رأوا حديث النبيِّ ﷺ: «**يكون اثنا عشر أميرًا، كلهم من قريش**».

فزعم القوم أنَّ في كتب أهل السُّنَّة ما يدلُّ على إمامة أئمَّتهم الاثني عشر، مستدلين بهذا الحديث.

والحديث في الصحيحين من رواية جابر بن سمرة رضي الله عنه[٢].

وفي لفظ له أيضًا: «**لا يزال أمر النَّاس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا**»[٣].

وفي لفظ له أيضًا: «**لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة**»[٤].

وفي لفظ آخر: «**لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة**»[٥].

فيزعمون أن هذه الروايات المراد بها الأئمَّة الاثنا عشر عليهم السلام المقصودون عند الإماميَّة.

---

(١) تفسير المنار (٦/٣٨٦)، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧٢٢٢)، ومسلم في الإمارة (١٨٢١)، عن جابر بن سمرة.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢١) (٦).

(٤) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢١) (٧).

(٥) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢١) (٩).



ولقد تكلم علماء الحديث في بيان هذا الحديث، والجمع بينه وبين غيره من الأحاديث، بما يبيِّن فهم هؤلاء الشِّيعة القاصر، وزعمهم الباطل، وأنَّه لا علاقة لهؤلاء المذكورين في الحديث بما يعتقده الشِّيعة في أئمَّتهم.

مناقشة معنى الحديث مع فهم الشِّيعة الاثني عشريَّة:

ومما يقضي ببطلان زعمهم من ناحية الشرع: أن تفسيرهم لهذا الحديث بأن المراد به أئمَّتهم، يناقض قول النبي ﷺ: «**خير النَّاس قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم**»[1]. وقد رواه عدد من الصحابة.

وبالنظر لنصوص الأحاديث من ناحية التاريخ: نجد أن الدين في زمن هؤلاء الأئمَّة الاثني عشر الواردين في الحديث، يكون عزيزًا منيعًا، وأن الأمَّة تجتمع عليهم، ويكون أمرهم ماضيًا.

وبالنظر لمعتقد الشِّيعة في عدم إقرارهم بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان، يلزم أن الدين لم يكن قائمًا ولا عزيزًا زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وهذا من أبلغ المناقضة للتاريخ. كما يعني أن الأمَّة كانت متفرقة بعد النبي ﷺ إلى زمن علي رضي الله عنه؛ وهو الخليفة الأوَّل عندهم، وهذا أيضًا مناقض للتاريخ.

كما أن جميع من نصُّوا على إمامته لم تجتمع عليه الأمَّة، ولم يكن منهم خليفة إلا عليًّا والحسن رضي الله عنهما، وهذا يقضي ببطلان زعمهم تاريخيًّا، على أنَّ الحسن تنازل عن خلافته راضيًا لمعاوية، ليحقن دماء الأمة كلها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥٢)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٣)، عن ابن مسعود.



وجاء في هذا الحديث الصحيح، عن الحسن: «**إن ابني هذا سيِّد، ولعل الله أن يصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسـلمين**»[(١)]. فإسقاطهم هذه الأحاديث على معتقدهم في الإمامة، مخالف للشرع والتاريخ.

وقد توسَّع الشـراح في تحديد أعيان هؤلاء الاثني عشر باجتهادهم؛ وإن لم يثبت ذلك من وجه صحيح[(٢)].

الاستدلال على الإمامة بما ورد من خلاف عليّ وفاطمة لأبي بكر رضي الله عنهم أجمعين:

كما يزعم الشِّيعة أن كتب السنة تشـهد لهم بما ادَّعوه من اغتصاب الخليفتين أبي بكر وعمر لحقِّ علي رضي الله عنهم أجمعين، وأن مبايعة علي رضي الله عنه للخليفتين تمَّت قهرًا وجبرًا! مستدلين على زعمهم الباطل بما روته كتب السنة من الخلاف الَّذي وقع بين أبي بكر رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها، حول أرض فَدَك بخيبر.

وبداية يجب أن نعلم أن الصحابة رضـوان الله عليهم خيرَ القرون، أحبَّ بعضهم بعضًا، وآثر بعضهم بعضًا، كما قالت آية سـورة الحشـر: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشـر: ٩]. ولـم يكن هناك خلاف كبير بيـن آل بيت النبي ﷺ وعموم صحابتـه في الصدر الأول؛ وليس أدل علـى ذلك من المصاهرة الَّتي تمت بينهم، وتسـمية أبنائهم بأسماء الكبار العظماء منهم.

---

(١) رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، عن أبي بكرة.

(٢) انظر: منهاج السـنة لابن تيمية (٢٤١/٨)، وتفسـير ابن كثيـر (٦٥/٣، ٦٦)، وإكمال المعلم (٢١٦/٦)، تحقيق د. يحيى إسـماعيل، نشـر دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، وفتح الباري لابن حجر (٢١٢/١٣ ـ ٢١٥).



الحب والمودَّة بين الخلفاء الراشدين وآل البيت:

إنَّ من محبَّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لإخوانه الثلاثة الخلفاء قبله، أنْ سمَّى أبناءَه بعد الحسنين وابن الحنفيَّة بأسمائهم، فمن أولاد علي بن أبي طالب ولد سمَّاه «أبا بكر»، وآخر سمَّاه «عمر»، وثالث سمَّاه «عثمان»، وزوَّج ابنته أم كلثوم الكبرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد شهادته تزوجها ابن عمها مُحَمَّد بن جعفر بن أبي طالب، فمات عنها، فتزوجها أخوه عون بن جعفر فماتت عنده.

وعبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن أبي طالب سمَّى أحد بنيه باسم أبي بكر، وسمّى ابنًا آخر له باسم «معاوية»[1].

وما حصل بين أبي بكر وعلي وفاطمة رضي الله عنهم، ليس خلافًا عقديًّا؛ وإنَّما هو اختلاف في فهم الأمور، وهو من طبيعة البشر، وهو من الاختلاف الَّذي جعله الله بين النَّاس.

ومختصر هذا الخلاف كما رُوي في الصحيحين، عن عائشة أن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم أرسلت إلى أبي بكرٍ تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ممَّا أفاء الله عليه بالمدينة و«فدك»، وما بقي من خمس «خيبر». فقال أبو بكرٍ: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا نُورث، ما تركنا صدقةٌ؛ إنَّما يأكل آل محمدٍ في هذا المال**». وإني والله لا أغيِّر شيئًا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها، الَّتي كان عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فأبى أبو بكرٍ أن يدفع إلى فاطمة منها شيئًا، فوجَدَت فاطمة على أبي بكرٍ في ذلك، فهجرته، فلم تكلمه حتَّى تُوُفِّيت، وعاشت بعد

---

(١) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب صـ٣٩.



النبي ﷺ ستة أشــهرٍ، فلما تُوفِّيت دفنها زوجها عليٌّ ليلًا، ولم يُؤْذن بها أبا بكرٍ، وصَلَّى عليها.

وكان لعليٍّ من النَّاس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلما تُوفِّيت اســتنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكــرٍ ومبايعتَه، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكرٍ أن ائتنا ولا يأتنا أحدٌ معك. كراهيةً لمحضر عمر. فقــال عمر: لا والله لا تدخــل عليهم وحدك. فقــال أبو بكرٍ: وما عسيتهم أن يفعلوا بي؟ والله لآتينَّهم. فدخل عليهم أبو بكرٍ، فتشهَّد عليٌّ فقال: إنا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله ﷺ نصيبًا! حتَّى فاضت عينا أبي بكرٍ.

فلما تكلَّم أبو بكرٍ قال: والَّذي نفســي بيده، لقرابة رســول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الَّذي شــجر بيني وبينكم من هذه الأموال؛ فلــم آل فيها عن الخيــر، ولم أترك أمرًا رأيت رســول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال عليٌّ لأبي بكرٍ: موعدك العشية للبيعة. فلما صلَّى أبو بكرٍ الظهر رقي على المنبر، فتشهد، وذكر شأن عليّ، وتخلفه عن البيعة، وعذره بالذي اعتذر إليه، ثمَّ استغفر!

وتشــهَّد علي، فعظَّم حقَّ أبي بكرٍ، وحدث أنه لم يحمله على الَّذي صنع نفاســةٌ على أبي بكرٍ، ولا إنكارٌ للذي فضَّله الله به، ولكنا نرى لنا في هذا الأمر نصيبًا، فاستبدَّ علينا، فوجدنا في أنفسنا.

فسُــرّ بذلك المســلمون، وقالوا: أصبت، وكان المسلمون إلى عليٍّ قريبًا حين راجع الأمر المعروف(١).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٤٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٩)، عن عائشة.



وقد أخذ الشِّيعة من هذا الحديث أمرين، بنوا عليهما مزاعم باطلة:

أولهما: غضب فاطمة رضي الله عنها على أبي بكر.

والثاني: تأخر عليّ رضي الله عنه عن البيعة لأبي بكر.

وإن كان الحديث يبيِّن ما كان بين الصحابة من مودة، واعتراف كل منهم بفضل الآخر.

يقول القرطبي في المُفهم: «وقد جرى بينهما ـ أي بين علي وأبي بكر ـ في هذا المجلس من المحاورة والمكالمة والإنصاف ما يدل على معرفة بعضهم بفضل بعض، وأنَّ قلوبهم متَّفقة على احترام بعضهم لبعض، ومحبَّة بعضهم لبعضٍ ما يَشْرَقُ به الرافضيُّ اللعين، وتُشْرقُ به قلوب أهل الدِّين»[١].

ويقول ابن حجر: «وقد تمسَّك الرافضة بتأخُّر عليٍّ عن بيعة أبي بكر إلى أن ماتت فاطمة، وهذيانهم في ذلك مشهور، وفي هذا الحديث ما يدفع في حجتهم»[٢].

غضب فاطمة رضي الله عنها وهجرانها لأبي بكر:

يحتج الشِّيعة بحديث: «**يغضبني ما أغضبها**»[٣] ويزعمون أنَّ أبا بكر أغضبها رضي الله عنها، وعلى التنزل أنَّها غضبت، يقال: إنَّما غضبت لقضيَّة الميراث، ومع أبي بكر شرع زائد لم تعلم به، وهو أنَّ النبيَّ لا يورث،

---

(١) المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأبي العباس القرطبي (٣/٥٧٠ ـ ٥٧١)، نشر دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧/٤٩٥)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) رواه الطبراني (٢٢/٤٠٥).

فقد تعارض غضبها المستند إلى عدم علمها بالشرع الزائد، مع شرع الله الزائد، فهل ينفذ أبو بكر شرع الله أم يرد شرع الله ويسترضيها؟ ولا ريب أن شرع الله مقدَّم على قول كل أحد، ولهذا قال زيد بن علي زين العابدين: «لو كنت أنا لقضيت بما قضى به أبو بكر»[١]. ولما تفطَّنت السيدة فاطمة لهذا رضيت بعد أن استرضاها أبو بكر، وسلمت له.

وأما هجران فاطمة رضي الله عنها لأبي بكر، فليس هو الهجران المُحرَّم. قال العلامة بدر الدين العيني رحمه الله: «ومعنى هجرانها: انقباضها عن لقائه، وعدم الانبساط؛ لا الهجران المُحرَّم مِن ترك السلام، ونحوه»[٢].

وقال المهلب: إنَّما كان هجرها انقباضًا عن لقائه، وترك مواصلته، وليس هذا من الهجران المُحرَّم، وأما المُحرَّم من ذلك: أن يلتقيا، فلا يسلِّم أحدهما على صاحبه، ولم يَروِ أحدٌ أنهما التقيا وامتنعا من التَّسليم، ولو فعلا ذلك: لم يكونا متهاجرَيْن، إلا أن تكون النفوس مُظْهِرة للعداوة والهجران، وإنَّما لازمت بيتها، فعبَّر الراوي عن ذلك بالهجران»[٣].

تأخر علي رضي الله عنه عن البيعة:

وأمَّا تأخر عليّ رضي الله عنه عن البيعة، فقد ذكر علي رضي الله عنه السبب في ذلك، واعتذر أبو بكر عنه، وهذا لا يقدح في البيعة، ولا في عليٍّ رضي الله عنه.

وقد وضح الإمام النووي رحمه الله تعالى هذا الأمر فقال: «ومع هذا: فتأخره ليس بقادح في البيعة، ولا فيه. أما البيعة: فقد اتفق العلماء على أنه

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٢٣١/٤).

(٢) عمدة القاري للعيني (٢٥٨/١٧)، نشر دار إحياء التراث، بيروت.

(٣) عمدة القاري للعيني (٢٠/١٥).



لا يشــترط لصحتها مبايعة كل الناس، ولا كل أهل الحل والعقد، وإنَّما يشترط مبايعة من تيسَّر إجماعهم من العلماء والرؤساء ووجوه الناس.

وأما عدم القدح فيــه: فلأنَّه لا يجب على كل واحــد أن يأتي إلى الإمام فيضع يده في يده ويبايعه، وإنَّما يلزمه إذا عقد أهل الحل والعقد للإمام الانقياد له، وألَّا يظهر خلافًا، ولا يشــق العصا، وهكذا كان شأن عليٍّ رضي الله عنه في تلــك المدة الَّتي قبل بيعته، فإنَّه لــم يُظْهِر على أبي بكر خلافًا، ولا شــق العصا، ولكنَّه تأخَّر عن الحضور عنده للعذر المذكور في الحديث.

ولم يكن انعقاد البيعة وانبرامها متوقِّفًا على حضوره، فلم يَجب عليه الحضور لذلك، ولا لغيره، فلما لم يجب: لم يحضر، وما نُقل عنه قدحٌ في البيعة، ولا مخالفة، ولكن بقي في نفسه عتب، فتأخر حضوره إلى أن زال العتب، وكان سبب العتب: أنه ـ مع وجاهته، وفضيلته في نفسه في كل شــيء، وقربه من النبي ﷺ، وغير ذلك ـ رأى أنه لا يُسْتَبَد بأمر إلا بمشُورته وحضوره.

وكان عذر أبي بكــر وعمر وســائر الصحابة واضحًــا؛ لأنَّهم رأوا المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين، وخافوا من تأخيرها حصول خلاف ونزاع، تترتَّب عليه مفاســد عظيمة، ولهــذا أخروا دفن النبي ﷺ حتَّى عقدوا البيعة؛ لكونها كانت أهم الأمور، كيلا يقع نزاع في مدفنه أو كفنه، أو غســله أو الصلاة عليــه، أو غير ذلك، وليــس لهم من يفصل الأمور، فرأوا تقدم البيعة أهم الأشياء»[١].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧٧/١٢ ـ ٧٨).



وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكأنَّهم كانوا يعذرونه في التخلف عن أبي بكر في مدة حياة فاطمة، لشغله بها وتمريضها، وتسليتها عما هي فيه من الحزن على أبيها ﷺ؛ ولأنها لما غضبت من رد أبي بكر عليها فيما سألته من الميراث، رأى عليٌّ أن يوافقها في الانقطاع عنه»(١).

هذا ما جرى بين فاطمة وأبي بكر، وعليّ وأبي بكر، رضي الله عنهم جميعًا! فلم يكن تأخر عليّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن البيعة رفضًا للبيعة، ولا كانت بيعته عن قهر وإجبار، بل كانت بيعته بيعة رضا واختيار، على رؤوس الأشهاد.

أخرج البيهقي بسند صحيح من طريق إمام الأئمَّة أبي بكر بن خزيمة بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ واجتمع الناسُ في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيبُ الأنصار فقال: أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين، ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصارُ خليفته كما كنا أنصاره، فقال: فقام عمرُ بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم، وأخذ بيدِ أبي بكر وقال: هذا صاحبكم، فبايعوه فبايعه عمرُ وبايعه المهاجرون والأنصارُ، قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم يَرَ الزبير، قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلتَ: ابن عمَّةِ رسول الله ﷺ وحواريِّه، أردتَ أنْ تشُقَّ عصا المسلمين! فقال: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه، ثُمَّ نظر في وجوه القوم فلم يَرَ عليًّا، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال: قلتَ: ابن عَمِّ رسول الله ﷺ وخَتَنَهُ على ابنته، أردتَ أنْ تشُقَّ عصا المسلمين! قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/٤٩٤).

قال ابن خزيمة: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث، فكتبته له في رقعة وقرأتُه عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة!

فقلت: يسوي بدنة؟! بل هذا يسوي بَدْرَة[١]. وهو نصٌّ في أنَّ عليًا بايع عن رضا.

فلم يكن بين الصحابة رضوان الله عليهم حقد أو تنافس مذموم، فعلي رضي الله عنه يعتذر لأبي بكر، ويعترف له بالخلافة، ويبايع على الملأ، وأبو بكر يزور عليًّا، ويثني عليه، وعلى آل بيت النَّبي ﷺ وقرابته.

فأين ما يدَّعيه الشِّيعة من حقد ولعن، وبغْض، وتقيَّة؟!

كتب الشِّيعة تقر بإقرار عليّ بخلافة أبي بكر وعمر:

وإن من يقرأ كتب الشِّيعة نفسها، يرى إقرار عليٍّ لخلافة الصدِّيق، والفاروق، ومعاونته لهما، رضي الله عنهم أجمعين.

يروي المجلسي بسنده، عن علي رضي الله عنه قال: «فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث، حتَّى زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله هي العليا ولو كره الكافرون! فتولى أبو بكر تلك الأمور، وسدَّد ويسَّر، وقارب واقتصد، فصحبتُه مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدًا، وما طمعت أن لو حدث به حدث وأنا حي أن يرد إليَّ الأمر الَّذي بايعته فيه طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، فلولا خاصَّة ما كان بينه وبين عمر لظننتُ أنَّه لا يدفعها عني. فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه، فسمعنا وأطعنا وناصحنا، وتولى عمر الأمر فكان مرضيَّ السيرة ميمون النقيبة»[٢].

---

(١) رواه البيهقي في قتال أهل البغي (١٤٣/٨).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٥٦٩/٣٣).



الدليل العقلي عند الشِّيعة في مسألة الإمامة:

ولما لم يجدوا في كتاب الله أو سنَّة رسوله دليلًا صريح الدلالة على ما ادَّعوه، لجؤوا إلى محاولة إقناع العقل بما سموه «حججًا» و«براهين» و«مُسلَّمات» عقلية!

والناظر في هذه الأدلَّة الَّتي ساقوها في هذا الشأن يتبيَّن له من أوَّل لحظة وهن ما اعتمدوا عليه، وضعف ما احتجوا به، فهي حجج أوهن من بيت العنكبوت، ولا تصلح أن تكون دليلا عقليًّا يستحيل عقلًا نقضه أو خلافه.

دليل اللطف:

من أهم هذه الأدلَّة العقلية ـ كما سموها ـ في هذا الشأن، هو دليل «اللطف»، ويعتبرونه أقوى الأدلَّة في هذه المسألة، بمعنى أن اللطف واجب على الله ـ تعالى وعز وجل ـ ومن لطفه أن يُبقي في خلقه من يعلِّمهم الدين، بعد خلو الزمان من نبي، ولذا كان وجود الأئمَّة لطفًا واجبًا على الله.

ويرون أنَّ وجود الإمام واجب؛ لأنَّه لطف عام، وإنكاره شرٌّ من إنكار النبوة، وفي هذا يقول الحِلِّي: «الإمامةُ لطفٌ عامٌّ، والنُّبوَّة لطفٌ خاصٌّ؛ لإمكان خلو الزَّمان من نبيٍّ حيٍّ بخلاف الإمام، وإنكار اللَّطف العامِّ شرٌّ من إنكار اللُّطف الخاصِّ»[1].

ومعلوم في عقيدة الشِّيعة أن أوَّل الأئمَّة هو علي رضي الله عنه، وهو ما يعني أن الأمَّة لم تكن في لطف حتَّى جاء عليٌّ رضي الله عنه وتولَّى الخلافة، وهذا قول يناقض التاريخ.

(١) الألفين في إمامة أمير المؤمنين للحلي صـ٢٣، نشر مكتبة الألفين، الكويت، ١٩٨٥م.



«فمن المعلوم بالضرورة أنَّ حال اللطف والمصلحة الَّتي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة، أعظم من اللطف والمصلَحة الَّذي كان في خلافة علي، زمن القتال والفتنة والافتراق، فإذا لم يوجد من يدَّعي الإماميَّة فيه أنه معصوم، وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا عليٌّ وحده، وكان مصلحة المُكلَّفين واللطف الَّذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان، أقل منه في زمن الخلفاء الثلاثة، علم بالضرورة أنَّ ما يدَّعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمَّة المعصومين باطل قطعًا»[1].

وإذا كان وجود الإمام لطفًا ـ كما يقولون ـ فأين اللطف مع غيبة الإمام واختفائه، في هذا العصر وما قبله، فإنَّهم لا ينتفعون به في دين ولا دنيا.

إن الإمامة كما يفهمها هؤلاء لا تحقق لطفًا ولا مصلحة، بل إنَّهم كما يقول ابن تيمية: «أبعد الطوائف عن مصلحة اللطف والإمامة، فإنَّهم يحتالون على مجهول، ومعدوم لا يرى له عين ولا أثر، ولا يسمع له حسٌّ ولا خبر، فلم يحصل لهم من الأمر المقصود بإمامته شيء»[2].

ويقول: «فأي فائدة في إيماننا هذا؟ وأي لطف يحصل لنا بهذا، ثمَّ كيف يجوز أن يكلفنا الله بطاعة شخص، ونحن لا نعلم ما يأمر به، ولا ما ينهانا عنه، ولا طريق لنا إلى معرفة ذلك بوجه من الوجوه؟! وإذا كان كلامنا في ذلك لا يحصل لنا فائدة ولا لطفًا، ولا يفيدنا إلا تكليف ما لا يقدر عليه، علم أنَّ الإيمان بهذا المنتظر من باب الجهل والضلال، لا من باب المصلحة واللطف»[3].

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٣/٣٧٩).

(٢) منهاج السنة لابن تيمية (١/١٠٠).

(٣) منهاج السنة لابن تيمية (١/١٠٢ ـ ١٠٣).

ومن العجيب أنَّ الشِّيعة حين يُواجهون بالسؤال عن اللطف مع غيبة الإمام، تجد إجاباتهم من قبيل ما يُضْحك الثَّكلى، فيعللون اللطف في غيبته بقولهم: «لأنّه يجوِّز المُكلَّف ظهوره كلَّ لحظة، فيمتنع من الإقدام على المعاصي، وبذلك يكون لطفًا»(١).

ويقول ابن ميثم البحراني: «على أنَّ اللطف حاصل لهم في غيبته أيضًا؛ إذ لا يأمن أحدهم إذا همَّ بفعل المعصية أن يظهر الإمام عليه فيوقع به الحدَّ، وهذا القدر كافٍ في باب اللطف»(٢).

ويقول شيخهم الطوسي: «ولطفهم حاصل بالإمام، وإن كان غائبًا، ألا ترى أنَّهم إذا اعتقدوا إمامته، واعتقدوا أنَّهم لا حال من الأحوال إلا ويجوز أن يظهر، ويتمكَّن من التصرف، وتأديب الجناة، وإنصاف المظلومين من الظالمين، فهم يخافون تأديبه وردعه، وإن كان غائبًا... فاللطف حاصل لهم في كل حال»(٣).

يقال: لو قدر أن شيعيًّا همَّ بفعل معصية فتخيَّل أن الإمام مطلع عليه فخاف من الفعل فتركها، فهذا مع كونه يناقض إخلاص التوحيد لله ﷻ، وهو من أوصاف المنافقين الَّذين قال الله فيهم: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ [النساء: ١٠٨]. ففيه أيضًا ما يشهد الحس والواقع بضده، فإن المشاهد أن أكثر الشِّيعة لا يراقبون الإمام؛ بدليل وقوعهم في المعصية، وعدم ارتداعهم عنها، وأيضا فأكثرهم واقعون في

(١) الألفين في إمامة أمير المؤمنين للحلي صـ٦٤.

(٢) قواعد المرام في علم الكلام لابن ميثم البحراني (١٩١)، نشر مكتبة آية الله العظمى النجفي، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

(٣) تلخيص الشافي للطوسي (١٠٣/١).



المعاصي؛ الصغيرة منها والكبيرة، وأقلهم من يمتنع عنها، ومقتضى حصول اللطف بالإمام العكس، وعليه فلم يحصل لهم به لطف مطلقًا، وهذا بخلاف مراقبة الله ﷻ فإن أكثر من يراقبه يرتدع عن المعصية، وله بذلك حسنة، وإن وقع فيها واستغفر غفر له!

فإن قالوا: إن المغفرة حاصلة لشيعتنا أيضا بالاستغفار، قيل: بطلت فائدة اللطف والحال هذه، فصار وجوده وعدمه سواء، فإن قالوا: إن لطفه بمعنى أنه يستشفع للشيعي عند ربه، فتكون المغفرة أدعى له، لزمهم إقامة الدليل النقلي عليه، وإلا كان تحكُّما باطلا، ودعوى مجردة؛ على أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ألا يكفي المكلَّف خوفه من ربه، وإيمانه بنظر الله إليه، وتسجيل الملائكة عليه؟! وإن آيات الوعيد في القرآن كافية لمن كان في قلبه شيء من إيمان!

* * *

فكرة تقديس الأئمَّة عند الشِّيعة

القول بعصمة الأئمَّة عند الشِّيعة:

ذهب الشِّيعة الاثنا عشريَّة إلى القول بعصمة الأئمَّة من الخطأ، كالأنبياء؛ فهم لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا، لما لهم من مقام ومكانة ـ بزعمهم ـ لا يبلغها ملك مقرَّب، ولا نبي مرسل(١).

وروى الكُلَيْني بسنده، عن أبي عبد الله، قال: نحن خُزَّان علم الله، نحن تراجمة أمر الله، نحن قوم معصومون، أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا، ونهى عن معصيتنا، نحن الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض(٢).

ويقول المجلسي في بيان عقيدتهم: «دين الإماميَّة هو الاقرار بتوحيد الله! وأن جميع الأنبياء والرسل والأئمَّة عليهم السلام أفضل من الملائكة، وأنَّهم معصومون مطهرون من كل دنس ورجس، لا يهمُّون بذنب صغير ولا كبير، ولا يرتكبونه، وأنَّهم أمان لأهل الأرض»(٣).

---

(١) انظر: الحكومة الإسلامية للخميني صـ٤٧، تحقيق محمد أحمد الخطيب، نشر دار عمار، الأردن، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) أصول الكافي (١/٢٩٧ ـ ٢٩٨)، كتاب الحجة، باب في أن الأئمة بمن يشبهون ممن مضى وكراهية القول فيهم بالنبوة.

(٣) بحار الأنوار (١٠/٣٩٣).



وهــذه الكلمات القائلــة بالعصمــة تتنافى مع ما فــي الكافي، عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه قال: لا تكفُّوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بِفَوْق مَا أن أُخطئَ، ولا آمن ذلك من فعلي[١].

قال الذهبي في ترجمة أبي جعفر الباقر مُحَمَّد بن علي بن الحسين: وكان أحــد من جمع بيــن العلم والعمل، والســؤدد والشــرف، والثقة والرزانة، وكان أهلًا للخلافة، وهو أحد الأئمَّة الاثني عشر الَّذين تبجلهم الشِّيعة الإماميَّة، وتقول بعصمتهم وبمعرفتهم بجميع الدين.

ثم قال: فلا عصمة إلا للملائكة والنبيين، وكل أحد يصيب ويخطئ، ويؤخذ من قوله ويترك، سوى النبي ﷺ؛ فإنَّه معصوم، مؤيد بالوحي[٢].

كلام الأستاذ أحمد أمين في ضحى الإسلام حول عصمة الأئمَّة:

يقول الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» عند حديثه عن مسألة الإمامة بين الإسلام السني ـ الَّذي هو إسلام الأمة ـ وإسلام الشِّيعة الاثني عشريَّة، تحت عنوان: عصمة الأئمَّة عند الشِّيعة الاثني عشريَّة:

«فأما العصمة فيقصدون منها أن الأئمَّــة كالأنبياء معصومون في كل حياتهــم، ولا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة، ولا تصــدر عنهم أية معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نســيان، ونظر الشِّــيعة فــي ذلك وحججهم نلخصها فيما يأتي:

١ ـ قالوا: إن الَّذي دعا إلى نصــب الإمام هو جواز الخطأ من الأمة، فإذا جاز الخطأ أيضًا من الإمام، لاحتجنا إلى هادٍ آخر، وهو مثله، فيلزم من ذلك التسلسل.

---

(١) روضة الكافي (٢٩٣/٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤٠٢/٤).

وردَّ عليهم خصومُهم بأن الحاجة إلى الإمام ليست هي جواز الخطأ من الأمة؛ بل وظيفته تنفيذ الأحكام، ودرء المفاسد، وحفظ بيْضة الإسلام، ولا حاجة في ذلك إلى العصمة؛ بل يكفي الاجتهاد والعدالة.

٢ ـ واستدلوا أيضًا بأنه حافظ للشريعة، فيلزم أن يكون معصومًا، حتَّى يؤمَن على حفظها، وإلا احتاج إلى حافظ آخر.

وكان جواب خصومهم: أن الإمام ليس هو الحافظ، وإنَّما هو المنفِّذ، وحافظ الشريعة هم العلماء، لقوله تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩]. ولو كان وجود المعصوم ضروريًّا لوجب أن يكون في كل قطرٍ، بل في كل بلدة؛ إذ الواحد لا يكفي للجميع، لانتشار المكلَّفين في الأقطار، ونصب نائب عنه لا يفيد؛ لأن النائب غير معصوم.

وممَّا ردُّوا به عليهم أيضًا: ما رُوي عن عليٍّ في «الكافي» أنه قال لأصحابه: «لا تكفُّوا عن مقالةٍ بحق، أو مشورةٍ بعدل؛ فإني لستُ آمن أن أخطئ»[1]. وما رُوِي أن الحسين كان يُظهر الكراهة من صُلْح أخيه الحسن مع معاوية ويقول: «لو جُزَّ أنفي كان أحب إليَّ ممَّا فعله أخي»[2]. إلى آخر ما قالوا[3].

وهذه العقيدة بعصمة الأئمَّة غريبة حقًّا على الإسلام، فلم نعرف هذا الموضوع أثير في عهد النبي ﷺ، ولا صدر الإسلام؛ بل ولا نعرف وصفًا للعصمة أُسند إلى الأنبياء في هذا العصر.

(١) روضة الكافي (٢٩٣/٨).

(٢) مختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي صـ١٢١.

(٣) ضحى الإسلام لأحمد أمين (٢٢٤/٣).



وروح القرآن الكريم لا يُفهم منها دعوى العصمة لأحد من الناس، وفي القرآن: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، وموسى وَكَزَ الرجل فقتله: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾ [القصص: ١٥]، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وفي القرآن قصة سليمان: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۞ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص: ٣١، ٣٢]، ويونس: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ونبينا يقول الله له: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، ويقول له: ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ويقوله له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣]، وعاتبه بقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۞ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٣]، ويعترف القرآن للنبي بذنوب غفرها الله له: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧]، ويؤكد رسول الله في القرآن أنه بشر: ﴿هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فمفهوم هذه الآيات واضح، وهي لا تتفق مطلقًا مع ما يدعيه الشِّيعة لعصمة أئمَّتهم، فإذا كان هذا ما قصه الله عن الأنبياء، فكيف يرقى الأئمَّة منزلة فوق منزلة الأنبياء؟!

وفكرة العصمة للأئمة بعيدة عن الإسلام وتعاليمه، كما أنَّها بعيدة عن الطبائع البشرية الَّتي رُكِّبت فيها الشهوات، ورُكِّب فيها الخير والشر، ومُزجت فيها الميول المتعاكسة، وفضيلة الإنسان الراقي ليس في أنه معصوم؛ بل في أنه قادر على الخير والشر، وينجذب إليهما، وهو في أكثر الأحيان ينجذب إلى الخير، ويدفع الشر، أما الطبيعة المعصومة، فطبيعة الملائكة الَّذين ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، لا طبيعة الإنسان الَّذي لو فقد شهوته لفقد حيويته.



ويعجبني في ذلك قول الغزالي في التوبة: «وليس في الوجود آدمي إلا وشــهوته ســابقة على عقله، وغريزته الَّتي هي عُدّة الشيطان متقدمة على غريزته الَّتي هي عدة الملائكة، فكان الرجوع عما ســبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريًّا في حق كل إنسان، نبيًّا كان أو غبيًّا، فلا تظن أن هذه الضرورة اختُصَّت بآدم عليه السلام[1].

وقد قيل:

فلا تحسبَنْ هِنْدًا لها الغَدْرُ وَحْدَها   سَــجِيَّةُ نَفْسٍ، كلُّ غَانِيَــةٍ هِنْدُ[2]

بل هو حكم أزلي مكتوبٌ على جنس الإنس، لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدَّل السُّــنة الإلهيَّة الَّتي لا مطمع في تبديلها! فكل بشر لا يخلو من معصية بجوارحــه؛ إذا لم يخل عنــه الأنبياء، كمــا ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم.

فإن خــلا في بعض الأحوال عــن معصية الجــوارح، فلا يخلو عن وسواس الشيطان؛ بإيراد الخواطر المتفرِّقة المذهلة عن ذكر الله، فإن خلا عنــه، فلا يخلو عــن غفلة وقصور فــي العلم بــالله وصفاتــه وأفعاله! ولا يُتصوَّر الخلوُّ في حق الآدمي عن هذا النقــص، وإنَّما يتفاوتون في المقادير؛ فأما الأصل فلا بد منه؛ ولهذا قال عليه السلام: «**إنَّه لَيغانُ على قلبي، وإنّي لأستغفرُ الله، في اليوم مائة مرَّة**»[3]»[4].

---

(١) ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

(٢) من شــعر أبي تمام انظر: ديوانه بشــرح الشــنتمري (٥٠٧/١)، تحقيق إبراهيم نادن، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٨٢٩١)، عن الأغر المزني.

(٤) إحياء علوم الدين (٩/٤ ـ ١٠).



نقد مبدأ العصمة عند الشِّيعة الإماميَّة:

١ ـ وعصمة الأئمَّة من المعصية، بل من الخطأ والنسيان، وأنَّهم في ذلك كالأنبياء، لا يخطئون عمدًا ولا سهوًا ولا نسيانًا، لما لهم من مقام ومكانة بزعمهم، هو أمر متَّفقٌ عليه عندهم، لا يخالف فيه مخالف.

يقول المجلسي في «بحار الأنوار»: «اعلم أنّ الإماميّة اتّفقوا على عصمة الأئمّة عليهم السلام من الذّنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلًا، لا عمدًا، ولا نسيانًا، ولا لخطأ في التّأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلا الصدوقُ مُحَمَّد بن بابويه، وشيخُه ابن الوليد رحمة الله عليهما، فإنَّهما جوَّزا الإسهاء من الله تعالى لمصلحة في غير ما يتعلق بالتبليغ وبيان الأحكام، لا السهو الَّذي يكون من الشيطان»[1].

٢ ـ لا عصمة عندنا أهلَ السنة والجماعة إلا للأنبياء، وليس لأحد بعد الأنبياء أن يدعي العصمة، فـ «**كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون**»[2].

والإمام أو الحاكم في الإسلام الصحيح الَّذي نعرفه، والَّذي تلقيناه من كتاب ربنا وسنة نبينا، وأقوال الصحابة ومن بعدهم من الفقهاء والمحدثين والأئمَّة؛ مجرد فرد من الناس، «ولد كما يولد النَّاس ـ كما قال الأستاذ أحمد أمين ـ وتعلم أو جهل كما يتعلم النَّاس أو كما يجهل الناس، ليس له من مزية، إلا أن كفايته وأخلاقه جعلت النَّاس يختارونه،

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٢٠٩/٢٥).

(٢) رواه أحمد (١٣٠٤٩): وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال: حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

أو أنه تلقى الخلافة ممن قبله، ليس له عصمة ولا قداسة، ليس يتلقى وحيًا، وليس له سلطة روحية، إنَّما هو منفذ للقانون الإسلامي، وقد ينحرف عن التنفيذ فلا طاعة له على الناس، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس له أن يُشرِّع إلا في حدود القوانين الإسلاميَّة، وإلا فتشريعه باطل. ثمَّ قد يجور وقد يعدل، وقد يتهتك ويشرب الخمر فيكون عاصيًا. والمؤرِّخون أحرار في تشريحه كتشريح كل الناس، ويزنونه بنفس الموازين الَّتي توزن بها أعمال الناس، وإن انحرف واستطاعوا عزله عزلوه[١].

وقد قال الخليفة الأوَّل والصاحب الأوَّل والصديق الأوَّل أبو بكر: إنِّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فقوِّموني، القوي فيكم ضعيف عندي حتَّى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قوي حتَّى آخذ الحق له، أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم[٢].

وكما قال عمر بن عبد العزيز: إنَّما أنا واحد منكم، غير أن الله تعالى جعلني أثقلكم حملًا[٣].

٣ ـ إنَّ مفهوم عصمة الأئمَّة يتنافى مع مفهوم أهل السُّنَّة بعصمة الأمة، يقول الشيخ موسى جار الله: «وعقيدة عصمة الأئمَّة قد بناها الشِّيعة على حرمان الأمة من عقل عاصم، ومن إيمان هادٍ، فإن الأمة إن كان لها

(١) انظر: ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين (٢٣٠/٣، ٢٣١).
(٢) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٦١/٢)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر دار إحياء التراث العربي، وابن كثير في البداية والنهاية (٨٩/٨، ٩٠)، وصحح إسناده.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٤٠/٥)، والدارمي في المقدمة (٤٣٣).



عقل يعصمها، وإيمان يهديها؛ فهي بالغة رشيدة راشدة، خرجت عن الوضيعة، وكبرت عن طوق الشِّيعة.

ولأجل ذلك عرضتُ للشيعة هذا السؤال: الأمة أو الأئمَّة؟

فإن قالت الشِّيعة بعصمة الأئمَّة، فأنا أقول بعصمة الأمة؛ إذ لا حكمة للدين ولا مصلحة للأمة في مجرد عصمة الأئمَّة، فإن الأمة إن لم يكن لها عقل يعصمها، وإيمان يهديها، وقوة تحميها، فلا وجود للأمة.

وعصمة إمامٍ حيٍّ ظاهر، أو عصمة إمام قد اختفى في سرداب، أو في إحدى الجزائر، لا تغني الأُمَّة في شيء، ولا تغنيها عن شيء، وعقيدة عصمة الأئمَّة تضطر الأمة إلى أقوال كلها مستحيلة، والأمة مستغنية عنها بكل وسيلة وبكل حيلة»[1].

وهو كلام صحيح؛ فالشيعة يحتجون ـ ضمن ما يحتجون به ـ على وجوب عصمة الأئمَّة بعدم عصمة الناس، فهم يحتاجون إلى من يرشدهم، ويدلهم على الطريق السوي، وأنَّه لولا وجود الإمام المعصوم لضلت الأمة.

والحق أن الأمة مستغنية عن عقيدة عصمة الأئمَّة؛ بكتاب الله المحفوظ من كل تغيير وتبديل، بضمان الله تعالى ووعده الَّذي لا يخلف: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

ثم هي مستغنية بالسُّنَّة النبويَّة الصحيحة، المنقولة لنا خلفًا عن سلف، بالسند المتصل بالثقات العدول إلى رسول الله ﷺ.

(١) مقدمة الوشيعة في نقد عقائد الشيعة (ث ـ خ).



ثم هي مستغنية بعصمة الله لها من الخطأ، كما في الحديث: «**إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة**»[1]. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدلًا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والذي يتدبر القرآن يجد الأمة مشاركة لنبيها في كثير من النعم الَّتي أنعمها الله عليه، وفي كثير من الفضائل الَّتي تفضل الله بها عليه:

فالأمة شريكة لنبيها في كل كمال كان له في حياته، ثمَّ ورثته بعد مماته ـ كما يقول موسى جار الله ـ وكل فضل وكل نعمة ذكرها القرآن لنبيه فقد ذكرها لأمته، فقد قال سبحانه لنبيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال عن أمته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال لنبيه: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢]، وقال لأمته: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: ٣]، وقال عن النبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وخاطب أمته فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

---

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، وضعفه النووي في شرح مسلم (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان، عن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه، وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رَحِمَهُ الله: في تخريج المختصر، حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح لكنه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظًا حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب والمضطرب من أقسام الضعيف، وقال السخاوي في المقاصد صـ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.



وقد أشـــرك الله الأمة مع نبيها فـــي آية أركان الإيمان الســـتة، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأشركها معه في الشـــهادة على الأمم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد أخبـــر الله أن هذه الأمة مصطفـــاة من بين الأمـــم، وأنها وارثة الكتـــاب، فقـــال: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

أسباب إسباغ العصمة لأئمة الشِّيعة:

ولكن خلفاء «أهل السُّـــنَّة» لم تُســـبغ عليهم العصمة، وأئمة الشِّيعة أسبغت عليهم العصمة، ويعدِّد الأستاذ أحمد أمين أسباب ذلك في:

١ ـ أن الخلفاء من عهد أبي بكر وعمر ثمَّ الأمويين والعباســـيين قد تسلَّموا زمام الحكم، وباشروا سياسة الرعيَّة فعلًا، ومباشرة الحكم ـ من جهة ـ تعرض الحاكم للعمل، فإذا عمل تعرَّض للخطأ والصواب، وكل ما في الأمر أن الأشخاص الحاكمين يختلفون؛ فبعضهم صوابه أكثر من خطئه، وبعضهم خطؤه أكثر من صوابه، وليس مـــن الممكن في طبيعة الحكام أن يصيبوا دائمًا!

ومن جهة أخـــرى فتصرفاتهـــم اليوميَّـــة؛ حتَّى غيـــر ما يتعلق منها بالحكم: ظاهرة للخاصة، منقولة على ألســـنتهم للعامَّـــة؛ ولذلك عرفنا منهم مـــن كان يشـــرب الخمر، ومن كان لا يشـــرب، ومـــن كان يحب



الجواري، ومـــن كان لا يحب، ومـــن كان يُغني أو يحـــب الغناء، ومن لا يغني، ومن لا يميل للغناء. على الجملة عرفنـــا كل تفاصيل حياتهم بمحاسنها ومساوئها، وصوابها وخطئها، ومحال أن تُدعى العصمة لهؤلاء بعد ذلك.

أما أئمَّة الشِّيعة فلم يتولَّوُا الحكم إلا أيامًا قليلة، في عهد عليٍّ كانت أيَّام حرب وعدم اســتقرار، والأئمَّة بعد ذلك لم يتعرضوا للحكم، ولم يتعرضوا للجمهور، فلم تُجرَّب أعمالهم، ولم تظهر تصرفاتهم! ويضاف إلى ذلك أنَّهـــم مُضْطهَـــدُون اضطهادًا مســتمرًّا من الـــولاة والخلفاء، وعواطف النَّاس دائمًا مع المُضطهَد المظلوم، وهي على عكس ذلك مع المضطهِد ومن يتولَّى الحكم:

إنَّ نصفَ النَّـــاس أعداءٌ لِمَنْ وَلِيَ الأحكامَ هذا إنْ عَدَلْ(1)

فدعوى عصمتهم تجد مرتعًا خصيبًا، يســـاعد عليها تستُّر الأئمَّة، وأحيانًا غيبتهـــم، فهم لـــم يتعرَّضوا للحكـــم حتَّى يُخْتَبَـــروا وتظهر أعمالهم، إنَّهم أحيطـــوا بجو خفاء وغموض، يهيِّئـــان النفوس لقبول دعوى العصمة. ولو ادُّعِيت العصمة لبني أميَّة والعباس؛ لكانت مهزلة تُقابَل بالضحك والاستخفاف.

٢ ـ وســـبب آخر وهو أنَّ أكثـــر من كان يحيط بالخلفـــاء في الصدر الأوَّل والعهد الأموي من العـــرب، والعرب أمـــة ديمقراطية، تنظر إلى الخليفة نظرهم إلى أحدهم، لا يمتاز عنهم كثيرًا، بل منهم من كان يغلو في الديمقراطية أيَّام النبيِّ نفســـه، فكان القرآن يَحُـــدُّ من هذا الغلو في

(١) نسبه العاملي في الكشكول إلى ابن الوردي (٢٣٤/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.



الديمقراطية، ويقول لهم: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات: ٢].

وهـذه الديمقراطية الغالية أحيانًا، والمعتدلة أحيانًا، يستحيل أن تنمو فيها بذرة دعوة إلى عصمة، أما التشيُّع فكان حوله ـ خصوصًا في آخر العهد الأموي والعهد العباسي ـ كثيرٌ من الفرس، رُبُّوا على أرستقراطية الملوك، وورثوا عن آبائهم نظرة التقديس لملوكهم، وسمَّى العرب هذه النزعة كِسْروية، نسبة إلى كسرى ملك الفرس؛ لأنَّهم لا يعرفونها بين العرب.

قال الثعالبي النيسابوري في كتابه «المضاف والمنسوب» بعد أن ذكر عدل كسرى أنوشروان: «فأما سائر الأكاسرة، فإنَّهم كانوا ظلمة فجرة، يستعبدون الأحرار، ويُجْرُون الرعيَّة مُجْرى الأُجَراء والعبيد والإماء، فلا يقيمون لهم وزنًا، ويستأثرون عليهم حتَّى بأطايب الأطعمة والثياب الحسنة، والمراكب، والنساء الحسان، والدور السَّرية، ومحاسن الآداب، فلا يجترئ أحد من الرعايا أن يطبخ سِكْبَاجًا، ويلبس ديباجًا، أو يؤدِّب ولده، أو يمُد إلى مروءة يده، وكانوا يبنون أمورهم على معنى قول عمرو بن مسعدة للمأمون: «مِلْك ما يصلح للمولى على العبدِ حرام»[1]. مثل هذه النَّزعة، ولهذه الحالة النفسية وغلبة العبوديَّة؛ يمكن أن تثمر فيها دعوى العصمة.

ويظهر أن دعوى العصمة لم يكن يعرفها الأئمَّة الأوَّلون، فقد روينا قبلُ قول علي في المشورة؛ لأنَّه لا يؤمَن الخطأ من نفسه، وروينا تخطئة الحسين للحسن في صلحه مع معاوية.

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب صـ١٧٩، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

إنَّما وُجِد القول بالعصمة من غلاة الشِّيعة أولًا، ولم يكن يسلِّم به الأئمَّة الأولون، ثمَّ زاد القول في آخر الدولة الأُمَوِيَّة.

وكانت العصمة مسلكًا من مسالك الدعوة لآل البيت، وتحريضًا للناس على الثورة ضد الظالمين من الأمويِّين.

ويتَّصل بهذه العصمة قولهم بأن الأئمَّة وسطاء بين الله والناس وشفعاء، وأن الاعتقاد فيهم كافٍ في محو السيئات ورفع الدرجات. روى ابن بابويه القُمِّي عن الفضل بن عمرو، قال: «قلت لأبي عبد الله: لِمَ صار عليٌّ قسيم الجنَّة والنار؟ قال: لأن حبَّه إيمانٌ وبغضَه كفر، وإنَّما خُلقت الجنَّة لأهل الإيمان، والنار لأهل الكفر، فهو قسيم الجنَّة والنار، لا يَدخل الجنَّة إلا محبُّوه، ولا يدخل النار إلا مبغضوه».

«وكتب الشِّيعة مملوءة بالأحاديث والأخبار الدالَّة على هذا المبدأ، وفيه هدم لمبدأ الإسلام الجميل؛ وهو مسؤوليَّة الإنسان، وأن قيمة كل إنسان عمله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وأنَّ كائنًا من كان ـ حتَّى الأنبياء ـ لا يُغْنون عن أحدٍ شيئًا ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجن: ٢١].

ففي الاعتقاد بأنَّ الحبَّ لآل البيت والأئمَّة غَناءٌ: إهدارُ ركنٍ من أعظم أركان الإسلام، وهو المطالبة بالعمل الصَّالح وارتباط الثواب به، والنهي عن العمل السيئ وارتباط العقوبه به، إذ يكفي حبُّ آل البيت، ثمَّ ترتفع التكاليف.



لقد دخل على المسلمين من جرَّاء العصمة والمبالَغة في الشفاعة ضرر كبير، ولم يقتصر الضَّرر على الشِّيعة؛ إذ تَسرَّبت تعاليمهم إلى غيرهم من الفرق الأخرى الإسلاميَّة:

فكان السنيُّون إذا رأوا الشِّيعة ينسبون عملًا وفضلًا لإمام، نسبوا مثله للأنبياء على الأقل، فغلا بعضهُم في القول بعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر، قبل النبوة وبعدها، وهو مخالف لصريح القرآن!

ورأوا أنَّ الشِّيعة يقولون بأنَّ للأئمَّة نورًا، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ لم يكن له ظل!

ورأوا الشِّيعة تقول: إنَّ الإمامة تورث، فزعم بعض الصوفيَّة أنَّ مشيخة الطرق تورث، فنور الشيخ ينتقل منه إلى ابنه، وإذا مات وخلف صبيًّا، فهو الشيخ، ولو كان رضيعًا؛ لأن فيه نورَ أبيه!

ورأوا الشِّيعة تقول بعصمة الأئمَّة، فاعتقد العامَّة بعصمة الأولياء، فلا يصح الطعن على من سمَّوه وليًّا، ولو رأوه يشرب الخمر، وكفُّوا ألسنتهم وأيديهم عنه؛ بل وتبرّكوا به؛ لأنَّه فوق أن يسأل عن عمله!

وكم فسد الإسلام من هذه الأوهام، و«**من سنَّ سُنة سيِّئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»[١].

* * *

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين (٣/٢٢٣ ـ ٢٢٩).

نماذج من الغلو في الأئمَّة الاثني عشر عند الشِّيعة

غلا الشِّــيعة في أئمَّتهم الاثني عشر غُلوًّا فاحشًــا، لا يتصوَّره عاقل، حتَّى أوصلوهم إلى مرتبة أعلى من النبوَّة، بل في منزلة قريبة من الألوهيَّة، تأخذ صفاتِ الله وأســماءه؛ بل يقومون بأعماله الَّتي اختصَّ بها سبحانه، وهذا ليس افتراء عليهم؛ بل هو ما نطقت به كتبهم، وصرح به علماؤهم.

حتى إن نعمة الله الجزائــري ـ الَّذي يُطلقون عليــه «العالم العامل، والكامل البــاذل، صدر الحكماء، ورئيس العلمــاء» ـ زعم أنَّ عليًّا ﵁ قال: «والله قد كنتُ مع إبراهيم في النار، وأنا الَّذي جعلتُها بردًا وسلامًا، وكنتُ مع نوح في السفينة، فأنْجيتُه من الغرق، وكنتُ مع موسى فعلمتُه التَّوراة، وأنطقتُ عيسى في المهد وعلمتُه الإنجيل، وكنتُ مع يوسف في الجُبّ فأنجيتُه من كيد إخوته»[(١)].

ويروي الكُلَيْني بســنده إلى علي بن أبي طالب ﵁، أنه كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: «أنا قسيم الله بين الجنَّة والنَّار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والمِيســم، ولقد أقرَّت لي جميع الملائكة والرُّوح والرُّسل بمثل ما أقرُّوا به لمحمَّد ﷺ، ولقــد حُملتُ على مثل حَمُولته، وهي حمولة الربِّ، وإنَّ رســولَ الله ﷺ يُدْعَى فيُكسَــى، وأُدعَى فأُكسَى، ويُستنطق

(١) الأنوار النعمانية (٢٨/١).



وأُستنطق؛ فأنطق على حد منطقه. ولقد أُعطيت خصالًا ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني، أُبشِّر بإذن الله، وأُؤَدِّي عنه كلَّ ذلك من الله، مَكَّنَني فيه بعلمه»[1].

فلم يكتفوا لأنفسهم بما أخذوا، ولم يكتفوا لعليٍّ رضي الله عنه بما وصفوه به ممَّا لا يُعقل ولا يُتصوَّر، فأخذوا صفات الله العليا ووصفوه بها، بلا خجل ولا حياء!

الأئمَّة عند الشِّيعة الاثني عشريَّة يعلمون الغيب:

ومع أن المُجمع عليه بين أهل الإسلام أنَّ الله استأثر بعلم الغيب، فلا يُطلِع على غَيْبه أحدًا، إلا من ارتضى من رسله المُبلِّغين عنه، كما قال تعالى: ﴿ **عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا** ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]، وقال لنبيِّه محمَّد صلى الله عليه وسلم: ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ** ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ولكنَّ الشِّيعة وحدهم أثبتوا لأئمَّتهم ـ مخالفين كتاب الله وتعاليم رسوله ـ معرفة الغيب، فقد خصَّص الكُلَيني في كتابه «الكافي» أبوابًا في علم الأئمَّة **بالغيب، وأنَّهم يعلمون ما كان وما يكون، ولا يخفى عليهم شيء، وأنَّهم يعلمون متى يموتون، وأنَّهم لا يموتون إلا باختيار منهم، وأنَّهم يعلمون جميع العلوم الَّتي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرُّسل** عليهم السلام. ونقل الكُلَيْني تحت كل باب من هذه الأبواب عشرات الأحاديث والروايات المكذوبة على آل البيت.

---

(١) أصول الكافي (١/٢٢٠ ـ ٢٢١)، كتاب الحجة، باب أن الأئمة هم أركان الأرض.



فيروي الكُلَيْني بسنده، عن جعفر الصَّادق أيضًا: إنِّي لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنَّة، وأعلم ما في النَّار، وأعلم ما كان وما يكون(١).

ويروي أيضًا عن الحسن بن الجهم قال: قلتُ للرضا عليه السلام: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله، واللَّيلة الَّتي يُقتل فيها، والموضع الَّذي يقتلُ فيه(٢).

الأئمَّة وشيعتهم خلقوا من طينة خاصَّة في عليِّين:

ويروي الكُليني بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنَّ الله خلقنا من نور عظمته، ثمَّ صوَّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقًا وبشرًا نورانيِّين، لم يجعل لأحد في مثل الَّذي خلقنا منه نصيبًا، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا، وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة، ولم يجعل الله لأحد في مثل الَّذي خلقهم منه نصيبًا إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر النَّاس همجًا، للنار وإلى النار(٣).

ونحن نعتقد كما يعتقد أهل السُّنَّة وكما هو صريح القرآن أنَّ الإنسان مخلوق من طين الأرض، ولا فرق بين إنسان وآخر، ولا يوجد من الأنبياء من خُلق من طين الجنَّة، أو طينة في عليِّين، قال تعالى: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥]، وقال تعالى:

(١) أصول الكافي (٢٨٧/١ ـ ٢٨٨)، كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون.

(٢) المصدر السابق (٢٨٦/١)، كتاب الحجة، باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون...

(٣) المصدر السابق (٤٤١/١)، كتاب الحجة، باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام.



﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

أئمَّة الشِّيعة هم الَّذين يُحاسِبُون النَّاس يوم القيامة:

وقال الشيخ الحر العاملي: إنَّ من أصول الأئمَّة عليهم السلام: الإيمان بأنَّ حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمَّة[1].

ويروي المجلسي بسنده، عن الإمام الرضا قال: سمعت أبي يُحدِّثُ عن آبائه، عن علي عليه السلام، أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليُّ، أنت قسيم الجنَّة والنار يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي، وهذا لكِ[2].

ومن سخيف ما قالوه في الغلو بآل البيت أن بعض الأنبياء رفض ولاية أهل البيت فأصابهم ما أصابهم بسبب ذلك. ويروون في ذلك عن حمزة الثمالي قال: «دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين وقال له: يا بن الحسين، أنت الَّذي تقول: إن يونس بن متى إنَّما لقي من الحوت ما لقي؛ لأنَّه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها؟! قال: بلى ثكلتك أمك. قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين! فأمر بشد عينه بعصابة وعيني بعصابة، ثمَّ أمر بعد ساعة بفتح أعيننا فإذا نحن على شاطئ بحر تضطرب أمواجه، فقال ابن عمر: يا سيدي دمي في رقبتك، الله الله في نفسي. ثمَّ قال: أيتها الحوت، قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول: لبيك لبيك يا ولي الله! فقال: مَن أنت؟ فقال: أنا حوت يونس يا سيدي، إن الله لم يبعث نبيًّا من آدم إلى أن صار جدك ﷺ إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء

---

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي صـ١٧١. نشر مكتبة بصيرتي، قم، ط ٣.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٩٤/٣٩).



سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع في حملها، لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، ومـــا لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونسَ، فأوحى الله إليه أن: يا يونس، تَولَّ أمير المؤمنين عليًّا، والأئمَّة الراشدين من صلبه.

فقال: كيف أتولَّى من لم أره ولم أعرفه؟! فذهب مغاضبًا، فأوحى الله تعالى إلــيَّ أن التقمي يونــس ولا توهني له عظمًا، فمكــث في بطني أربعين صباحًا، يطــوف معي في البحار في ظلمات ثــلاث، ينادي أن: لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كنت من الظالمين، قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمَّة الراشــدين من ولده! فلمَّا آمن بولايتكم أمرني ربي فقذفته على ســاحل البحر. فقال زين العابدين: ارجــع أيُّها الحوت إلى وكرك، فرجع الحوت واستوى الماء»[1].

وإذا كان الأمر كما يقولون، فلماذا لقي مُحَمَّد ﷺ ما لقي؟!

لقد أوذي وشُتم وسُبَّ، واتُّهم بالســحر والجنون والكهانة، وألقي عليه سلا الجزور، ورُمي بالحجارة في الطائف، وعُذب أصحابه، وأُخرج من بلده، وكُسرت رَبَاعِيَته في أُحُد، ودخلت حلقتا المِغْفَر في وَجنتيه؟ هل لم يقبل النبي ﷺ بولاية الأئمَّة من بعده، فحصل له ما حصل؟!

ما أصبــر هؤلاء الشِّــيعة على قــراءة الخرافــات والأباطيل، وعلى تصديقها، وعلى صناعتها وتســطيرها، وعلى روايتهــا للمغفلين الَّذين لا يدرون ماذا يسمعون وماذا يعون!

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٤٠١/١٤ ـ ٤٠٢).



قبول الأعمال يوم القيامة متوقف على الولاية:

وعندهم أن من لم يقر بالولاية فلن يُقبل منه عمل، ولو تعبَّد الله ألف عام بين الركن والمقام، ففي «جامع أحاديث الشِّيعة» تحت باب: «اشتراط قبول الأعمال بولاية الأئمَّة عليهم السلام واعتقاد إمامتهم»: عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لنا علي بن الحسين: «أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنَّ رجلا عُمِّر ما عمِّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثمَّ لقي الله عز وجل بغير ولايتنا لم ينفعه شيئا»[1].

وعن أبي جعفر قال: «والله لو أنَّ عبدًا لم يزل ساجدًا بين الركن والمقام حتَّى يفارق الدنيا، ولم يعرف ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئا»[2].

ويعدون أن من أقرَّ بالولاية صلحت أعماله كلها، وصار إلى النعيم، وإلا لم يُقبل من أعماله شيء، وصار إلى الجحيم!

وفي هذا يروون عن الصادق أنه قال: «فإن أقرَّ بولايتنا ثمَّ مات عليها: قبلت منه صلاته وصومه، وزكاته وحجُّه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله: لم يقبل الله عز وجل منه شيئًا من أعماله»[3].

ويروون عن الحسين بن علي، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الزموا مودَّتنا أهل البيت؛ فإنَّه من لقي ربَّه عز وجل وهو يودُّنا دخل الجنَّة بشفاعتنا. والَّذي نفسي بيده لا ينفع عبدًا عمله إلا بمعرفة حقِّنا[4].

(١) جامع أحاديث الشيعة للملايري (٥٧٠/١)، إشراف الطبطبائي البروجردي، نشر مطبعة المهر، قم، ١٣٨٠هـ.

(٢) المصدر السابق (٥٧١/١).

(٣) بحار الأنوار للمجلسي (١٦٧/٢٧).

(٤) جامع أحاديث الشيعة (٤٤٨/١) حديث (١٠٠٧).



وهكذا يتوصلــون إلى كفر كل من لم يعتقــد بالإمامة، وخلوده في النار، حتَّى قال شيخهم ومحدِّثهم يوسف البحراني في موسوعته: «وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله ﷻ ورسوله، وبين من كفر بالأئمَّة عليهم السلام، مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين»[١].

ويقول المجلســي في «بحار الأنوار»: «اعلم أنَّ إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامــة أمير المؤمنين، والأئمَّة من ولده عليهم السلام، وفضَّل عليهم غيرهم، يدل أنَّهم مخلَّدون في النار»[٢].

هذا حــال المخالفين للشــيعة، لا تقبــل أعمالهــم، ولا ترفع فوق رؤوسهم، ولا تنفعهم عند الله، ويلقون الله ساخطًا عليهم، ومصيرهم إلى النار والعياذ بالله!

* * *

(١) الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة (١٥٣/١٨)، نشر دار الأضواء، بيروت.
(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩٠/٢٣).

مناقشة موقف الشِّيعة من تقديسهم للأئمة

حين نبحث في التاريخ الإسلامي ـ سواء أبحثنا في كتب الشِّيعة أم بحثنا في كتب السنة ـ لا نجد للأئمة ذلك الأثر المهم الَّذي يحفظ كيان الأمة، والَّذي يجعلهم أئمَّة منصوصًا عليهم من الله، معصومين من الخطأ والسهو.

بل لم يحكم الأمَّة من هؤلاء الأئمَّة غير عليٍّ حكم خمس سنين؛ جلها حروب، والحسن حكم ستة أشهر، تنازل بعدها لمعاوية، ولم تظهر توسعات للأمة أو فتوحات في عهديهما؛ بل كانت القلاقل والفتن تحيط ببلاد المسلمين في تلك الحقبة!

على أنَّ انتشار الإسلام وتمكنه وظهوره قويًا: كان في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، في أوَّل ست سنين من حكمه رضي الله عنهم أجمعين، وهم الخلفاء الثلاثة الَّذين يرى الشِّيعة عدم أحقيتهم للإمامة.

بل إنَّ الروايات الَّتي تُبشِّر بانتصار الإسلام وظهوره على الأديان، وتفوقه على إمبراطوريتي فارس والروم، لم تتحقَّق إلا في عهد هؤلاء الخلفاء الثلاثة.

كما أنَّ الوقوف ضدَّ حركات الرِّدَّة ومدَّعي النبوة ومانعي الزكاة، لم يكن إلا في عهد الصِّدِّيق أبي بكر رضي الله عنه ، الَّذي ثبَّت الله به دين الأمَّة.



أمَّا الأئمَّة الاثنا عشر عند الشِّيعة ـ الَّذين لهم مكانتهم ومنزلتهم عند أهل السُّنَّة ـ لا يَعْدون عن كون بعضهم صحابة أتقياء، والبعض صالحون علماء، ومنهم من هم أقرباء للنبي ﷺ ومن نسله، ولا يُعرف عنهم إلا الخير.

ولم يُعرف لهم أثر في حفظ دين الأمة، أو حماية حدودها، أو التمكين لها على عدوها، كما عُرف لبعض حكام المسلمين على مر العصور؛ بدءًا من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ومرورًا بعمر بن عبد العزيز وأمثاله. وحتَّى من ظهرت على يده جهود حافلة في نصرة الإسلام وإعلاء كلمته ليس ممَّن تتولاه الشِّيعة الإماميَّة، مثل الإمامين إدريس الأول[1] والثاني[2] بالمغرب، والناصر الأطروش بالجيل والديلم[3].

ومن الطريف أنَّ الشِّيعة حينما يتحدَّثون عن دور أئمَّة أهل البيت في حفظ كيان الأمة، فإنَّهم يطيلون الكلام في تنازل عليّ رضي الله عنه عن حقه في الإمامة، الَّتي اغتصبها أبو بكر الصديق، وترفُّعه عن هذه الولاية حرصًا منه على وحدة الأمة ـ كما يقولون ـ كما يتحدثون عن معاونته رضي الله عنه

(١) إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الأدارسة في المغرب. وإليه نسبتها. توفي سنة ١٧٧. الأعلام للزركلي (٢٧٩/١).

(٢) إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم: ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس، توفي سنة ٢١٣هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٧٨/١).

(٣) الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن زين العابدين العلويّ الهاشمي، أبو محمد: ثالث ملوك الدولة العلوية بطبرستان. كان شيخ الطالبيين وعالمهم. وكان يدعى (الأطروش) لصمم أصابه من ضربة سيف في معركة. وكان شاعرا مفلقا، علامة إماما في الفقه والدين. صفت له الأيام ثلاث سنوات، وتوفي في طبرستان سنة ٣٠٤. قال الطبري في تاريخه (٤٠٨/١١): لم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق. انظر: الأعلام للزركلي (٢٠٠/٢).

لأبي بكر وعمر وعثمان في ولايتهما بالنصح والمشورة، ويرون أن ذلك كان حرصًا منه على تقويم الأمور، وإصلاح المسيرة! ومثله تنازل الحسن لمعاوية رضي الله عنهما.

فإذا كان عليّ رضي الله عنه قد أقر للشـيخين وعثمان رضي الله عنهم بالخلافة، حرصًا على وحدة الأمة، فلماذا لا يقر بها أتباعه، والَّذين يدعون أنَّهم شـيعته وأنصاره؟ هل هم أعلم من علي؟!

وإذا كان الحسن قد تنازل عن حقه في الخلافة لمعاوية، حرصًا على اجتماع الأمة ووحدتها، حتَّى سمِّي العام الَّذي تنازل فيه بعام الجماعة، فلماذا يشقون هم جماعة المسلمين بما يخالف فعل الحسن؟!

❋ ❋ ❋



الإمامة عند أهل السُّنَّة

ونحن أهل السُّـنَّة والجماعة نرى قضيَّة الإمامة وما يتفرع عنها من فروع الدين العمليَّـة، لا من أصوله الاعتقاديَّـة، والأولى أن تبحث في كتب الفقـه والأحكام العمليَّة، لا في كتب العقائـد وأصول الدين. وإن كان أهل السُّنَّة اضطروا ـ من الناحية الواقعيَّة ـ أن يتكلموا عنها في كتب العقائد؛ ليردوا على نظريَّات الشِّيعة ومقولاتها فيها.

مكانة الأئمَّة الاثني عشر عند أهل السُّنَّة:

وينبغي أن ننبه إلى أن أهل السُّـنَّة، وإن كانـوا لا يعتقدون بعقيدة الولاية أو الإمامة هذه، إلا أن لهؤلاء الأئمَّة منزلتهم عند أهل السُّنَّة، غير أنَّهم ينقسمون عند أهل السُّنَّة إلى أربعة أقسام:

القسـم الأول: لهـم مرتبـة الصحبة للنبـي ﷺ، وهـم: علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين رضي الله عنهم.

والقسـم الثاني: هم من علماء أهل السُّـنَّة والجماعة، ومن نسـب النبي ﷺ، وهم سـتة: زين العابدين علي بن الحسـين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعليّ الرضا، ومحمد الجواد رضي الله عنهم.

والقسم الثالث: هم من جملة أهل السُّـنَّة، لم يعرف لهم كبير علم، وهم من نسب النبي ﷺ، وهما اثنان: علي الهادي، والحسن العسكري.



والقسم الرابع: معدوم لم يُولد، وهو واحد: مُحَمَّد بن الحسن، وهو المنتظَر عندهم.

هذا هو حال هؤلاء الأئمَّة عند أهل السُّنَّة، لا يعلو أفضلهم عن مرتبة الصحبة، وهي أفضل الدرجات بعد النبوة، ولا يعد صاحبها معصومًا؛ بل تجوز عليه الصغائر والكبائر، فضلا عن الخطأ.

وفي ترجمة مُحَمَّد بن الحسن العسكري إمام الشِّيعة المنتظر قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أحالك على غائب لم ينصفْك، فكيف بمن أحال على مستحيل؟! والإنصاف عزيز؛ فنعوذ بالله من الجهل والهوى!» ثمَّ قال:

«فمولانا الإمام علي: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نحبُّه أشد الحب، ولا ندَّعي عصمته، ولا عصمة أبي بكر الصِّدِّيق.

وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله ﷺ وسيدا شباب أهل الجنَّة، لو استُخلفا لكانا أهلًا لذلك.

وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية.

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمَّة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده موسى كبير القدر، جيِّد العلم، أوْلى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشَّرف والفضل.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقْعٌ في النفوس، صيَّره المأمون وليَّ عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومائتين.

وابنه مُحَمَّد الجواد: من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم والفقه.

وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري، رحمهم الله تعالى.

فأما مُحَمَّد بن الحسن هذا: فنقل أبو مُحَمَّد بن حزم، أن الحسن مات عن غير عَقِب. قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابنا أخفاه».

قال الذهبي: «ويزعمون أنَّ محمدًا دخل سردابًا في بيت أبيه، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين. وقيل دون ذلك!

نعوذ بالله من زوال العقل. فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الَّذي رآه؟ ومن الَّذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الَّذي نصَّ لنا على عصمته، وأنَّه يعلم كل شيء؟

هذا هوسٌ بيِّنٌ، إنْ سلطناه على العقول ضلَّت وتحيَّرت، بل جوزت كل باطل.

أعاذنا الله وإيَّاكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإماميَّة»[1].

هل النَّاس في حاجة إلى إمامة معصومة دائمة بعد النبي محمد؟

بعد أن نقلنا من الروايات والأدلَّة والنصوص الَّتي تمسك بها الشِّيعة، لبيان منزلة الإمامة عندهم، وعرفنا أنَّها من دعائم الإسلام لديهم، واعتقادهم أن الله تعالى لا يقبل الأعمال بدون الإيمان بها، وأنها

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/١٢١ ـ ١٢٢).



في مرتبة كالنبوَّة؛ بـل إن إنكار الإمامة ولو لواحد من الأئمَّة شـرٌّ من إنكار النبوة!

ونأتي الآن لنُسائل القوم: **هل في النَّاس من حاجة إلى إمامة معصومة أو خلافة دائمة بعد النبي مُحَمَّد ﷺ ؟**

هل الأمة بحاجة إلى هذه الإمامة الَّتي تمَّ تكفير جميع الصحابة إلا قليلًا منهم بسـببها؟ بـل تكفير جميع من لـم يقر بها، ولـو كان من المنتسبين لأمَّة الإسلام، وهم كل أمَّة الإسلام؛ إلا الشِّيعة الإماميَّة؟!

كل من آتاه الله عقلًا وبصيرة وتأمَّل بصدق واستقامة، وَجَدَ فيما بعث الله به مُحمَّدًا عليه الصَّلاة والسـلام، من رسـالة تميَّزت من أوَّلها بأنَّها عالميَّة لكل الناس، شاملة لكل ما يحتاج إليه البشـر: لحياتهم ولنسلهم ولدينهم، ولدمائهم وأموالهم، وأعراضهم وأخلاقهم، أفرادًا وجماعات، روحيَّة وماديَّة، توفي كل ما يطلبه النَّاس لعقولهم ولأرواحهم، وضمائرهم وأعمالهم، وختم الله برسولها كل الرسالات، فما بعد رسولها رسول ولا نبي، ولا بعد كتابها كتـاب، كما قـال الله تعالـى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

نظرة الشِّيعة للإمامة تعني عدم اكتمال دين الأمة:

ومع وضوح ذلك زعمت الشِّيعة الإماميَّة الاثنا عشريَّة، مخالفين للأمة الإسـلاميَّة جميعها في مشـارق والأرض ومغاربها: أن رسالة مُحَمَّد ﷺ لم تكتمل، وهـي الَّتي بعثه الله بها، وأنزل عليه القـرآن الكريم آخر كتبه وأعظمها، وقامت شريعته بأصولها المتينة، وقواعدها الحكيمة، ومصادرها



الغزيــرة، واجتهادها المنضبــط، بأحكامهــا العادلة، وحدودهــا البينة، وعقوباتهــا الرادعة، ومعاملاتها المتوازنة، واقتصادها العادل، وسياســتها المنصفة، وثقافتهــا الربانية الإنســانية الأخلاقية العالميــة، الَّتي جاءت بالتيســير، حتَّى قال الرســول الكريم: «**إنَّما بُعثتم مُيسِّــرين، ولم تبعثوا مُعسِّرين**»[1]، وقال للناس: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا**»[2].

وتدَّعي بذلك الشِّيعة على أمَّتهم الكبرى: أن هذه الرسالة العظمى لم تكن كافية لهم ولمن بعدهم، مع أن كل الدلائل دالَّة بوضوح على أن هذه الرســالة القرآنيَّة النبويَّة كان فيها الحق والخير، والهــدى والنور والعدل الشامل، والرحمة الواسعة، والإخاء والتكافل، الَّذي يحتاج إليه كل الناس. حتَّى قــال لرســوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيــاء: ١٠٧]. وقال ﷺ عن نفسه: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[3].

وتناسى هؤلاء أنَّ هناك مقاصد وأصولًا وأُسسًــا لهذه الشريعة الَّتي أراد الله لهــا أن تكون منارات هاديــة، وقواعد حاكمــة، وقيودًا ضابطة لنشــاط عباده، الَّذين يتميَّزون بالفكر، ويتحصَّنــون بالإيمان، ويتزيَّنون بالمكارم، ويتابعون بالأعمال، ويتســابقون في الخيــرات، مع التزامهم بحماية الحُرمات، ورعاية الأخلاق، وتوفيــر ما لا بدَّ منه من الحريات المطلوبة والمأمونة لكل الناس.

وللفقه الإســلامي ومقاصده، وقواعده وفروعــه: ما يكفي لدرء كل مفسدة تطرأ، وسد كل مخوفة تظهر، وتحقيق كل مصلحة تُطلب.

---

(١) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.



وهو ما أثبتته حقائق الحياة ووقائعها، حين تهيَّأ للشـريعة أن تعمل، وحين تهيَّــأ لها الجيل الَّــذي يجمع إلى العمل العلـم، ويملك أدوات البحث والنظر، والتحقيق والتدقيق، والاستنباط والتوثيق والترجيح.

زعم الشِّيعة الاثنا عشريَّة: أنَّ النصوص القرآنيَّة ـ بما فيها من مرونة وتعميم، وما جاء به الرسول ﷺ من السنَّة الشـارحة والمبيِّنة، **لا تكفي لحل مشكلات البشر،** وأن ما عند عقلاء النَّاس من عقول ومعارف وهبها الله لبني الإنسان، منذ خلقهم الله حين خلق آدم وحواء، وعلم آدم الأسماء كلها: غير قادرة على إعطاء البشـرية ما يحتاجون إليـه في بحثهم عما يكمل ما عندهم من حق وعدل، وخير أنزله الله إليهم.

وشــكك الشِّـيعة في قيمة العقل الموهوب للإنســان، ولم يؤمنوا بالقياس، الَّذي آمنت به المذاهب الأربعة، بل الزيديَّة والإباضية، ليلحق بالمنصوص ما يساويه ويشبهه من غير المنصوص. وقالوا: بل لا بدَّ أن يكون هناك بشـر بديل للرســول، يُوحى إليه، وهو الَّذي يقطع النزاع، ويحل المشكل، ويزيل الخلاف.

تاريخ أئمَّة الشِّيعة ينافي نظريتهم في الإمامة:

والناظـر إلى تاريخ هــؤلاء الَّذين اختاروهم «أئمــة معصومين» في نظرهم، لم يتطابق في شيء مع هذا الَّذي زعموه وقالوه.

علي بن أبي طالب:

فأما أولهم وهــو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقد كان خليفة راشــدًا، وهاديًــا مهديًّا، كمن سـبقه من الخلفاء الراشـدين: أبي بكـر، وعمر، وعثمان، الَّذين اسـتنُّوا بسـنَّة النبي ﷺ، وعضُّوا عليها بالنواجذ، ولم



يحيدوا عن وسطيتها، وخيريتها وحقيقتها، مستمسكين بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، الَّتي تهدي ولا تضل.

ولم نجد في سيرته خلافًا لإخوانه من الخلفاء الراشدين؛ بل هم جميعًا يسيرون في طريق واحدة، ويغترفون من بحر واحد، ويشربون من كأس واحد: أوله: لا إله إلا الله، وآخره النصر والسعادة في الدنيا، ثمَّ الجنَّة ورضوان الله في الآخرة. كما قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

وكان عليٌّ يجتهد أن يكون كعمر في عدله وزهده، ومخافته لله، وقوته في الحق، ومقاومته للباطل، وغيرته على الدين، وعلى رجاله المؤمنين، ولكن الزمن قد اختل بعد عمر بسرعة كبيرة.

كانت المدَّة الَّتي حكم فيها علي بن أبي طالب قليلة من ناحية، وكانت مليئة بالمشكلات والفتن من ناحية أخرى، وأوَّل ما يُطالِب النَّاس به دم عثمان! عثمان الَّذي قتله المتمرِّدون في بيته، والصحابة قريبون منه، ولكنَّه منعهم أن يسلُّوا سيفًا، أو يريقوا دمًا من أجله، وكان قوله محترمًا عندهم. في حين أنَّ الثائرين ليس عندهم هذه النخوة، ولا هذه المزيَّة.

لم يظهر في السنوات الخمس الَّتي أمضاها أمير المؤمنين عليٌّ خليفة للأمة: أن عنده شيئًا غير ما عند إخوانه الخلفاء الَّذين سبقوه؛ بل مضى عهده في مداواة جراح الفتن الَّتي ظهرت بوادرها بمقتل عثمان.



وذهب الإمام «المعصوم الأول» في نظر الشِّيعة، ولم يرَ النَّاس عليه غير ما رأوه على إخوانه السابقين، لم يظهر عليه وحي، ولم يشاهد معه جبريل، ولم يرَ النَّاس الملائكة تقاتل عن يمينه وعن شماله.

الحسن بن علي:

وجاء بعده الإمام الثاني: الحسن بن علي رضي الله عنهما؛ وقد بايعه الَّذين كانوا مع أبيه، وظلَّ معهم ستة أشهر، يقاتل معهم، ويدافع عنهم، ويسعى إلى جلب الخير لديارهم، ودفع الشر عنهم، وأن يسير مسيرة أبيه، وأن ينصر العدل لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يؤدي الأمانات إلى أهلها، وأن يراعي الحقوق، وخصوصًا حقَّ المستضعفين!

ويبدو أن هذا الرجل الَّذي بايعه أتباع أبيه من بعده، غلَّب الواقع على المثال، حين كان يرى الإسلام بعين، ويرى الرجال حوله بعين أخرى، ويعيش بين الحق الَّذي يتطلع إليه، والجند الَّذي يعتمد ـ بعد الله ـ عليه، فيبدو أنه بالموازنة والمقايسة، رأى أن الخير للأمة في عمومها: أن يحافظ على دماء الأمة الثمينة، للحياة لا للموت، وأن يوفر جهود الأمة للبناء لا للهدم.

وبدل أن تسفك الدماء، وتضيع الجهود في تقاتُل يُضْعِف الفريقين، فقد رأى من الخير للجميع أن يقبل الصُّلح بين الفريقين الكبيرين، وأن يحقق ما قاله الرسول الكريم: «**إنَّ ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**». وهو ما رواه البخاري ومسلم[1].

(١) سبق تخريجه صـ ٣٩.



وحين عرض هذا على معاوية كان باب الرحمة قد فتح له، وباب السعة قد وسع الأمة، وأن الضير تكشَّف، واليسر قد أقبل، والفتح قد عاد، والنصر قد ساد. وكان المنادي ينادي: أن الخير قد تفتحت أبوابه، وأن الشر قد ضاقت مجاريه، وأن اليسر مقبل، وأن العسر مدبر!

فهل هذا فعل رجل كلَّفه الله أن يكون إمامًا مُنصَّبًا باسمه، وهيِّئت له هذه الإمامة بالفعل خليفة خامسًا للراشدين، وأن يبايعه جند أبيه طائعين، ثمَّ يأتي هو من عند نفسه طائعًا مختارًا، ويسلِّم هذه الغنيمة العظيمة الكبيرة مجانًا؟ وهل يجوز له أن يتنازل عنها، وهو معيَّن من السماء بالاسم والوصف واللقب؟!

هل يجوز له هذا التَّنازل؟ وما معنى كتابة اسمه في الأئمَّة، وقد حكم، ثمَّ تنازل عن الحكم؟ هذا هو الإمام المعصوم الثاني عندهم الَّذي جمع الإمامة بين يديه.

وقد حُكم أبناء عليّ من فاطمة أن يكون الحسن هو الإمام الوحيد من هذه الذريَّة، ثمَّ لم يعد للحسن من ذريته من يتاح له أن يدخل حلبة السباق؛ كأن الساحة حرِّمت عليهم، وقد عرف من أبناء الحسن أفذاذ، كما عرف من أبناء الحسين، فلماذا حُرِمت ذريَّة أحد السبطين إلى الأبد؟!

الحسين بن علي:

على أن الَّذين عدوا من «الأئمَّة المعصومين» الاثني عشر بعد ذلك، كلهم لم يتح لهم أن يحكموا، وأن يستخلفوا، ابتداءً من الحسين السبط الثاني للرسول، والابن الثاني لفاطمة، والَّذي قال عنه الرسول مع الحسن: «**هما رَيْحانَتايَ مِنَ الدنيا**»[1].

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٧٥٣)، عن ابن عمر.



ما قيمة أن ينص الرســول وعلي بن أبي طالب على أن الحسين بن علي إمام مــن الأئمَّة المعصومين؛ كما يزعم الشِّــيعة، وهو زعم باطل، لا يدل عليه نقل ولا عقل ولا واقع؟!

إن هؤلاء الأئمَّة لم يحكموا، ولم تتح لأحد منهم فرصة ولو قصيرة ليحكم، ويقيم العدل، ويؤدي الأمانات إلى أهلها، في بقعة ولو صغيرة في الأرض، فيرى النَّاس فيها عدل الله، وخير الله، وفيض الله، الَّذي يأتي به الإمــام المعصوم، غير ما يأتي بــه الأئمَّة الآخــرون الَّذين يحكِّمون النصوص الهادية، والعقول النيِّرة، وهم ـ مع ذلك ـ ليسوا بمعصومين، ويجري عليهم ما يجري على الآخرين، ولكن الله ميزهم بما أكرمهم به من الشرع العادل، والعقل المبصر، والشورى الهادية، والأمة المتعاونة؛ بما فيهم العلماء الَّذين يملؤون الساحات.

هذا ما جرى على أبي الشــهداء كما سمَّاه العقاد، وهو ما جرى على ابنه زين العابدين علي بن الحســين، وهو لم يعرف كثيــرًا بالإمامة في العلم، والأستاذية في الفقه، والصدارة في الدعوة والفكر، كما عرف عن ابنه وحفيده الإمام أبي جعفر مُحَمَّد الباقر (ت١١٤هـ الموافق ٧٣٢م) وابنه الإمام جعفر الصادق (ت١٤٨هـ الموافق ٧٦٥م)، وإن كان من رجال الورع والزهد والتقوى.

فهما معروفــان في كتب الأئمَّــة المتبحرين، والَّذيــن أخذت عنهم العلوم، وتتلمذ عليهم من تتلمذ، وروى عنهم من روى.

مناقشة هادئة في الجزائر:

ولقد جرى بيني وبين أحد الَّذي تأثروا بالشِّيعة من الجزائريين، ممَّن كانوا مــن تلاميذ المفكر المســلم الجزائــري مالك بن نبي،



مناقشـــة في رحلة بالســـيارة من مدينة الجزائر العاصمة إلى إحدى المـــدن، وقال لي: أهل السُّـــنَّة يجعلـــون أئمَّتهـــم الأربعة أصحاب المذاهب الفقهيَّة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، ولا واحد منهم من أهل البيت!

قلت له: وهل المسؤول في هذا: أهل السُّنَّة أم أهل البيت؟ وهل في الإسلام هذا التقسيم، وهذا التصنيف؟

فسكت صاحبي قليلًا، ثمَّ قال: على كلٍّ منهما دور، ولكن على أهل السُّنَّة أن يمهدوا لهذه الزعامة!

قلت: يا سيدي، أهل السُّنَّة لم يتكلفوا شيئا في صنع هذه الزعامات الدِّينيَّة، بل هي الَّتي صنعت نفسها، بعون الله لها، وعون المخلصين من أبنائها، وما قدمته في سبيل العلم والعمل والتعليم، وهو ما يسميه النَّاس «ربانيًّا» كما قال الكتاب: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

العلماء كلهم في الســاحة، ولكنَّهـــم يتعاونون، وهـــم لا يفرضون أنفســـهم على الناس، ولكن النَّاس هم الَّذين يغترفون منهم، ويأخذون عنهم، ويقتبسون منهم، ويصابحونهم ويماسونهم. فما ذنب أبي حنيفة أو مالك؛ إذا التفَّ النَّاس حول حلقتـــه العِلميَّة، أكثر ممَّا التفوا حول حلقة الباقر أو الصادق؟!

ولقد كان الإمـــام مالك بن أنس والإمام الليث بن ســـعد، في وقت واحد، ولـــكل منهما علمه وفضلـــه ورواته، ولكن لم يجـــد الليث من التلاميذ والأصحاب والجلســـاء، الَّذين يصلحون لجلسته العِلميَّة كأنَّهم



أبناؤه وأوتـــاده، فلهذا قال الإمام الشـــافعي: الليث فقيــه، ولكن أبناؤه ـ يعني تلاميذه ـ لم يقوموا به[١].

والشافعي لم ينتشر مذهبه في بداية الأمر كما انتشر مذهب أبي حنيفة ومالــك وأحمد في أصحابه المباشـــرين من قاموا بمذهبه ونشـــروه بين الخلق، ولكن نشر مذهبه من جاؤوا بعد ذلك، وقد كتبه بقلمه، ودوَّنه في كتبه، وكتب «الرسالة» في أصول الفقه، وكتب فقهه في «الأم»[٢].

لا أحد يلوم الإمام جعفر الصَّادق الإمام السادس عند الشِّيعة: أنه لم يستطع أن يزحف بشخصيَّته العلميَّة والدِّينيَّة، والثقافيَّة والتربويَّة على من حوله، ومن قرب منه، ومن بعـــد عنه، مثل الإمام مالك، رضي الله عن الاثنين.

وليس لأهل السُـــنَّة ولا لغيرهم صنع في ذلك، فالله تعالى هو الَّذي يهيئ الأســـباب، ويعد الأنفس، ويجري الأقدار، ويدبر الأمور، إلى أن

---

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (٥٢٣/١ ـ ٥٢٤)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) نشـــر مذهبه المزني والبويطي والربيعان وحرملـــة والزعفراني وموســـى بن أبي الجارود والحميدي وأبو ثـــور وأبو عبيد وأحمد بن حنبل وأبو عبد الرحمـــن المتكلم وغيرهم من أصحاب الشافعي الذين جالسوه، وإنما لم يتسع انتشار المذهب إلا في زمان أبي العباس بن سريج لأنه أول من ولي القضاء من الشـــافعية، ولم يلِ القضاء أحد ممن جالس الشافعي، بخلاف أصحاب أبي حنيفة الذين تولوا القضاء كأبي يوســـف وحفص بن غياث والقاضي عافية وغيرهم، وأصحاب مالك تولى القضاء منهم إسماعيل البغدادي وهو وإن لم يلقَ مالكا إلا أنه قضى به مبكرًا فانتشر، ثم بعده حفيده أبو عمر القاضي المالكي، وحتى مذهب ابن جرير وداود كان انتشـــارهما من جهة تولي أصحابهما القضاء، وكذلك مذهب أحمد انتشر بأصبهان من جهـــة ولده صالح الـــذي تولى القضاء هنـــاك، وتأخر انتشـــاره بالعراق إلى الأربعمائة لتأخر ولاية القضاء عن أصحابه.

يؤثر الإمام في عقول النَّاس وقلوبهم وضمائرهم، فإذا تكلم استمعت الآذان، وتهيَّأت الأذهان، وتفتحت الأبصار، واستنارت القلوب.

وإنما أقلَّ أهل السُّنَّة الرواية عن الإمام جعفر الصادق لكثرة الكذب عليه، وقد روى عنه مالك في (كتابه) أكثر ممَّا روى عن أبي بكر الصديق!

بقية الأئمَّة:

وإذا تركنا الإمامين المشهورين المعصومين الباقر والصادق ـ على ما لهما من شهرة ـ وصوبنا النظر بين أئمَّتهم الآخرين: وأولهم هو:

الإمام السابع: موسى بن جعفر الكاظم (ت١٨٣هـ)

الإمام الثامن: أبو الحسن علي الرضا (ت٢٠٢هـ)

الإمام التاسع: أبو جعفر مُحَمَّد الجواد (ت٢٢٠هـ)

الإمام العاشر: علي بن مُحَمَّد الهادي (ت٢٥٤هـ)

الإمام الحادي عشر: أبو مُحَمَّد الحسن العسكري (ت٢٦٠هـ)

الإمام الثاني عشر: محمد المهدي المنتظر (اختفى في طفولته نحو ٢٦٠هـ).

بل قال بعض العلماء والمؤرخين: إنه لم يولد قط، وإن أباه لم ينجب، وإن تركته وُزعت على عصبته. وزعم آخرون أنه ولد له ولد غُيِّب. ولماذا غيب؟! وهل كانوا يعلمون الغيب بما سيجري له؟ وماذا يجري له؟ وهل يجري له أكثر ممَّا جرى لغيره، ويجري لغيره؟

المهم أنَّ الشِّيعة الاثني عشريَّة هنا يتكلمون في أشياء خطيرة، وكأنما يكلمون أنفسهم، ولا أحد حولهم!

ما معنى أن يكون هؤلاء أئمَّــة، ولا فرصة لأحد منهم أن يحكم؟ ولو مــدة قليلة؟ ولــو في موضع محــدود مــن أرض الخلافة؟ في المشــرق أو في المغرب؟ أو في بلاد الهند، أو بلاد الصين، أو بلاد الترك؟

ثم ما معنى أن يدخل هذا الطفل المســكين الســرداب في طفولته وصغره، أو يغيب فيه من صغره، ومنذ سنة ٢٧٠هـ إلى اليوم؟ ونحن في سنة ١٤٤٠هـ (أي مَرَّ ١١٧٠ سنة هجرية).

ونوح الَّذي تفرد عــن الأنبياء وعن العالم بالعمــر الطويل لبث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، أي: بعد أن أنزل الله عليه الوحي ليبلــغ النَّاس آياته ورســالاته، وهو في الغالب يكون في ســنِّ الأربعين.

ويبدو من ســياق القــرآن للقصة: أنه لــم يكن لــه دور بعد إهلاك المشــركين المكذبين من قومه، الَّذين دعا عليهم، وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ ـ ٢٧]. فنوح لم يبلغ هذا العمر الطويل، الَّذي جعله الشِّيعة الاثني عشريَّة لإمامهم المنتظر!

لا حاجة لنا بأئمة معصومين:

نحن أهل السُّنَّة والجماعة لا نشعر بأدنى حاجة إلى أئمَّة معصومين، بعد أن أرســل الله إلينا رســوله محمدًا ﷺ، بالرســالة العامَّــة الخالدة الشــاملة، فختم به النبيين: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].



وقال ﷺ: **«مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نقيَّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنَّما هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الَّذي أرسلت به»**(1).

هذه الرسالة تَميَّزت بعد كونها خاتمة الرسالات بالعالميَّة، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾ [ص: ٨٧ ـ ٨٨]. وتكرَّر في القرآن وصفه تعالى بأنه ذكر للعالمين، وذكرى للعالمين.

ثم إنَّ هذه الرسالة في حقيقتها وصلبها، وأصولها وفروعها، وشمول تعاليمها وأحكامها، تمثل: الشمول والجمع والاستيعاب، فهي رسالة إيمان وعقيدة في الله واليوم الآخر، والملائكة والكتاب والنبيِّين.

وهي رسالة شعائر عمليَّة تصل المسلم بربه، في ليله ونهاره، وفي صباحه ومسائه، وفي عمله وفراغه، وفي جده وهزله، وفي سلمه وحربه، وحده وفي جماعته، في صومه وفطره، وسفره وإقامته، وفي غناه وفقره، وفي صحته ومرضه، وحيثما سار فالله معه، وهو وليه، ونعم المولى ونعم النصير ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٧٩)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٢) عن أبي موسى.



دعوى الوصية النبويَّة لعليٍّ فيها تهوين لشأن لأمة:

ثم إن دعوى وصيَّة رسـول الله ﷺ إلى علي بالخلافة، تسلب الأمَّة حقَّ الولاية على نفسها في اختيار حكامها بنفسها، تحقيقًا لمبدأ الشورى الَّـذي جعله الله من خصائـص مجتمع المؤمنيـن، ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وكأنَّ الأمة قاصرة أبد الدهـر، حتَّى يعيَّن لها بالنصِّ مَن يحكمها ويقودها. ويتحتَّم أن يكـون حكَّامها من بيت معيَّن، ومن فرع خاصٍّ من هذا البيت، مع أن الأصل أنَّ النَّاس جميعًا سواسية، وأن يقودهم مَن يرضونه لقيادتهـم، وهو أقدر علـى تحمُّل المسـؤوليَّة، وقيادة السفينة.

الإمامة فكرة تميِّز فئة معينة على سائر الأمة:

ثم إن فكرة المذهب الشِّـيعي قائمـة على أنَّ فئة معيَّنة من البشـر متميِّزة على خلق الله جميعًـا، ولها فضل عليهم بحكـم خلقتها، وأنها تستحق وحدها أن تحكمهم وتتولَّى أمرهم ـ وإن لم يختاروها ـ لأنَّها قد اختيرت من السماء.

وهذه الفكرة منافية لفكرة الإسـلام العامَّة: أنَّ النَّاس كلَّهم سواسية كأسنان المشط، وأنَّهم جميعًا ينتمون إلى خالق واحد، ويُنسبون إلى أب واحد، وأنَّهم جميعًا خُلقوا من طيـن، ثمَّ من ماءٍ مَهين، فلا فضل لأحد منهم على آخر إلا بالتقوى. كما أعلن ذلك القرآن بجلاء ناصع: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].



وأن النَّاس إنَّما يتفاضلون بأعمالهم لا بأنسابهم، ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه، والقرآن يقول: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. ثمَّ ذكر أنَّ الحَكَم بين النَّاس هو الميزان، الَّذي يوضع يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا. وأن النَّاس هم الَّذين يختارون أمراءهم في إطار الشورى، ويبايعونهم بيعة مشروطة بالالتزام بحدود الله، وحقوق الناس.

الرسول الكريم هو وحده الَّذي اصْطفاه الله بالوحي، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ومَن عداه فهو بشر من البشر.

ثم إنَّ الواقع التاريخي يدلُّ على أن هؤلاء الَّذين زعموا أنَّهم منصوص على ولايتهم على الأمَّة، **لم يلوا من أمرها شيئًا، وعاشوا كغيرهم من الناس**، يجري عليهم حكم الآخرين، ما عدا عليًّا رضي الله عنه ، وابنه الحسن الَّذي تنازل عن الخلافة مختارًا. وهم في العلم لم يُعرف عدد منهم بالإمامة فيه، وبعضهم كانوا من سادة الفقهاء ـ كالباقر والصادق رضي الله عنهما ـ كغيرهم من نظرائهم من نوابغ الأمة.

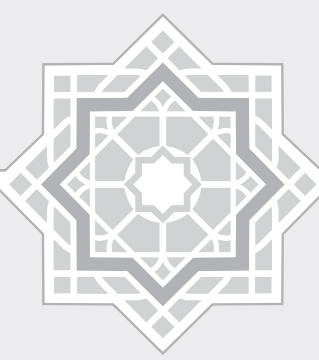
تصوُّر أهل السُّنَّة هو المعبِّر عن حقائق الإسلام:

أعتقد أن تصوُّر أهل السُّنَّة للدولة الإسلاميَّة هو التَّصوُّر المعبر عن حقائق الإسلام، الَّتي جاءت بها محكمات القرآن والسُّنَّة الصحيحة، وهو الأقرب لما ينادي به العالم اليوم من حقِّ الشعوب في حكم نفسها، وأبعد عن الحكم الثيوقراطي، أو الحكومة الدِّينيَّة الَّتي تحكم الأرض باسم السماء، وتَتَحكَّم في رقاب النَّاس وضمائرهم باسم الدين والكهنوت، الَّذي لا يملك النَّاس أمامه إلا أن يذعنوا ويقولوا: سمعنا وأطعنا.



وقد شاء القدر أن يرد على الشِّــيعة بحكم التاريخ والواقع الزمني، فقد اختفى الإمام الثاني عشر، كما زعموا، وبقي النَّاس بلا إمام معصوم أكثر من أحد عشر قرنا، فكيف ترك الله الناس، ولا هادي لهم؟ إن قالوا: عندهم القرآن والسُّنَّة، فنحن نقول هذا من أوَّل الأمر!

* * *



الفصل الخامس

الشيعة وتقديس آل البيت



آل البيت في الفكر الشِّيعي الاثني عشري

آل البيت في اللغة:

قال الزَّبِيدي في «تاج العروس»: «والأهـل للرجل: زوجته، ويدخل فيه أولاده، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ [القصص: ٢٩]، أي: زوجته وأهله، والأهل للنبي ﷺ: أزواجه، وبناته، وصهره»[١].

وقال ابن منظور في «لسان العرب»: «أهل الرجل: أخص النَّاس به، وأهل بيت النبي ﷺ: أزواجه وبناته وصهره. وقيل: نساء النبي ﷺ. وآل الرجل: أهله»[٢].

وقال الخليل: «التأهُّل: التـزوج. وأهل الرجل: زوجه. وأهل الرجل: أخص النَّاس به. وأهل البيت: سكانه»[٣].

وقال الراغب الأصفهاني: «أهل الرجل في الأصل: من يجمعه وإياهم مسـكن واحد، ثمَّ تُجُوِّز به فقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم النسـب، وتُعورف في أسـرة النبـي ﷺ مطلقًـا إذا قيل: أهـل البيت، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾»[٤].

---

(١) تاج العروس مادة (أ. هـ. ل).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور مادة حرف اللام، فصل الألف.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (أ. هـ. ل).

(٤) المفردات في غريب القرآن مادة (أ. هـ. ل).



وهذا ما جاء في القرآن الكريم، وقد وردت هذه اللفظة في ذكر قصة خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، عندما جاءت رسل الله إبراهيم بالبشرى، فقال الله عز وجل في خطاب الملائكة لها: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣]. والمراد بهذه اللفظة: زوجة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لا غير.

وهكذا قال الله عز وجل في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ [القصص: ٣٠]. فالمراد من الأهل: زوجة موسى عليه الصلاة والسلام؛ لأنَّه لم يكن مع موسى غيرها. وسيأتي مزيد بيان عن معنى الأهل في القرآن الكريم.

وورد في الحديث: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل في حجرة عائشة رضي الله عنها، فقال: «**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله**». فقالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[(١)].

فالحاصل أن المراد من أهل بيت النبي أصلًا وحقيقةً أزواجه عليه الصلاة والسلام، ويدخل في الأهل أولاده وأعمامُه وأبناؤهم أيضا تجاوزًا.

كما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدخل في كسائه فاطمة والحَسَنَيْن وعليًا وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**»[(٢)]. ليجعلهم شاملًا في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فكرة تقديس آل البيت غريبة عن الثقافة الإسلاميَّة:

إن ممَّا سيطر على مفاهيم الشِّيعة الاثني عشريَّة فكرة «التقديسات» الكثيرة، والمبالغة الَّتي ابتليت بها أديان ونِحَل عديدة: وثنيَّة، وكتابيَّة؛

---

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٧٩٣).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٨٨): وقال مخرجوه: حديث صحيح. عن واثلة بن الأسقع.

حتَّى تضخَّمت وتجسَّمت، وتجاوزت بها الحدود المعقولة، فلم تعد تُطاق من ناحية الواقع، ولم يعد حتَّى في الإمكان تصوّرها، وبذلك فاقت الخيال!

وقد ظهرت بدايات هذا الانحلال الفكري في عهد الصحابة، فقاوموه، حتَّى اختفى؛ لكنَّه عمل بطرق خفية ملتوية غير مكشوفة، منسوبة إلى آل البيت النبوي، وأحيانًا إلى أبناء ابنته فاطمة الزهراء: أحب أولاده إليه ﷺ على وجه التحديد!

ثم ظهر في أواخر القرن الثالث الهجري، بعقيدة محبوكة حبكًا يكاد أن يكون محكمًا، له أصوله وفروعه، وعقائده، دون أن يحسَّ النَّاس خلال القرن الأوَّل والثاني والثالث بهذا العمل، الَّذي تمَّ في السرِّ وفي الظل، يخطِّط له المخطِّطون، ويُرتِّب له المرتِّبون، ويتهيَّأ آخرون ليوم قادم، يعلنون عنه، ويدعون إليه، ويدافعون عنه، ويُظهرون براعتهم في الذود عن مدرسته وأئمته وتراثه.

وكان من أوائل ما أثاروه أمرٌ ضخَّموه تضخيمًا عظيمًا، وأضافوا إليه إضافات هائلة، عندما ننظر إليها في الحقيقة لا نجد شيئًا ذا بال! هذا الأمر هو العِتْرة، أو الآل، أو آل البيت. وكانوا يرون أن هؤلاء الآل عندهم من أسرار الدين وخصائصه، ما ليس عند سائر الناس.

وغَلَوْا في هذا الأمر، حتَّى تضخَّم بصورة مَرَضية، لا يعرفها صحيح الإسلام، ولا يرضاها، ولا يسكت عنها؛ إذ المعروف أن القرآن كتاب الله للناس جميعًا، ليس لأحد فيه علم أكثر من غيره؛ إلا بمقدار ما يميز الله به شخصا عن آخر، في أي علم أو فن أو خبرة، له صلة بالقرآن.



جاء عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، وما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[1].

ولم يثبت أن في الإسلام آلًا وأشرافًا، وأنَّ منهم أصحابًا هم جمهور المؤمنين. وإنَّما هناك آل بيت النبي: وهم أزواجه ونساؤه اللاتي نزلت فيهن سورة الأحزاب، كما نزلت سورة هود في آل بيت إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢ ـ ٧٣].

بدعة فارسيَّة:

فتح الله على المسلمين بلاد فارس، وانتشر ضياء التوحيد؛ وتبدَّدت عبادة النيران؛ وإذا كان بعض الفرس قد أسلموا وحسن إسلامهم، ودافعوا عن الإسلام، واشتغلوا بكتاب الإسلام، وعلومه وفقهه وأصوله، وبسنة رسول الإسلام وهديه وسيرته، فإنَّ منهم من نظر إلى الإسلام نظرة غير صحيحة، فاعتبر أن في الإسلام ما في الكسروية الفارسية، وأن القرابة لها تأثيرها المباشر وغير المباشر، كما في ديانة المجوس، وكذلك النسب النبوي له في ديانة الإسلام، ما للقرابة الملكية الكسروية في الديانة المجوسية!

والحقيقة أن هذه فكرة غير صحيحة، ولا أساس لها من تعاليم الإسلام، ولا من أصوله، ولا من فلسفته ولا من تاريخه!

---

(١) رواه البخاري في العلم (١١١).

اقرأ العقلية الشِّيعيَّة وحللها؛ فماذا تجد؟

من يقرأ كُتُب الشِّيعة الإماميَّة، ويزداد مطالعة لها، سابرًا لأغوارها، يظهر له منها شيء يعتبرونه حقيقة مؤكدة، يعلنونها على الناس، وينادون بها في المشارق والمغارب، هذه الحقيقة الَّتي انفردوا بمعرفتها، وخصهم بها القدر الأعلى ـ كما زعموا ـ هي: أن النَّاس خلقهم الله تعالى صنفين:

صنف هم أهل بيت النبي ﷺ، وهم الصنف المرتضى والمحبوب، والمُكرَّم والمُميَّز عند الله تبارك وتعالى.

والصنف الآخر، هم سائر الناس، الَّذين يحملون الرسالة، ويدافعون عنها، ويلقون من أهلها وخصومها ما يلقون من الأذى والشدائد وسائر الأهوال.

ولا بد للناس أن يفرقوا بين هذين الصنفين، أو هاتين الطائفتين، فلكلٍّ منهما مقامه ومنزلته، ولا يجوز لأحدهما أن يتخطَّى مقامه، أو يتطاول إلى ما ليس له.

فهل هذه حقيقة مسلَّمة، تقوم عليها الأدلَّة القاطعة من القرآن الكريم، ومن السُّنَّة النبويَّة الصحيحة، ومن إجماع الأمة المؤكَّد؟

تميز فئة معينة على سائر الأمة:

فكرة المذهب الشِّيعي قائمة على أن فئة معيَّنة من البشر، متميِّزة على خلق الله جميعًا، ولها فضل عليهم جميعًا، بحكم خلقتها، وأنها تستحق وحدها أن تحكمهم وتتولَّى أمرهم، وإن لم يختاروها؛ لأنَّها قد اختيرت من السماء.



وهذه الفكرة منافية لفكرة الإسلام العامَّة: أن النَّاس كلَّهم سواسية كأسنان المشط، وأنَّهم جميعًا ينتمون إلى خالق واحد، ويُنسبون إلى أب واحد، وأنَّهم جميعًا خُلقوا من ماء مهين، فلا فضل لأحد منهم على آخر إلا بالتقوى. كما أعلن ذلك القرآن بجلاء ناصع: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأنَّ النَّاس إنَّما يتفاضلون بأعمالهم لا بأنسابهم، «**ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه**»[1]. والقرآن يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. ثمَّ ذكر أن الحَكَم بين النَّاس هو الميزان، الَّذي يوضع يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئًا.

من يقرأ القرآن لا يجد هذه النزعة فيه:

الحقيقة الأكيدة الَّتي وجدتها لائحة بيِّنة أمامي: أنَّ هذه من دعاوي الشِّيعة الَّتي لا يقوم عليها برهان ساطع، ولا يؤازرها دليل قاطع، من القرآن الَّذي نحفظه من صغرنا، ويحفظه منا الملايين من المسلمين في أكناف الأرض من العرب والعجم، والمشرق والمغرب.

والذي يقرأ القرآن الكريم كله، مكيَّه ومدنيَّه، يستوثق استيثاقًا لا ريب فيه: أنه دين جاء للناس جميعًا، لا يُفرِّق بين جنس وجنس، ولا بين لونٍ ولون، ولا بين إقليم وإقليم، ولا بين لغة ولغة، ولا بين طبقة وطبقة، باعتبارهم جميعًا من خلق الله تعالى، وينكر على اليهود اعتبار أنفسهم دون البشر: شعب الله المختار، قال تعالى:

(١) رواه مسلم في الذكر (٢٦٩٩)، وأبو داود في العلم (٣٦٤٣)، عن أبي هريرة.



﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

واعتبار المسلمين أمَّة متميِّزة عن غيرها، ليس كما يعتبر اليهود أنفسهم أنَّهم شعب الله المختار؛ وإنَّما يتميَّز المسلمون باعتبارهم أمة تؤمن بالله تعالى، وتدعو إليه، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، فتستحق بذلك تمييز الله تعالى ورضوانه. وهذا أمر متفق عليه: أن تميز الأمم إنَّما يكون بالخصائص النفسية والعقلية والخُلقية والعمليَّة، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هل في القرآن تمييز لأهل بيت الرسول؟

فهل في طول القرآن وعرضه نجد تمييزًا لأهل بيت الرسول ﷺ ؟

الذي يقرأ القرآن كله، يجد أنَّ القرآن لا يعتبر لنسب الإنسان قيمة في التَّمييز بين الناس، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وجعل القرآن اختلاف النَّاس في لغاتهم وألوانهم آية من آيات الله تعالى، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

وقد قال الرسول ﷺ لأقرب النَّاس إليه: «**يا عبَّاس بن عبد المطلب، اعمل فإني لا أغني عنكَ من الله شيئًا، يا صفية بنت عبد المطلب،**



اعملي فإني لا أغني عنكِ من الله شيئا، يا فاطمة بنت مُحَمَّد، اعملي فإني لا أغني عنكِ من الله شيئًا»[١].

وقال في حديث آخر مُتَّفق عليه: «**وايم الله، لو أنَّ فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت لقطعت يدها**»[٢]. وحاشاها رضي الله عنها!

وقد اتفق المسلمون على أنَّ الله خلق الجنَّة لمن أطاع أوامره، واجتنب نواهيه، ولو كان عبدًا حبشيًّا، وأنَّه تعالى خلق النار لمن عصى أوامره، وارتكب نواهيه، ولم يتب من ذلك، ولو كان شريفًا قرشيًّا.

فالنجاة عند الله ليست بالنسب؛ وإنَّما بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

آل بيت الرسول في القرآن الكريم:

ولما كان القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، فما أُجمل في مكان، فإنَّه قد فُسِّر بمكان آخر. فأهل الرجل وأهل بيته هي زوجته، والَّذي يتتبع القرآن الكريم يجد كلمة «أهل البيت» ذُكِرتْ في القرآن مرتين:

مرة مع إبراهيم عليه السلام عند ذكر زوجته سارة الَّتي تمثل أهل بيت خليل الله ورسوله أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى في زيارة الملائكة لبيته، وكلامهم عن امرأته: ﴿**فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: ٧١ ـ ٧٣].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.



فهنا نجد الملائكة تخاطب امرأة إبراهيم بقولهم: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾. تخاطب المرأة خطاب جمع المذكر: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ وليس هذا غريبًا في خطاب المرأة؛ بل هو مألوف من عهد إبراهيم وما بعده.

وفي عهد موسى: ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ [طه: ١٠].

وحتى امرأة العزيز خاطبت زوجها فقالت كما حكى القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٢٥]. أي: بزوجتك[1].

والموضع الثاني الَّـذي ذكر القرآن فيه: أهل البيـت، هو ما جاء في سورة الأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۞ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. وهـي تخاطب نساء النبي في جملة آيات مفصَّلات. وكما جاء فيها قوله تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحـزاب: ٣٢، ٣٣] فالخطـاب بصيغة جمـع المذكَّـر هنـا كما في خطـاب سـارة امرأة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وإن كان هذا خطابًا لامرأةٍ واحدة، وأما في خطاب نسـاء النبي مُحمَّد عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فإنَّه خطاب لتسع نسوة.

(١) وهناك أدلة مماثلة أخرى في سور: القصص والنمل والأعراف والعنكبوت والصافات.



فهذا صريح القرآن في خطاب الإناث بصيغة الذكور، فخطاب نساء النبي هنا في غاية الصراحة القرآنية المبينة، وأما دخول غيرهن في ذلك فهو ملحق بهن، فهن الأصل، والآخرون ـ وإن عظمت منزلتهم ـ لهم تبع.

والعجيب أن الإماميَّة يخرجون نساء النبي ﷺ من حكم الآية محتجين بكونهن إناثًا، وفي الوقت نفسه يدخلون فاطمة رضي الله عنها تحت حكمها!

دعوى الشِّيعة في آل البيت:

لكن يفترض الشِّيعة الاثنا عشريَّة أن هناك خلافًا أساسيًّا نشأ بين آل مُحَمَّد ﷺ وبين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ويبالغ الشِّيعة كما هي عادتهم دائمًا في تضخيم الآل وتوسيع قاعدتهم، بحيث يُخيَّل إليك كأنَّ المسلمين منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام منقسمون إلى فئتين: آلٌ، وأصحاب.

وهذا وهم كبير، لم يُرَ ولم يُعرف إلا عند هؤلاء الَّذين يفترون الكذب على الله تعالى، وعلى القرآن، وعلى الرسول، وعلى الصحابة، وعلى الآل، وعلى الأمة، وعلى التاريخ كله!

عندنا نحن المسلمين أعظم وثيقة دينيَّة تاريخيَّة موثَّقة عن الحياة الإسلاميَّة، وعن نشأة الدين الإسلامي، وعن رسوله مُحَمَّد ﷺ، وعن أسرته، وعن صحابته، وعن تاريخه، وعن كل صغيرة وكبيرة فيه، وهي القرآن، وإذا قرأنا القرآن لم نجد شيئًا فيه عن آل مُحَمَّد خلال هذا التاريخ الدعوي المتواصل، إلا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. وأن رسول الله ﷺ وجَّه إليهم الدعوة عند الصَّفا، واجتمع إليه النَّاس ملبِّين، فلم يعهدوا من مُحَمَّد هزلًا في موضع الجد، أو كذبًا في موضع الصدق، وكان الَّذين دُعُوا من كل بطون قريش، ولم يكن الآل ملحوظين فيهم، وإن نوديت منهم فاطمة بنت



مُحَمَّد رضي الله عنها وصلى على أبيها، فقيل لها: «**اعملي يا فاطمةُ، فإنِّي لا أغني عنكِ من الله شــيئًا**»[١]. كما نادى النبي ﷺ عمــه العباس، ونادى عمَّته صفية بنت عبد المطلب: أن تعمل ويعمل أخوها، لأنَّه لن يغني عنهما من الله شيئًا[٢].

لم يأتِ في القرآن آيات خاصَّة توصي بأقرباء الرســول الأشد قرابة من غيرهم، كما تزعم الشِّيعة؛ وإنَّما ورد في صحيح مسلم: قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة، وعليه مِرْط مُرَحَّل، من شَعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحسين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله، ثمَّ قــال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»[٣].

ونحن نأخذ بهذا الحديث، وإن لم يرضَه الإمام البخاري، ونرى أن من حقِّ النبي ﷺ أن يلحق ابنته وزوجها وابنيها بالآية، لما لهم من حق خاص، وإن كان أصل الآية في نساء النبي عليه الصلاة والسلام، وهو أمر واضح غاية الوضوح.

ليس في القرآن الكريم تقديس لآل البيت:

ومن يقرأ القرآن الكريم الَّــذي أنزله الله وحفظه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجـر: ٩]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلـت: ٤١، ٤٢]. لن يجد لآل مُحَمَّد ذكر من قريب ولا بعيد، لا باللفظ ولا بالإشــارة، ولا بأي سبيل من السبل الَّتي توصل إلى أدنى شيء ممَّا يقوله هؤلاء.

(١) سبق تخريجه صـ ٣٦٦.

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٦٦.

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٤).



ولكن انظر إلى ما تجد للصحابة أو لعموم المؤمنين في القرآن الكريم، إن القرآن كله هو لكل المسلمين في العالم، وأولهم الصحابة الذين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

اقرأ في سوة البقرة قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨].

آل البيت في السُّنَّة النبويَّة:

وفي السُّنَّة النبويَّة المطهرة نجد الوصيَّة بآل البيت رضوان الله عليهم، كما روى مسلم في صحيحه، من حديث زيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ



قال: «**فإنَّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربِّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثَقَلَيْن: أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**». فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثمَّ قال: «**وأهل بيتي، أُذَكِّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**»[(١)].

وكذلك الأمر بالصلاة عليهم، والدعاء لهم في التشهد؛ كما في حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسولَ الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «**قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّد، وعلى آل مُحَمَّد، كما صلَّيت على آل إبراهيم، إنَّك حميد مجيد، اللهمَّ بارك على مُحَمَّد، وعلى آل محمَّد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٢)].

وكذلك تحريم الصدقة عليهم فهي من أوساخ الناس؛ وهم مُنزَّهون عنها؛ وقد كان النبي ﷺ يقضي حوائجهم من الخمس، قال ﷺ: «**إنَّ الصدقة لا تنبغي لآل مُحَمَّد إنَّما هي أوساخ الناس**»[(٣)].

تحديد مفهوم أهل البيت:

يتضح من المعنى اللغوي وسياق الآيات القرآنية مدلول آل البيت ينطبق على أزواج النبي ﷺ بالأصالة، ثمَّ بقيَّة أقاربه ﷺ تبعًا.

الشيعة وحصرهم آل البيت في طائفة معدودة:

لم يحصر الاثنا عشريَّة الآل في بني عبد مناف، فيزاحمهم الأمويون وغيرهم، ولم يحصروهم في بني هاشم، وهم أخص وأقرب إلى

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في (٤٧٩٧)، ومسلم في الصلاة (٤٠٦).

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٠٧٢)، وأحمد (١٧٥١٨)، عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث.



رسـول الله منهم، ولم يحصروهم في آل عبد المطلب، ليشـمل الآل أعمام النبـي ﷺ: العباس وحمـزة وأبناءهم، ولـم يقصروها على آل أبي طالب؛ من عليّ وإخوته؛ كجعفر، وعقيل رضي الله عنهم، ولم يقصروهم على العلويين، فيدخل فيهم مُحَمَّد بن عليٍّ المشـهور بابن الحنفيَّة، إذ أمه من بني حنيفة!

بل لم يقبلـوا دخول أبنـاء الحسـن بن علي فـي الآل، فيزاحموا آل الحسين، وكل من الحسن والحسين متشابهان في كل شيء، في الأب وفي الأم، والحسـن أكبر في السـنّ، فقد وُلد أولًا، والحسين ثانيًا، مع كون الحسن كان أشبه بالنبي ﷺ من الحسين، في خَلْقه وخُلُقه، كما هو معروف، وقد أثنى عليه النبي ﷺ، فقال: «**إنَّ ابني هذا سـيِّد، وسيصلح الله به بين فئتَيْنِ من المسلمين**»[1].

وقد أصلح الله بيـن الفئتين الكبيرتَيْن اللتَيْـن كانتا تقتتلان، وتنازل الحسـن لمعاوية عن الخلافة، وصدقت النبـوءة، وانعقد عقد الأمَّة مرَّة أخرى.

ومع هذا أخرج الشِّيعة الاثنا عشريون الحَسَـنِيِّين من الآل، فالأئمَّة التسعة بعد الحسين من ذريته، وليس لأبناء الحسن من الأمر شيء!

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وأمَّا الشِّـيعة، فحصروا أهل بيت النبوة في هؤلاء الأربعة: علي، وفاطمة، ثمَّ الحسن، والحسين. وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثمَّ اخترعوا طريقة أخرى، فأخرجوا أولاد علي غير الحسـنين رضي الله عنهم من أهل البيت، ولا يعدون بقيَّـة أولاده من أهل البيت،

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٩.



وهم: مُحَمَّد ابن الحنفيَّة، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعبيد الله، ويحيى، ولا أولادهم من الذكور الاثني عشر، ولا من البنات الثماني عشرة، كما أخرجوا بنات فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: زينب، وأم كلثوم وأولادهما من أهل البيت. وهذه نكتة وطريفة. ومثل هذا الحسن بن علي، حيث لا يجعلون أولاده داخلين في أهل البيت، وكذلك أخرجوا من أهل البيت كلًّا من أولاد الحسين من لا يهوى هواهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا ينهج منهجهم، وهذا أطرف من الأول.

والجدير بالذكر أنَّهم أخرجوا بنات النبي ﷺ الثلاثة غير فاطمة، وأزواجهن، وأولادهن من أهل البيت بدائيًّا، ولا ندري أي تقسيم هذا، وأية قسمة هذه، وعلى أي أساس ابتنوها واختاروها؟!

ثم وفي التعبير الصحيح والصريح: أن الشِّيعة لا يرون أهل البيت إلا نصف شخصية فاطمة، ونصف شخصية علي، ونصف شخصية الحسن. وبقيَّة الأئمَّة التسعة عندهم من الحسين إلى الحسن العسكري، والعاشر المولود الموهوم المزعوم، الَّذي لم يُولد قطعًا، ولن يُولد أبدا!

فهذه هي حقيقة مفهوم أهل البيت عند القوم»[1].

أمهات المؤمنين من آل البيت بيَقِين:

إنَّ ممَّا يعجب له الإنسان: أن يختلف النَّاس في البيِّنات الواضحات، وهي أظهر من الشمس في الضحى. وقد قيل: توضيح الواضحات من المشكلات.

وقد وجدنا الشِّيعة الإماميَّة ينفون أن تكون أمنا عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أو غيرها من زوجات النبي داخلة في مفهوم آل البيت، مستدلين بحديث «**الكساء**»

---

(١) الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير صـ٢٠، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان.



الَّذي رواه مسلم: أنَّ النبيَّ ﷺ ضم إليه فاطمة وعليًّا، وحسنا وحسينا تحت كسائه، وقال: «**هؤلاء أهلُ بيتي**»[(١)].

وقد استغربت واستغرب معي كثيرون؛ أن يكون أزواج النبي وخصوصًا عائشة أحب أزواجه إليه غير داخلات في أهل بيته! مع أن أقرب النَّاس إلى الإنسان زوجه وأهله، اللائي قال عنهم القرآن: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾ [البقرة: ١٨٧].

سياق آية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾:

ومن يقرأ الآية المذكورة من سورة الأحزاب ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣] في سياقها، ويقرأ ما قبلها وما بعدها، يستيقن بما لا يدع مجالًا للشك: أن المخاطَب بهذه الآية الكريمة، وما قبلها وما بعدها: هنَّ أمهات المؤمنين، وعائشة منهنَّ يقينًا، وهو صريح الآيات الَّتي لا تخفى على قارئ للقرآن يفهم العربيَّة.

ولنفتح المصحف الشريف على سورة الأحزاب، ولنقرأ هذه الآيات في سياقها البيِّن الواضح الجليِّ، يقول تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا**

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٤)، عن عائشة.

مَّعْرُوفًا ۝ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ ـ ٣٤].

أيُّ بيان أجلى من هذا البيان القرآني؟!

إن الخطاب القرآني يبدأ بهذا النــداء، ويذكره مرتين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ بصريح العبارة؛ وليس بعد التَّصريح التباس. وفي هذا الســياق جاء قوله تعالــى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وبعدها تأتي هذه الآية الأخيرة ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

فكيف يقول تعالى في كتابه بلسان عربي مبين: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ ويكررها في الســياق مرتين، ويأتي الخطاب بنون النسوة، وضمير النسوة: ﴿كُنتُنَّ﴾ ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ ﴿تُرِدْنَ﴾ ﴿لَسْتُنَّ﴾ ﴿ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ ﴿تَخْضَعْنَ﴾ ﴿وَقُلْنَ﴾ ﴿وَقَرْنَ﴾ ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ ﴿وَأَقِمْنَ﴾ ﴿وَءَاتِينَ﴾ ﴿وَأَطِعْنَ﴾ ! ثمَّ يقال: إن نساء النبي لا يدخلن في هذا الخطاب؟

أقوال المفسرين في هذه الآية:

لقد ذكر ذلك مفسرو القرآن من الســلف بوضوح؛ فقد نقل الحافظ الســيوطي في «الدر المنثور»[1] قال: أخرج ابن أبي حاتم، وابن عساكر

---

(١) الدر المنثور (٦٠٣/٦)، نشر دار الفكر، بيروت.



مـــن طريق عكرمة، عـــن ابن عبّـــاس في قولـــه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نزلت في نســـاء النبي خاصَّة، وقال عكرمة: من شاء باهلته[1]؛ إنَّما نزلت في أزواج النبي ﷺ[2].

وأن ابن مردويه أخرج في تفســـيره عن طريق سَـــعِيد بن جُبَيْر، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نزلت في نساء النبي ﷺ.

كما نقل عن ابن سعد أنه أخرج عن عروة: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: يعني أزواج النبي ﷺ، نزلت في بيت عائشة[3].

وقال: وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن عكرمة ـ مولى ابن عبَّاس ـ في قولـــه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ قال: ليس بالذي تذهبون إليه، وإنَّما هو نساء النبي ﷺ[4]. وكأنه يرد على القائلين بأن الآية في أصحاب الكساء الخمســـة! وقد رأيناه يتحدَّى من يخالفه، ويقول: من شاء باهلته!

إلى هذا الحد كان الرجل موقنًا بمن تصدُق عليه الآية، إلى حدِّ المباهلة، الَّتي دعا إليها الرســـول ﷺ نصارى نجران، كما في سورة آل عمران. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

---

(١) باهلته: من المباهلة، وهي الملاعنة، وهي: أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منا، كما في النهاية في غريب الحديث مادة (ب. هـ. ل).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٠/٦٩)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات (١٩٩/٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٤) رواه الطبري في التفسير (٣٦٧/٢٠)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

شبهة زائفة:

وقد حاول بعضهم إثارة شبهة في الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ظنها تقلل أو تنال من وضوحها، وأنها خطاب لنساء النبي، وذلك حين قال: إن القرآن غيَّر أسلوبه من خطاب الإناث «منكن! لستُن! إلخ» إلى خطاب الذكور، إذ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فقال: ﴿عَنكُمُ﴾ ولم يقل: (عَنْكُنَّ) كأنه يشير إلى أن المقصود هنا ليس نساء النبي؛ بل آخرين.

ونسي هذا القائل: أن العرب في هذا المقام تخاطب النساء بخطاب الذكور، بل تخاطب المرأة الواحدة بخطاب جمع المذكر، والرجل منا حين يدخل على امرأته يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا يقول: السلام عليكِ، أو السلام عليكن.

وفي القرآن الكريم دلالة جليَّة على ذلك، في قصة إبراهيم حين بشرت الملائكة امرأته سارة بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. فخُوطبت زوجة إبراهيم بهذا القول: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وهي امرأة واحدة، بدليل ﴿أَتَعْجَبِينَ﴾ ولكنها خُوطبت بجمع المُذكَّر ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾. فما أشبه قوله تعالى لنساء النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] بقوله لسارة: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.



بل نرى موسى يخاطب امرأته (أهله) بخطاب جمع المذكر، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص: ٢٩].

فنجد موسى استخدم خطاب جمع المذكر في خطاب أهله، أي امرأته ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ ﴿ءَاتِيكُم﴾ ﴿تَصْطَلُونَ﴾. وبهذا سقطت هذه الشبهة، وبقي الخطاب كله مُوجَّهًا إلى نساء النبي ﷺ.

والعجيب أنَّهم يخرجون زوجات النَّبي بداعي خطاب الذكور؛ ثمَّ يُدخلون فاطمة رضي الله عنها في آل البيت بدلالة الآية نفسها؛ مع أنَّها أنثى؛ وهذا من العجب العُجاب!

شبهة حديث الكساء:

بقي هنا ممَّا يشغب به من يريد إخراج نساء النبي من الآية الَّتي نزلت في شأنهن، وهي تخاطبهن مباشرة باللفظ الصريح: ما رواه مسلم، عن عائشة، قالت: خرج النبي ﷺ غداة، وعليه مِرط مرحَّل (فيه صور الرحال) من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثمَّ جاءت فاطمة، فأدخلها معه، ثمَّ جاء عليٌّ فأدخله معهم، ثمَّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]. فهذا الحديث وما ماثله يضيف إلى الآية الكريمة آخرين، لم يكونوا في الأصل مخاطبين بها، ولكن النبي ألحقهم بهم، لما لهم من فضل ومنزلة عند الله.

---

(١) سبق تخريجه صـ ٣٦٩.



وقد روى الحديث الترمذي في سننه عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي البيت فاطمة وعلي، والحسن والحسين، فجللهم رسول الله بكساء كان عليه، ثمَّ قال: «**هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهِّرهم تطهيرًا**»[1].

فهؤلاء أدخلهم النبي الكريم في مضمون الآية بالإلحاق والقياس، على معنى أن نساء النبي قد أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرًا بنص القرآن. وهؤلاء الأربعة أهل بيته أيضًا، فهو يدعو الله ويرجوه أن تشملهم هذه الآية الكريمة.

وإن كان في بعض روايات هذا الحديث، سألت أم سلمة أن تكون منهم، فقال الرسول لها: «**لا، وأنتِ على خير**»[2]! وهذا عجيب؛ لأنَّها بنص الآية هي من أهل البيت. وهذا يشكِّك في صحة الأحاديث الَّتي ذكرت ذلك؛ إلا أن يكون قصده: أنت لست من هذه المجموعة الخاصَّة، وليس المراد أنَّها ليست من أهل البيت؛ لأن هذا يعارض نص القرآن. وقد حكم الترمذي عليه بالغرابة.

والراجح أنه لم يدخلها في الكساء مع كونها من أهل بيته؛ لأن خبر الكساء كان للتحضير لمباهلة أهل الكتاب، والمباهلة عند العرب لا تقع إلا بالنسب، على أنه ورد عنها ﵂ أنه أدخلها فيهم فقالت: يا رسولَ الله، ألستُ من أهلك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**بلى فادخلي في الكساء**»[3].

---

(١) رواه الترمذي في المناقب (٣٨٧١)، وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢٦٥٠٨)، وقال مخرجوه: حديث صحيح.

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٢٠٥)؛ وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه من حديث عطاء. عن عمر بن أبي سلمة.

(٣) رواه أحمد (٢٦٥٥٠)؛ وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والطحاوي في مشكلة الآثار (٢٤٢/٢)، عن أم سلمة.



وهذا يحمل على تعدد الواقعة أو أنه لم يدخلها حيث قصد المباهلة بآله، فلما حصلت المباهلة أدخلها لأنَّها منهم، بدليل ما صح في ذلك أيضًا عن واثلة رضي الله عنه، وأنَّه أدخله فيهم.

قال: سألت عن علي في منزله، فقيل لي ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله، إذ جاء فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وآله ودخلتُ، فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وآله على الفراش، وأجلسَ فاطمة عن يمينه وعليًا عن يساره، وحسنًا وحسينًا بين يديه وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ (اللهم هؤلاء أهلي) قال واثلة: فقلتُ من ناحية البيت: وأنا يا رسولَ الله من أهلك؟ قال: «**وأنتَ من أهلي**» قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي[1]!.

وهذا خارج عن المباهلة وإنَّما أدخله مع كونه ليس من آله نسبا لأن لفظ الآل يشمل من نصره وتبعه أيضا؛ كما قال تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ والله أعلم.

أوجه تكريم نساء النبي في الآيات:

ولا ريب أنَّ المتأمِّل في سياق الآيات الكريمة، يجد فيها تكريمًا وتمييزًا لنساء النَّبي من عدَّة أوجه؛ لأنهن خُيِّرن، فاخْترن جميعًا الله ورسوله والدار الآخرة، وأعرضن عن الحياة الدُّنيا وزينتها:

١ ـ فميَّزهن بأن من تعمل صالحًا تُؤتَى أجرها مرتين، ومَن تفعل فاحشة منهن يضاعف لها العذاب ضعفين.

٢ ـ وأن الله يريد ليُذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرًا.

---

(١) رواه ابن حبّان في إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة (٦٩٧٦)، وصححه الألباني في الروض (٩٧٦، ١١٩٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.



٣ ـ وفي السورة نفسها أخبر الله تعالى أن نساء النبي أمهات للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

٤ ـ وفي نفس السورة حرَّم الله على النبي أن يبدل أي واحدة منهن بأخرى ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢].

وكل هذه فضائل وكرامات لهؤلاء النسوة الطاهرات المفضَّلات، رضي الله عنهن جميعًا، وعن أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته.

لمسة وفاء من أزواج النبي ﷺ:

روى الشيخان، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي. فقال: «**إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتَّى تستأمري أبويك**». قالت: وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه. قالت: ثمَّ قال: «**إن الله جل ثناؤه قال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]». قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبويَّ، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. قالت: ثمَّ فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت[1].

مناقب آل البيت في مرويات أهل السُّنَّة:

والناظر لمرويَّات أهل السُّنَّة، وهم الكثرة الكاثرة من المسلمين، عن آل بيت الرسول ﷺ: لا يرى هذا الصراع الَّذي صنعته الشِّيعة الإماميَّة، ولا يجد هذه الحرب المستعرة الَّتي أوقدوها للنيل من صحابته؛ بل لا يجد ردة فعل توازي أو تقارب ما وضعه هؤلاء الضالون في مثالب أصحاب مُحَمَّد ﷺ وحواريه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٨٦)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٥).



لذا نجد فضائل أهل البيت ومناقبهم مبثوثة في دواوين أهل السُّنَّة، تعبر عن محبتهم لهم، وتقربهم إلى الله بذلك الحب، واستجابة إيمانية لوصية النبي ﷺ بآل بيته، وفيما يلي نماذج من مرويات في فضائل آل البيت:

مناقب خديجة رضي الله عنها:

روى الشيخان، عن أبي هُرَيْرة رضي الله عنه قال: «**أتى جبريل النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدامٌ** ـ أو طعام أو شراب ـ **فإذا هي أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشِّرها ببيت في الجنَّة من قصب، لا صخب فيه، ولا نصب**»[1].

وروى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها! فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدُّنيا امرأة إلا خديجة، فيقول «**إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد**»[2]. وفي رواية مسلم: «**إني قد رُزقتُ حبَّها**»[3].

وروى الإمام أحمد، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغرتُ يومًا، فقلت: ما أكثر ما تذكرها؛ حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرًا منها! قال: «**ما أبدلني الله عز وجل خيرًا منها، قد آمنتْ بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء**»[4].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨٢٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٢).

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٨١٨).

(٣) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٥).

(٤) رواه أحمد (٢٤٨٦٤): وقال مخرجوه: حديث صحيح. والطبراني (١٣/٢٣)، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٢٨١).



فضل فاطمة رضي الله عنها :

عن المسور بن مخرمة، أن رسول الله ﷺ، قال: «**فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني**»(١).

وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**حسْـبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجـة بنت خويلـد، وفاطمة بنـت مُحَمَّد، وآسـية امرأة فرعون**»(٢).

وروى الشيخان، عن عائشة، أن فاطمة قالت: إن رسول الله قال لها: «**يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين**». أو: «**سيدة نساء هذه الأمة**»(٣).

مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وروى البخاري، عن البراء، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لعلي: «**أنت مني، وأنا منك**»(٤).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، أن رسـول الله ﷺ قال: «**لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله علـى يديه**». قال: فبـات النَّاس يدوكـون(٥) ليلتهم أيُّهم يُعطاها، فلمَّـا أصبح النَّاس غدوا على رسـول الله ﷺ، كلهـم يرجو أن يُعطاها، فقـال: «**أيـن علي بـن أبي طالـب؟**». فقالوا: يشـتكي عينيه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧١٤)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٩).

(٢) رواه أحمد (١٢٣٩١): وقال مخرجوه: إسـناده صحيح على شرط الشـيخين. والترمذي في المناقب (٣٨٧٨): وقال: حديث صحيح. وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٠٣).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٨٥)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٥٠).

(٤) رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٩).

(٥) أي يخوضون ويموجون. النهاية في غريب الحديث مادة (د. و. ك).



يا رسولَ الله، قال: «**فأرسلوا إليه فأتوني به**». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتَّى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسولَ الله، أقاتلهم حتَّى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رِسْلك حتَّى تنزل بساحتهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: قال النبي ﷺ لعلي: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»(٢).

مناقب العباس بن عبد المطلب:

عن أنس رضي الله عنه، أن عمر بن الخطَّاب، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: «**اللهم إنا كنا نتوسَّل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، فاسقنا**». قال: فيُسقَوْن(٣).

وكلَّم عمر النبي ﷺ في صدقة العباس رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «**وأما العباس فهي علي، ومثلها معها**». ثمَّ قال: «**يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه؟**»(٤).

مناقب الحسن بن علي رضي الله عنهما:

روى الشيخان، عن البراء بن عازب قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي ﷺ وهو يقول: «**اللهم إنِّي أحبُّه فأحبَّه**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٠٦)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٠٤).

(٣) رواه البخاري في الاستسقاء (١٠١٠).

(٤) رواه مسلم في الزكاة (٩٨٣)، وأحمد (٨٢٨٤)، عن أبي هريرة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٤٩)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٢٢).



وروى البخاري، عن أســامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبــيِّ ﷺ، أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إنِّي أحبُّهما فأحبَّهما**»[١].

وروى البخاري، عن أنــس قال: لم يكن أحد أشــبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي[٢].

وصحَّ عن النبيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال في الحسن بن علي: «**إن ابني هذا سيِّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[٣]. وعند أحمد وغيره: «**إنه ريحانتي من الدنيا**»[٤].

مناقب الحسين:

عن ابن أبي نعم، قال: كنتُ شــاهدًا لابن عمر، وسأله رجل عن دم البعوض، فقال: ممَّن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا، يســألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ! وســمعت النبي ﷺ يقول: «**هما ريحانتاي من الدنيا**»[٥].

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة**»[٦].

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٤٧).

(٢) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧٥٢).

(٣) سبق تخريجه صـ ٣٩.

(٤) رواه أحمــد (٢٠٥١٦): وقال مخرجوه: حديــث صحيح. وابن حبان فــي مناقب الصحابة (٦٩٦٤).

(٥) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٤).

(٦) رواه أحمد (١٠٩٩٩): وقال مخرجوه: إسناده صحيح. والترمذي في المناقب (٣٧٦٨): وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى في الخصائص (٨٤٧٢).



وعن يعلى بن مرَّة قال: قال رسـول الله ﷺ: «**حسـين مني وأنا من حسين**»[1].

قالت عائشة: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرْط مُرحَّل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثمَّ جاء الحسـين فدخل معه، ثمَّ جاءت فاطمة فأدخلهـا، ثمَّ جاء علي فأدخله، ثـمَّ قال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»[2].

* * *

(١) رواه أحمد (١٧٥٦١): وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في المناقب (٣٧٧٥)، وحسنه. وابن ماجه في المقدمة (١٤٤)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٦٩٧١).

(٢) سبق تخريجه صـ ٣٦٩.

المحبَّة المتبادلة بين الصحابة وآل البيت

محبَّة الصحابة لآل البيت:

روى البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: ارقبوا محمدًا ﷺ في أهل بيته[(١)].

وروى الشيخان، عن أبي بكر أنه قال لعلي: والَّذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[(٢)].

وروى البخاري، أنه لما قيل لعمر: أوصِ يا أميرَ المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر، أو الرهط، الَّذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، فسمَّى عليًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبد الرحمن[(٣)].

وروى البخاري، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم[(٤)]!

---

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٧١٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠٣٥)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٥٩).

(٣) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٢).

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤٢٩٤).

موقف آل البيت من الصحابة

تفضيل عليٍّ لأبي بكر وعمر:

روى البخاري، عن مُحَمَّد ابن الحنفيَّة قال: قلت لأبي: أي النَّاس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثمَّ من؟ قال: ثمَّ عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[(١)].

وروى البخاري ومسلم، عن ابن أبي مُليكة، أنه سمع ابن عباس، يقول: وُضع عمر على سريره، فتكنَّفه الناس، يدعون ويُصلُّون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر، وقال: ما خلَّفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنتُ لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبتُ إنِّي كنتُ كثيرًا أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»[(٢)].

قال الإمام ابن تيمية في «المنهاج»: «وقد تواتر عنه أنه كان يقول على منبر الكوفة: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثمَّ عمر) روي هذا

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في أصحاب النبي ﷺ (٣٦٧٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨٩).



عنه من أكثـر من ثمانين وجهـا، ورواه البخاري وغيـره ولهذا كانت الشِّـيعة المتقدمون كلهم متفقين على تفضيل أبي بكر وعمر كما ذكر ذلك غير واحد»[١].

وروى سـويد بن غفلة والحكم بن جحل وإبراهيم بن علقمة وابن أبي ليلى وعبد الله بن سـلمة وجابر بن حميد وعلقمة بن قيس وغيرهم من أصحاب عليّ، عن علي رضي الله عنه أنه خطبهم فقال: «لا أجد أحدًا يفضّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حدَّ المفتري»[٢].

وننتقل إلى كتب القوم نستجلي حقيقة موقف آل البيت من صحابة النبي ﷺ، ليظهر حقيقـة العداوة الَّتي بدأها من أسَّسـوا هذا المذهب، وأنها لم تدر بخلد أئمَّة آل البيت الَّذين كذبوا عليهم وزيَّفوا أقوالهم.

فها هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الراشد الرابع عندنا، والإمام المعصوم الأوَّل عندهم، يذكر أصحابَ النبـي عامَّة، ويمدحهم، ويثني عليهم ثناء عاطرًا بقوله: لقد رأيت أصحـاب مُحَمَّد ﷺ، فما أرى أحدًا يشبههم منكم! لقد كانوا يُصبحون شُـعثًا غُبرًا، وقد باتوا سُجَّدًا وقيامًا، يراوحـون بين جباههم وخدودهـم، ويقفون على مثـل الجمر من ذكر معادهم، إذا ذُكر الله هملـت أعينهم حتَّى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب ورجاء للثواب[٣].

وهذا الإمام جعفر الصادق يقول: كان أصحاب رسـول الله ﷺ اثني عشر ألفًا، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء،

(١) منهاج السُّنَّة النبوية (٣٠٨/١).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية صـ٣٧٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٧٧/٧).



ولم يُر فيهم قــدري ولا مرجئ ولا حــروري ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير[١].

بل إن الإمام جعفرًا لم يكن يتولَّاهما فحســب، بل كان يأمر أتباعه بولايتهمــا، كما أورد الكُلَيْنــي في كتاب «الروضة مــن الكافي» فيقول صاحبه المشهور لدى القوم أبو بصير: كنت جالسًا عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخلت علينا أم خالد! فتكلمت؛ فإذا امرأة بليغة، فســألَتْه عنهما (أي أبي بكر وعمر) فقال لهــا: توليهما. قالت: فأقول لربــي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم[٢].

موقف أهل البيت من الصِّدِّيق:

ونريد أن نبيِّن موقف أهل البيت مــن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يذكر بيعة أبي بكر بعد وفاة رســول الله ﷺ، فيقول: فمشــيت عند ذلــك إلى أبي بكــر، فبايعته ونهضــت في تلك الأحداث حتَّى زاغ الباطل، وزهق، وكانت «كلمة الله هي العليا» ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسَّــر، وسدَّد، وقارب، واقتصد، فصحبته مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله جاهدا[٣].

وكان عليٌّ يرى الصديق أهلًا للخلافة، وأحــق النَّاس بها، وحينما سُــئل قرب وفاته بعد ما طعنه ابن الملجم: من سيكون الإمام والخليفة

---

(١) الخصال للقمي صـ٦٤٠، نشر مكتبة الصدوق، طهران.

(٢) روضة الكافي (١/١٩٨ ـ ١٩٩).

(٣) الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي (١/٣٠٦، ٣٠٧)، رسالة علي إلى أصحابه، تحقيق السيد جلال الدين.



بعدك؟ ألا توصي؟ فقال: ما أوصى رسول الله ﷺ فأوصي، ولكن إذا أراد الله بالناس خيرًا استجمعهم على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[1].

وهذا الإمام الرابع علي بن الحسين بن علي، روي عنه أنه جاء إليه نفر من العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني، أنتم المهاجرون الأولون ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]؟ قالوا: لا. قال: فأنتم الَّذين ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]؟ قالوا: لا. قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الَّذين قال الله فيهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠]. اخرجوا عني، فعل الله بكم[2]!

وهذا **زيد بن زين العابدين بن الحسين**، وقد سئل عن أبي بكر، كما يذكر صاحب «ناسخ التواريخ الشيعي»: أن ناسًا من رؤساء الكوفة وأشرافها، الَّذين بايعوا زيدًا حضروا يومًا عنده، وقالوا له: رحمك الله، ماذا تقول في حق أبي بكر وعمر؟ قال: ما أقول فيهما إلا خيرًا، كما لم أسمع فيهما من أهل بيتي (بيت النبوة) إلا خيرًا، ما ظلمانا ولا أحدًا غيرنا، وعملا بكتاب الله وسنَّة رسوله.

---

(١) الشافي صـ١٧١.

(٢) كشف الغمة للأربلي (٧٨/٢)، طبعة تبريز، إيران.



ويقول: لما سمع أهل الكوفة منه هذه المقالة رفضوه، ومالوا إلى الباقر، فقال زيد: رفضونا اليوم، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة[١].

الموقف من خلافة الصديق:

أما خلافة الصديق ﵁؛ فبصحتها وانعقادها وقيامها يستدل علي بن أبي طالب ﵁ على صحة خلافته وانعقادها، كما يذكر وهو يرد على معاوية بن أبي سفيان أمير الشام: إنه بايعني القوم الَّذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنَّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمَّوه إمامًا كان ذلك لله رضًا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولَّاه الله ما تولى[٢].

ويؤيِّد أن عليًّا لم يكن يرى الأمر كما يراه المتزعِّمون لولايته، ما رواه ابن أبي الحديد، عن عبد الله بن عبَّاس أنه قال: خرج علي ﵇ على النَّاس من عند رسول الله ﷺ في مرضه، فقال له الناس: كيف أصبح رسول الله ﷺ يا أبا حسن؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا. قال: فأخذ العباس بيد علي، ثمَّ قال: يا علي، أنت عبد العصا بعد ثلاث، أحلف لقد رأيت الموت في وجهه، وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق إلى رسول الله ﷺ فاذكر له هذا الأمر إن كان فينا أَعْلَمنا، وإن كان

(١) ناسخ التواريخ (٢/٥٩٠)، أحوال الإمام زين العابدين.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (١٤/٣٥).



في غيرنا أوصى بنا، فقال: لا أفعل، والله إن منعَنَاه اليوم لا يؤتيناه الناسُ بعده. قال: فتوفي رسول الله ﷺ ذلك اليوم[١].

وقد قال ابن أبي الحديد بعد ذكر أخبار السقيفة وبيعة أبي بكر: «واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جدًّا، ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع، لا تختلجه الشكوك، ولا يتطرق إليه الاحتمالات»[٢].

موقف الصديق من آل البيت:

وقد بادلهم الصديق محبَّة بمحبَّة، ورأى حقوق قرابة النبي أولى من قرابته، وأوصى بهم من بعده، روى البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أبو بكر: ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته[٣].

وروى الشيخان، عن أبي بكر أنه قال لعلي: والَّذي نفسي بيده، لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليَّ أن أصل من قرابتي[٤].

موقف أهل البيت من الفاروق:

وأما أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب الخليفة الراشد رضي الله تعالى عنه، فكان محبوبًا إلى أهل بيت النبي ﷺ.

يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يذكر الفاروق وولايته: ووليهم والٍ، فأقام واستقام، حتَّى ضرب الدين بجِرَانه[٥].

(١) شرح نهج البلاغة (٢/٥١).
(٢) المصدر السابق (٢/٥٩).
(٣) سبق تخريجه صـ ٣٨٧.
(٤) سبق تخريجه صـ ٣٨٧.
(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٢٠/٢١٨).



وقال الميثم البحراني الشيعي، شارح نهج البلاغة؛ شرحا لهذا الكلام: إن الوالي عمر بن الخطَّاب. وضربه بجرانه: كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه، كتمكن البعير البارك من الأرض[1].

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي الشِّيعي تحت هذه الخطبة: وهذا الوالي هو عمر بن الخطَّاب، وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيَّام خلافته طويلة، يذكر فيها قربه من النبي ﷺ واختصاصه له، وإفضاءه بأسراره إليه حتَّى قال فيها: فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلا منهم، فقارب وسدَّد حسب استطاعته، على ضعف وَجِدٍّ كانا فيه، ثمَّ وليهم بعده وال، فأقام واستقام حتَّى ضرب الدين بجرانه[2].

والخطبة الَّتي مدح علي فيها عمر، هي خطبة ألقاها في أيَّام خلافته؛ حيث لم يكن هناك ضرورة للتقيَّة الشِّيعيَّة، الَّتي ألصقوها تهمة بخيار الخلائق رضوان الله ورحمته عليهم[3].

وكان علي وهو قائد أهل البيت يعد الفاروق ملجأ للإسلام، ومأوًى للمسلمين ومرجعهم، فانظر كيف يصفه بهذه الأوصاف، ولقد استشاره في الخروج إلى غزو الروم، فقال له: إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتُنْكَب، لا يكن للمسلمين كَهف دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلًا مِحْرَبًا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله، فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت رِدْءًا للناس ومثابة للمسلمين[4].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن الميثم (١٠٣٠/٥)، نشر دار الحبيب، إيران، ط٢، ١٤٣٠هـ.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢١٨/٢٠).

(٣) الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير صـ٩٤، ٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٢٩٦/٨).



والقارئ حينما يقــرأ هذه الخطبة يعرف الحــبَّ المتدفِّق من خلال الكلمات للفاروق، والحرص على شــخصه وحياتــه، والرجاء والتمنِّي لبقائــه في الحكــم والخلافة، ذخرًا للإســلام والمســلمين رغم أنوف المبغضين والطاعنين فيه.

ولما غُسِّــل عمر وكُفِّن، دخل علي فقال: ما على الأرض أحد أحب إليَّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجَّى (أي المُكَفَّن) بين أظهركم[1].

هذا ولقد مدحه **ابــن عبَّاس** رضي الله عنه وهو أحد أعلام أهــل بيت النبوة وسادتهم وابن عم النبي عليه السلام بقوله: رحم الله أبا حفص، كان والله حليف الإســلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحســان، ومحــل الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقــل الحنفاء، وقام بحق الله صابرًا محتســبًا، حتَّى أوضح الدين، وفتح البلاد، وآمن العباد[2].

إكرام الفاروق أهل البيت واحترامه إياهم:

ولم تكن هذه العلاقات من طرف واحد؛ بل كان الفاروق يجل أهل بيت النبي ﷺ أكثر ممَّا كان يجل أهل بيته هو، وكان يُقدِّمهم في العطاء على نفســه وأهل بيته، ولقد ذكر المؤرخون أن الفاروق لما حدد العطاء من بيت المال قدَّم بني هاشم لقرابتهم من رسول الله ﷺ.

وفي «فتوح البلدان» للبلاذري عن مُحَمَّد بْن عجلان، قال: لما دوَّن عمر الدواوين. قال: بمن نبدأ؟ قالوا: بنفسك. قَالَ: لا، إنَّ رسول الله ﷺ أمامنا، فبرهطه نبدأ، ثُمَّ بالأقرب فالأقرب.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٢/١٩٣).
(٢) مروج الذهب للمسعودي (٣/٥١).



وعن جعفر بن مُحَمَّد عن أبيه أن عمر بن الخطّاب ألحق الحسن والحُسين بأبيهما، ففرض لهما خمسة آلاف درهم.

وعن جعفر ـ أيضًا ـ عن أبيه، قال: لما وضع عُمَر الديوان، استشار النَّاس بمن يبدأ، فقالوا: ابدأ بنفسك. قال: لا، ولكني أبدأ بالأقرب فالأقرب من رسول الله ﷺ. فبدأ بهم[١].

ومن إكرامه وتقديره لأهل البيت ما ذكره ابن أبي الحديد عن يحيى بن سعيد أنه قال: أمر عمر الحسين بن علي أن يأتيه في بعض الحاجة؛ فلقي الحسين عليه السلام عبد الله بن عمر، فسأله من أين جاء؟ قال: استأذنتُ على أبي فلم يأذن لي. فرجع الحُسين، ولقيه عمر من الغد، فقال: ما منعك أن تأتيني؟

قال: قد أتيتك، ولكن أخبرني ابنك عبد الله أنه لم يؤذن له عليك، فرجعت. فقال عمر: وأنت عندي مثله؟! وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم[٢].

ولم يكن عمر يستمع إلى أحد يطعن في علي بن أبي طالب، ولم يكن يتحمله، وقد نقل الطوسي والصدوق، عن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال وقع رجل في علي بن أبي طالب عليه السلام بمحضر من عمر بن الخطّاب، فقال له عمر: تعرف صاحب هذا القبر؟ أما تعلم أنه مُحَمَّد بن عبد الله ابن عبد المطلب؟ وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب؟ ويلك لا تذكرن عليًا إلا بخير، فإنك إن تنقصه آذيتَ هذا في قبره[٣].

---

(١) فتوح البلدان صـ٤٣٦ ـ ٤٣٧، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٦/١٢).

(٣) الأمالي للطوسي صـ٤٣١، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية بمؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، قُم، ط١، ١٤١٤هـ.



موقف أهل البيت من ذي النورين:

كما أحب آل البيت ذا النورين عثمان بن عفان: ثالث الخلفاء الراشدين، وصاحب رسول الله ﷺ، وزوج ابنتيه: رقية، وأم كلثوم، والَّذي حظي بشرف لم ينله الأولون، ولا الآخرون في أمة من الأمم!

مبايعة علي له ودفاعه عنه:

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لما قُتل ـ يعني الفاروق ـ جعلني سادس ستة، فدخلت حيث أدخلني، وكرهت أن أفرِّق جماعة المسلمين وأشق عصاهم؛ فبايعتم عثمان، فبايعته[١].

ولما حصره أهل البغي في بيته اشترك علي رضي الله عنه أوَّل الأمر بنفسه في الدفاع عنه «فقد حضر هو بنفسه مرارًا، وطرد النَّاس عنه، وأنفذ إليه ولديه، وابن أخيه عبد الله بن جعفر»[٢].

موقف عثمان بن عفان من آل البيت:

وتذكر روايات القوم أنَّ عثمان رضي الله عنه قد أعان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زواجه، وأعطاه جميع النفقات، كما جاءت الرواية عن علي قال: لمَّا تقدَّمت إلى رسول الله ﷺ طالبًا منه زواج فاطمة، قال لي: «**بع درعك وائتني بثمنها، حتَّى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما**». قال علي: فأخذت درعي، فانطلقت به إلى السوق، فبعته بأربعمائة درهم سود (هَجْرية)[٣] من عثمان بن عفان، فلما قبضتُ الدراهم منه، وقبض الدرع

(١) الأمالي للطوسي صـ٥٠٦ ـ ٥٠٧.

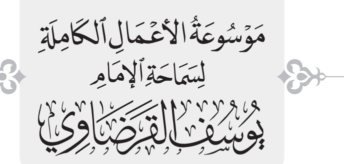
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٠/٢٥٦).

(٣) مَعْدِنٌ هَاجِرٌ: ثَمِينٌ، جَيِّدٌ، والهَجْرَةُ: السمينةُ التامة.

مني قال: يا أبا الحسن، ألستُ أولى بالدرع منك، وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم. قال: فإن هذا الـــدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم، وأقبلت إلى رســول الله، فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان، فدعا له النبي ﷺ بخير[١].

* * *

(١) المناقب للخوارزمي صـ٢٥٢، ٢٥٣، نشر المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، وبحار الأنوار للمجلسي (١٣٠/٤٣).



المصاهرات بين كبار الصحابة وآل البيت

مصاهرات الصِّدِّيق وآل البيت:

وكانت العلاقات وثيقة بين بيت النبوَّة وبيت الصِّدِّيق رضي الله عنه، لا يُتصوَّر معها التباعد، فالصِّدِّيقة عائشة بنت الصديق أبي بكر كانت زوجة النبي ﷺ، ومن أحب النَّاس إليه، وهي الطاهرة المطهَّرة، بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون.

وحفيدة الصدِّيق كانت متزوِّجة من مُحَمَّد الباقر الإمام الخامس، وحفيد علي رضي الله عنه، كما يذكر الكُلَيني في أصوله، حيث قال: «ولد أبو عبد الله عليه السلام سنة ثلاث وثمانين، ومضى في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة، وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع في القبر الَّذي دفن فيه أبوه وجده والحسن بن علي عليهم السلام، **وأمه أم فروة بنت القاسم بن مُحَمَّد** بن أبي بكر، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر»[1].

وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد بينهم؛ أنَّهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، كما ذكر الأصفهاني في «مقاتل الطالبيين» تحت عنوان «ذكر خبر الحسين بن علي بن أبي طالب ومقتله ومن قتل معه من أهله»، قال: **وكان منهم أبو بكر بن علي بن أبي طالب**، وأمه

(١) أصول الكافي (٥٣٧/١)، كتاب الحجة، باب مولد أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام.



ليلى بنت مسعود[١]. وهل هذا إلا دليل حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير من علي للصديق رضي الله عنهما ؟!

ولم يكن علي وحده على هذه الحال من التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصِّديق؛ **بل بعده سار بنوه أيضًا سيرته**، ونهجوا منهجه.

فهذا هو أكبر أنجاله وابن فاطمة وسبط الرسول: الحسن بن علي الإمام المعصوم الثاني عند القوم، يسمي أحد أبنائه بهذا الاسم كما ذكر اليعقوبي: «وكان للحسن من الولد ثمانية ذكور، وهم الحسن بن الحسن، وأمه خولة! **وأبو بكر** وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى، وطلحة وعبيد الله»[٢].

والحسين بن علي أيضًا سمَّى أحد أبنائه باسم الصِّدِّيق كما يذكر المؤرخ الشِّيعي المشهور بالمسعودي في «التنبيه والإشراف» عند ذكر المقتولين مع الحسين في كربلاء: «وممن قُتلوا في كربلاء من ولد الحسين ثلاثة: علي الأكبر، وعبد الله الصبي، **وأبو بكر** بنو الحسين بن علي»[٣].

والإمام السابع عند الشِّيعة موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمَّى أحد أبنائه بأبي بكر[٤]. والجدير بالذكر أن موسى الكاظم هذا سمَّى إحدى بناته أيضا باسم بنت الصديق، الصديقة عائشة كما ذكر المفيد تحت عنوان «ذكر عدد أولاد موسى بن جعفر وطرف من أخبارهم»:

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني الشيعي صـ٩١، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٨)، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) التنبيه والإشراف صـ٢٦٣، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، نشر دار الصاوي، القاهرة.

(٤) مقاتل الطالبيين صـ٤٥٣.



«وكان لأبي الحسن موسى عليه السلام سبعة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى، منهم علي بن موسى الرضا عليهما السلام ! وفاطمة! وعائشة وأم سلمة»[١].

مصاهرة الفاروق وآل البيت:

تزوَّج الفاروق عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد أقرَّ بهذا الزواج كافَّة أهل التاريخ والأنساب، وجميع محدِّثي الشِّيعة وفقهائهم وأئمَّتهم. يقول المؤرخ الشِّيعي أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه تحت ذكر حوادث سنة ١٧ من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «وفي هذه السنة خطب عمرُ إلى علي بن أبي طالب أمَّ كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله، فقال علي: إنها صغيرة! فقال: إنِّي لم أرد حيث ذهبت. لكني سمعت رسول الله يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله، فتزوَّجها وأمهرها عشرة آلاف دينار»[٢].

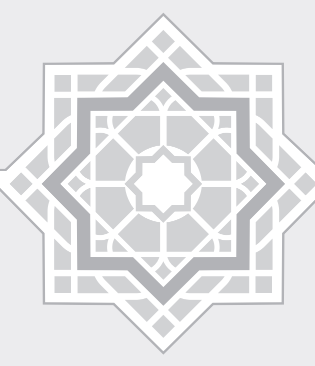
مصاهرات عثمان وآل البيت:

وكان من حب أهل البيت إياه أنَّهم زوَّجوا بناتهم من أبنائه، ولقد زوَّجه خير خلق الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه، وسمى آل البيت أسماء أبنائهم باسمه، كما ذكر المفيد أن واحدًا من أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان اسمه عثمان: «فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون! **عثمان أمه أم البنين بنت حزام** بن خالد بن ورام»[٣].

(١) الإرشاد للمفيد صـ٣٠٢، ٣٠٣، نشر المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، وراجع: الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير صـ٧٨ - ٨٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي (١٤٩/٢، ١٥٠)، وراجع: الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير صـ١٠٦.

(٣) الإرشاد للمفيد صـ١٨٦، تحت عنوان: ذكر أولاد أمير المؤمنين، وراجع: الشيعة وأهل البيت لإحسان إلهي ظهير صـ١٥٥.



الفصل السادس

التَّقِيَّة بين ضوابط الشرع وغلو الشِّيعة الإماميَّة



التَّقِيَّة بين ضوابط الشرع وغلو الشِّيعة الإماميَّة

من الأفكار الَّتي يعتقدها الشِّـيعة، ويخالفون فيها الأمة الإسلاميَّة: فكرة التَّقِية، أو عقيدة التَّقِية؛ وهي تعني عندهم أن يُظهر الشِّيعي خلاف ما يبطـن، وأن يكون له وجهـان: يلقى بأحدهما بعـض الناس، ويلقى آخرين بالوجه الآخر، وله لسانان! يحدث هؤلاء بلسان وهؤلاء بلسان، ولو أدى ذلك إلى الكذب والمراوغة، وخداع الناس، وهم يتدينون بهذا؛ ويجعلون لذلك أجرًا عظيمًا!

وأصل التَّقِية مباح في دين الله، لكنَّه للمضطر المكره؛ الَّذي يخشـى على روحه أن تَزهق، وعلى دمه أن يُسـفك، وعلى ماله أن يُنهب، وعلى بدنه أن يُعذب؛ إلا أنَّها عند الشِّيعة الإماميَّة تعني البراعة في خداع الناس، وكتمان ما يعتقده الشِّيعي عنهم، وخصوصًا المنتمين لأهل السُّنَّة!

التَّقِية عند أهل السُّنَّة:

والتَّقِية عند أهل السُـنَّة لا تعني ما ذهب إليه الشِّـيعة الاثنا عشريَّة؛ وإنَّما هي نوع من الإبقاء على النفس؛ اتقاء لمكروه، وتجنبًا لضرر. قال ابن القيم: «التَّقيَّة أن يقول العبد خلاف ما يعتقده، لاتِّقاء مكروه يقع به، لو لم يتكلم بالتَّقِية»[1].

(١) أحكام أهل الذمة (١٠٣٨/٢)، تحقيق يوسـف البكري وشـاكر العاروري، نشر دار رمادى، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.



أو هي: «كلُّ ما يُقال أو يُفعل، مخالفًا للحقِّ، لأجل توقِّي الضرر». كما يقول السيد مُحَمَّد رشيد رضا[1].

حقيقة التَّقِيَّة في الإسلام:

وأصل مشروعية التَّقِيَّة مأخوذ من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

ويقول تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [النحل: ١٠٦]. وواضح أن الآية تستثني حالة الضرورة الَّتي يلجأ فيها المسلم إلى مثل هذا الموقف، فرارًا من الهلكة، أو من ضرر كبير يحيق به.

يقول ابن كثير: وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾، أي: من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم ـ أي الكافرين ـ فله أن يتقيهم بظاهره، لا بباطنه ونيته.

وقال رَحِمَهُ اللهُ: وأما قوله: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾، فهو استثناء ممن كفر بلسانه، ووافق المشركين بلفظه مكرَهًا، لما ناله من ضرب وأذى، وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله[2].

(١) تفسير المنار (٣/٢٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٦٠٥).



وفي الحديث، عن النبيِّ ﷺ قـال: «**إن الله تجاوز عن أمَّتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه**»[١].

وأجمع أهل العلم على أنَّ التَّقِية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: «أجمعوا على أن من أكره على الكفر، حتَّى خشـي على نفسه القتل، فكفر وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان، أنه لا يحكم عليه بالكفر»[٢]. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قـال ابن بطَّال: «وأجمعوا على أن من أُكره على الكفر، واختار القتل: أنه أعظم أجرًا عند الله»[٣].

* * *

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والطبراني في الأوسـط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢): وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

(٢) فتح الباري (٣١٤/١٢).

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٢٩٥/٨)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

من مبادئ التَّقِيَّة في الإسلام

الأصل أن تكون التَّقِيَّة مع الكفار:

والتَّقِية في الإســلام إنَّما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]. قال ابن جريــر الطبري: «التَّقِية الَّتي ذكرها الله في هذه الآية إنَّما هي تقيَّة من الكفار، لا من غيرهم»[١].

ولهذا يرى بعض السلف أنَّه لا تقيَّة بعد أن أعز الله الإسلام، كما جاء عن معاذ بن جبــل ومجاهد: كانــت التَّقِية في جِدَّة الإســلام، قبل قوَّة المسلمين، أما اليوم، فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة[٢].

يقــول الدكتور القفــاري: ولكن تقيَّة الشِّــيعة هي مع المســلمين، ولا سيَّما أهل السُّــنَّة، حتَّى إنَّهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقيَّة كما قرَّره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك في نصوصهم الَّتي ينسبونها للأئمة[٣]!

التَّقِية رخصة في حالة الاضطرار:

والتَّقِية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك اســتثناها الله سبحانه من

(١) تفسير الطبري (٣١٦/٦).

(٢) تفسير القرطبي (٥٧/٤).

(٣) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٨٠٦/٢).

مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

فنهى الله سبحانه عن موالاة الكفار، وتوعَّد على ذلك أبلغ الوعيد، فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾، أي: ومن يرتكب ما نهى الله عنه من موالاة الكفار فقد برئ منه الله ومن فعله، ثمَّ قال سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم؛ فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته[1].

التَّقِيَّة ليست نهجًا عامًّا:

التَّقِية في الإسلام تمثل حالات استثنائية، ولا تمثل قاعدة في السلوك، بل يُلجأ إليها عند الضرورات الَّتي تبيح المحظورات، وهي تُقدَّر بقدرها، ولا يلحق بها غيرها؛ لأن ما جاء على سبيل الاستثناء يُحفظ ولا يُقاس عليه، وما جاء للضرورة لا يجوز أن يصبح مبدأً، أو قاعدة للتشريع أو للتربية والسلوك.

ولكن الشِّيعة الإماميَّة جعلوا هذا أصلًا في تعاملهم، ونقلوا عن أئمَّتهم ما يبرر لهم ذلك، فعن جعفر الصادق أنه قال: التَّقِية ديني ودين آبائي[2].

قال ابن تيمية معلِّقًا على هذه الكلمة: وقد نزَّه الله أهل البيت عن ذلك، ولم يحوجهم الله إليه، فكانوا من أصدق الناس، وأعظمهم إيمانًا، فدينهم التقوى لا التَّقية[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣٠/٢).

(٢) بحار الأنوار (٤٩٥/٦٣).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي صـ٧٣، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط ٣، ١٤١٣هـ.



يقول الدكتور القفاري: والتَّقِية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة، لا تمثل نهجًا عامًّا في سلوك المسلم، ولا سمةً من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي غالبًا حالة فرديَّة مؤقَّتة، مقرونة بالاضطرار، مرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه! ولكنها في المذهب الشِّيعي تعد طبيعة ذاتيَّة في بنية المذهب، وحالة مستمرة، وسلوك جماعي دائم.

والتَّقِية ملازمة للشيعي في كل ديار المسلمين، بل إن التَّقِية تجري حتَّى وإن لم يوجد ما يبررها، فأخبارهم تحث الشِّيعي على استعمال التَّقِية مع من يأمن جانبه؛ حتَّى تصبح له سجيَّة وطبيعة؛ فيمكنه التعامل بها حينئذ مع من يحذره ويخافه بدون تكلف ولا تصنُّع، فقد روت كتبهم: عليكم بالتَّقِية، فإنَّه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه، لتكون سجيته مع من يحذره[١].

ولأن التَّقِية لا تعني ـ بهذه الصورة ـ سوى الكذب والنفاق، وهو ممَّا تكرهه الفطرة السليمة وتمجُّه النفوس السوية ولا تقبله العقول، حاولت روايات الشِّيعة أن تحببها للأتباع، وتغريهم بالتزامها، فزعموا أنَّها عبادة لله، بل هي أحب العبادات إليه، جاء في الكافي: عن مُحَمَّد بن مروان، عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال: كان أبي عليه السلام يقول: وأي شيء أقر لعيني من التَّقِيَّة[٢]. وفي رواية: ما خلق الله شيئًا أقر لعين أبيك من التَّقِيَّة[٣][٤].

---

(١) أمالي الطوسي (١/١٩٩)، وبحار الأنوار (٧٥/٣٩٥).

(٢) أصول الكافي (٢/٢٢٠).

(٣) الخصال لابن بابويه صـ٢٢، وبحار الأنوار (٧٥/٣٩٤).

(٤) انظر: أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري (٢/٨٠٨ ـ ٨١٠).

التَّقِيَّة عند الشِّيعة:

عرّف الشيخ المفيد التَّقيَّة فقال: «التَّقِيَّة كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررًا في الدين أو الدنيا»[(١)].

ولا شـك أن التَّقِية عندهم هي خلاف مفهوم التَّقِية عند أهل السنّة؛ فهي لديهم ليسـت رُخصة، بل هي من أهم العقائد الَّتـي يؤمنون بها، ويتواصون بالتمسُّك بها، وهي ركن من أركان دينهم كالصلاة، أو أعظم.

يقول شيخ الإسـلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتَّقِية هي شعار النفاق، فإنَّ حقيقتها عندهم: أن يقولوا بألسـنتهم ما ليس فـي قلوبهم، وهذا حقيقة النفاق. ثمَّ إذا كان هذا مـن أصول دينهم، صار كل ما ينقله الناقلون عن علي أو غيره من أهـل البيت، ممَّا فيـه موافقة أهل السُّـنَّة والجماعة، يقولون: هذا قالوه على سبيل التَّقِية»[(٢)]!

منزلة التَّقِية عند الشِّيعة ورواياتهم في ذلك:

وقد اعتبر الشِّيعة عقيدة التَّقِية من أهم ركائز وأصول الدين عندهم، ومن لوازم الاعتقاد الصحيح وأساسياته، وجعلوا لها من الثواب والجزاء ما لا يعد ولا يُحصى.

المبالغة في مكانة التَّقِية:

وقد بلغ من إيمان الشِّيعة بالتَّقِية أنَّهم يعتبرونها تسعة أعشار الدين، فقـد روى الكُلَيْني بسـنده، عـن أبي عمـر الأعجمي قـال: قال لي

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية صـ١٣٧، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٣٧١هـ ش ـ ١٤١٣هـ ق.

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٦٣).



أبو عبد الله عليه السلام (جعفرٌ الصَّادق): إنَّ تسعة أعشار الدِّين في التَّقِية، ولا دين لمن لا تقيَّة له[١].

وهي من أهم أعمال الشيعي، فرووا أن عليًا قال: التَّقِية من أفضل أعمال المؤمن[٢].

وروى الكُلَيْني بسنده، عن مُحَمَّد بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن القيام للولاة، فقال: قال أبو جعفر عليه السلام: التَّقِية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيَّة له[٣].

وكذلك فإنَّهم يتواصَون فيما بينهم بأن يخالطوا غير الشِّيعة ظاهرًا ويخالفوهم باطنًا؛ فزعموا أن الباقر قال: خالطوهم بالبرَّانية، وخالفوهم بالجُوانيَّة[٤].

ورووا: التَّقِية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الإماميَّة وفارقه[٥].

تأويل الآيات عليها:

ووصل الأمر في اعتنائهم بالتَّقِية وتقديسها إلى حد تأويل الآيات عليها، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]. قال أبو عبد الله: الحسنة: التَّقِية، والسيئة: الإذاعة[٦].

---

(١) أصول الكافي (٢/٢٤٥ ـ ٢٤٦)، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية.

(٢) بحار الأنوار (٧١/٢٢٩).

(٣) أصول الكافي (٢/٢٤٨)، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية.

(٤) المصدر السابق (٢/٢٤٩).

(٥) بحار الأنوار (٧٢/٤٢١).

(٦) أصول الكافي (٢/٢٤٥)، كتاب الإيمان والكفر، باب التقية.



وعند المجلسي، قال الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال: أعلمكم بالتَّقِية[١].

وعلى تفسيرهم هذا، فأكرم النَّاس عند الله هو أكذبهم على الناس، وأخدعهم لهم، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله!

تارك التَّقِيَّة عندهم:

كما جعلوا تارك التَّقِية عندهم بمنزلة من ترك الصلاة، وفي هذا يروي المجلسي بسنده، عن الرضا قال: لو قلتُ: إنَّ تارك التَّقِية كتارك الصلاة؛ لكنت صادقًا[٢].

وهذا يدل على رفعهم التَّقِية إلى منزلة الصلاة، الَّتي هي عماد الإسلام، وأحد أركانه العظمى، وهذا من غرائبهم، إذ التَّقِية في التشريع القرآني والنبوي رخصة للمضطر المكره، فمن تركها وصبر وأخذ بالعزيمة فله الأجر العظيم. فالتَّقِية عند الشِّيعة تخالف ما نزل به القرآن الكريم، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

وجوب العمل بالتَّقِيَّة عندهم:

كما يرى الشِّيعة أن العمل بالتَّقِية واجب حتَّى يقوم قائمهم، ويعود غائبهم المنتظر، وفي هذا يروي المجلسي، عن عليِّ بن موسى الرِّضا أنه قال: لا إيمان لمن لا تقيَّة له، وإنَّ أكرمكم عند الله أعمَلُكم بالتَّقِيَّة. فقيل له: يا بن رسول الله، إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمِنا، فمَن ترك التَّقِيَّة قبل خروج قائمنا فليس منَّا[٣].

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي (٤٢١/٧٢).

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (١٨١/٥٠).

(٣) المصدر السابق (٣٢١/٥٢).



ويقول تقي الموسوي: فقد ورد في «كمال الدين» عن الإمام الرضا: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقيَّة له، إنَّ أكرمكم عند الله أعملكم بالتَّقِيَّة. فقيل له: يا بن رسول الله، إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم خروج قائمنا أهل البيت، فمن ترك التَّقِيَّة قبل خروج قائمنا فليس منا(١).

تميز الشِّيعي بالتَّقِيَّة:

وجعلوا هذه العقيدة هي المعيار لتميز الشِّيعي عن غيره، فهي أشرف أخلاق الأئمَّة وشيعتهم، وبها حفظ الدين، وحقوق الإخوان، فيروون عن الحسين بن علي بن أبي طالب أنه قال: لولا التَّقِيَّة ما عُرف وليُّنا من عدونا(٢).

ترك التَّقِيَّة عندهم ذنب لا يُغفر:

كما جعل الشِّيعة ترك التَّقِية من الذنوب الَّتي لا يغفرها الله، وفي هذا يروون عن علي بن الحسين عليه السلام، أنه قال: يغفر الله للمؤمنين كل ذنب، ويُطهَّر منه في الدُّنيا والآخرة، ما خلا ذنبين: ترك التَّقِية، وتضييع حقوق الإخوان(٣)!

وكيف لنا أن نصدق هذا الهراء، وقد تنزلت آيات القرآن الكريم تُتلى علينا، يعلن الله فيها مبدأ الإسلام الخالد: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]؟!

---

(١) وظيفة الأنام في زمن غيبة الإمام لـمحمد تقي الموسوي الأصفهاني صـ٦٠، نشر دار القارئ، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٤١٥/٧٢).

(٣) المصدر السابق نفسه.

محاولة خداع أهل السُّنَّة:

ويحاول بعض الشِّيعة خداع أهل السُّـنَّة بأن التَّقِيَّة إنَّما كانت لأجل الحفاظ على النفس والديـن، وخوف الأذى، وأنَّهـم يعملون بها حال الضرورة فقط! وأنَّهم ليس عندهم ما يخفونه!

ولكن الحقيقة أن كتبهم وفتاوى علمائهم وآياتهم تفضح هذه العقيدة.

التَّقيَّة من العامَّة:

فهذا أبو القاسـم الخوئي يسـتطرد في كتبه وفتاويه في الكلام عن التَّقِيَّة مبيِّنا أنَّ للتقيَّة معنيين: معنًى عام، ومعنًى خاص، ثمَّ يقول: «ويراد بالمعنى الخاص: التَّقِية المصطلـح عليها. أعني التَّقِية مـن العامَّة»[1]. والعامَّة: هم أهل السُّنَّة!

ويرى أن التَّقِية بالمعنى العام ـ أي من غير أهل السُّـنَّة ـ فمحكومة بالجواز، وأما التَّقِية بالمعنى الخاص ـ يعني من أهل السُّـنَّة ـ فهي «في الأصل واجبة، للأخبار الدالة على وجوبها، بل دعوى تواترها الإجمالي والعلم بصدور بعضها عنهم عليهم السلام»[2].

الخميني يصرح بأن التقيَّة قد تكون للمداراة:

وأما الخميني فيصرح بأن التَّقِيَّة ليست دائمًا حال الخوف، وأنها تكون مع أهل السُّنَّة بقصد جر مودتهم، أي إنَّهم يخادعون باسم جلب المودة، وفي هذا يقول: «فتارة تكون التَّقِية خوفًـا، وأخرى تكون مداراة! والمراد

(١) التنقيح شرح العروة الوثقى لأبي القاسم الخوئي (٢٥٤/٤)، نشر دار الهادي للمطبوعات، قُم، ط ٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.



بالمداراة: أن يكون المطلوب فيها جمع شمل الكلمة ووحدتها، بتحبيب المخالفين وجر مودَّتهم، من غير خوف ضرر؛ كما في التَّقِية خوفًا»[1].

ويُعلِّم الخميني أتباعه التَّقِية، وأقسامها، وأنواعها، وكيفية التعامل مع أهل السُّــنَّة من خلالها، ويبين أن التَّقِية لازمة للشيعة في تعاملهم مع أهل السُنَّة.

حتى إنه ليكشف أن التَّقِية مع أهل السُّنَّة لأجل المصالح، ولا يشترط أن تكون خوفًا على النفس، فيقول: «ثم إنه لا يتوقف جواز هذه التَّقِية بل وجوبها على الخوف على نفسه أو غيره؛ بل الظاهر أن المصالح النوعية صارت سببًا لإيجاب التَّقِية من المخالفين، فتجب التَّقِية وكتمان السر لو كان مأمونًا وغير خائف على نفسه»[2].

فانظر كيف يستحلُّون الكذب تقيَّة مع أهل السُّنَّة، من أجل خداعهم، وجلب مودتهم، ولو لم يكن هناك خوف! وأنَّهم لا يستعملون التَّقِية فقط في حال خوف الضرر، أو الأذى كما هو أصل مشروعيتها.

ولأنَّ الشِّــيعة يُكفِّرون أهل السُــنَّة، فقد رأوا أن التَّقِية واجبةٌ معهم، وجائزة مــع غيرهم من الكفار! يقــول الخميني: إن التَّقِيــة واجبةٌ بحق الســنّي، وإنها جائزة مع الكفّار من غير السنة، وهي الفاصلة بين الكفر والإيمان[3]!

هذا هو مذهب الشِّــيعة، الَّذي يقوم على الخفايا والأسرار، وإظهار عكس الباطن، من أجل خوف تعرض المذهب للزوال والانقراض!

---

(١) الرسائل للخميني (١٧٤/٢)، نشر مؤسسة إسماعيليان، ١٣٨٥هـ.

(٢) الرسائل للخميني (٢٠١/٢).

(٣) التنقيح شرح العروة الوثقى (٢٥٥/٤).

عز الدين عند الشِّيعة في التَّقِية به:

وكما اعتقد الشِّيعة أن التَّقِية بالمذهب هي سبب لبقائه وعدم اندثاره، يرون أيضًا أن التمسك بالتَّقِية والكتمان فيه عز الدين، وصيانته وحفظه، كما أن الذل في نشره وإذاعته.

وفي هذا يروي الكُلَيْني بسنده، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله: يا سليمان، إنكم على دينٍ، مَن كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله[١].

وروى أيضًا بسنده، عن الصادق أنه قال للمُعلَّى بن خُنَيْس: «يا مُعلَّى: من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلَّه الله في الدُّنيا والآخرة، ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار! يا معلَّى، إن التَّقِية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيَّة له، إن الله يحب أن يُعبد في السر، كما يحب أن يعبد في العلانية! يا مُعلَّى: إن المذيع لأمرنا كالجاحد له»[٢].

مخالفة التَّقِيَّة الإماميَّة الواضحة لمبادئ الإسلام:

ولا شك أن في هذا مخالفة واضحة لما نزل به القرآن الكريم، ولما كان عليه النبـي ﷺ وأصحابه. وهو قلب لأهم الحقائق الَّتي قام عليها منهج الإسلام، وهو أمر نشر هذا الدين، وتبليغ كل أجزائه وفروعه، مهما دقَّت أو صغُرت في عين من عرفها؛ فإن الله ﷻ أمر نبيه ـ والأمة له تبع ـ بتبليغ هذا الدين ونشره، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال الله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

ونشر هذا الدين وإعلان مبادئه هو منهج النبي وطريق كل من اتبعه،

(١) أصول الكافي (٢/٢٥٠)، كتاب الإيمان والكفر، باب الكتمان.

(٢) المصدر السابق (٢/٢٥٢)، وبحار الأنوار للمجلسي (٧٢/٤٢١).



قال تعالى آمرًا إياه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]. فطريقه هي الدعوة إلى الله على بصيرة، هو ومن اتبعه.

كما امتثل النبي ﷺ هذه الأوامر فبلَّغ دين الله، حتَّى ظهر نوره، وأشرقت شمسه، وترك أمته على الواضحة البيضاء، كما قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»(١).

وكذلك أمر أمته بالبلاغ، ونشر كل ما يصلهم عنه؛ ولو كان آية واحدة، فقال ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(٢)، وقال: «**نضَّر الله امرأً سمع منا شيئًا فبلَّغه كما سمع، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع**»(٣).

كما أثنى الله عز وجل في كتابه الكريم على الَّذين يبلِّغون رسالات الله، دون خوف من أحد، أو من لومة لائم، فقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ۞ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

حث الإسلام على قول الحق وذم كتمانه:

وقد حثَّت آيات القرآن الكريم على الصدع بالحق، ومقارعة الظلم، وبيان العلم، وذم كتمه، كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣]،

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢): وقال مخرجوه: حديث صحيح بطرقه وشواهده. وهو الحديث الثامن والعشرون من أحاديث الأربعين النووية.

(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه أحمد (٤١٥٧)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. والترمذي في العلم (٢٦٥٧)، وقال حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة (٢٣٢)، عن ابن مسعود.



وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

تحريم القرآن الكريم للكذب والوعيد عليه:

وقد حرَّم الله تعالى الكذب، ودعا المؤمنين إلى اجتنابه، فقال: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، وتوعَّد سبحانه الكاذبين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧].

ونهى سبحانه عن الكذب: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

ووصف الكاذبين بقوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

ذم ذي الوجهين في السنة:

وقد جاءت السُّنَّة النبويَّة تؤكد ما نصت عليه آيات القرآن الكريم من ذم ذي الوجهين واللسانين، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**تجد من شر النَّاس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الَّذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»(١).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٢٦) (٩٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.



روايات آل البيت في ذم ذي اللسانين:

وجاءت الروايات عن آل البيت ﵃ تؤكد معنى هذه الأحاديث؛ وتوضح حُرمة الكذب؛ وذم ذي الوجهين واللسانين!

فعن الباقر ﵀ قال: بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهدًا، ويأكله غائبًا، إن أُعطي حسده، وإن ابتُلي خذله(١).

وعن الصادق ﵀: من لقي المسلمين بوجهين ولسانين، جاء يوم القيامة وله لسانان من نار(٢).

فانظر إلى أقوال أئمَّة أهل البيت رحمهم الله، ثمَّ انظر إلى عقيدة من أوهم غيره أو توهم أنَّه متبع لنهجهم، فكيف توفِّق بينها؟! ثمَّ انظر هل تجد مكانًا للصدق مع التَّقِية(٣)؟!

التَّقِيَّة خلاف الواقع الإسلامي:

ولكن إذا كانت التَّقِيَّة بالمنزلة الَّتي تذكرها مصادر الشِّيعة المعتبرة، فلماذا لم يستخدمها رسول الله ﷺ في أحلك المواقف والظروف! بل ثبت عنه أنه حين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. رقي ﷺ جبل الصفا، ودعا قريشًا جهارًا نهارًا، كما نادى يوم حُنَين بأعلى صوته، وقد انفرد وحده مُتَّجهًا نحو العدو:

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطَّلِبْ(٤)

(١) بحار الأنوار (٢٠٢/٧٢ ـ ٢٠٣).

(٢) أصول الكافي (٣٥٤/٢)، كتاب الإيمان والكفر، باب ذى اللسانين.

(٣) التَّقِية الوجه الآخر لفيصل نور صـ٣٠٠ بتصرف، نشر المناصحة نت.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، كلاهما في الجهاد والسير، عن البراء بن عازب.



أليس الأَولى به في مثل تلك الأحوال استخدام التَّقِية، وعدم تعريض نفسه وأصحابه للهلاك والمشقّة؟

ولماذا لم يستخدمها الحسين رضي الله عنه، وينزل على حكم عبيد الله بن زياد تقيَّةً، ويحقن دمه ودم أهل بيته وخيار أصحابه؟!

إن كتمان الحق وترك الواجب الشرعي، وارتكاب المنهي عنه خوفًا من النَّاس بلا موجب، يحمل في طياته معاني ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والخداع والكذب، والخوف والجبن، وأنْ يكون الإنسان ذا وجهين، وإن كل ذلك ممَّا يؤدي إلى فساد الدين، ومعلومٌ أن ما يؤدي إلى ذلك لا تجوز فيه التَّقِية!

أقوال الأئمَّة وأفعالهم بخلاف التَّقِيَّة:

يقول الدكتور موسى الموسوي: الأئمَّة كانوا أبعد النَّاس عن التَّقِيَّة، وأكثر النَّاس مقتًا لها، ولنعلم بعد ذلك أنه لم يكن من المعقول ألَّا يعمل أئمَّة الشِّيعة بالتَّقِيَّة، وهم يأمرون أتباعهم وشيعتهم بالعمل بها!

وإنا نقرأ في كتب الشِّيعة أنفسهم، فنجدُ ما يناقض رواياتهم الَّتي اختلقوها في شأن التَّقِية:

ابتداءً من سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى غيره من أئمَّة أهل البيت رضي الله عنهم والعلماء، ومن أصحِّ الكتب عند القوم كتاب «نهج البلاغة»، وقد جاء فيه أنَّ عليًّا رضي الله عنه قال: الإيمان أن تُؤْثر الصدقَ حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعُك[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٧٥/٢٠).



يقول د. موسى الموسوي في كتابه «الشيعة والتصحيح»: وهذا الحسن رضي الله عنه، وهو الإمام الثاني للشيعة كان أبعد النَّاس من التَّقِيَّة ومخادعة الناس! وصلحه مع معاوية رضي الله عنه يشهد بذلك، فصلح الحسن عمل ثوريّ، وخروج على الرأي العام المحيط بالإمام في عصره، فقد لاقى الإمام الحسن معارضة صريحة من كثير من شيعة أبيه، الَّذين كانوا لا يريدون الصلح؛ حتَّى إن سليمان بن صُرَد ـ وهو من كبار شيعة علي ـ خاطب الإمام الحسن بقوله: السلام عليك يا مُذلَّ المؤمنين!

والمعارضون للصلح كانوا أقوياء وأشداء، ونال الإمام الحسن منهم الكثير، ولكن لم يفُتَّ كل ذلك في عضده، وقاوم المعارضة مقاومة الأبطال، فيا ترى لو كانت للتقيَّة مكان في قلب الحسن؛ هل كان يصالح معاوية، أمْ كان يستجيب لنداء الَّذين كانوا يحثونه على قتاله حتَّى يبايعه معاويةُ خليفةً منتخبًا وشرعيًّا للمسلمين؟!

ثم يأتي دور الإمام الحسين الَّذي ثار ضد يزيد بن معاوية، ولم يقبل بنصح أولئك الَّذين نصحوه بالبقاء في مدينة الرسول، ومنعوه من السير إلى العراق، وكل من يتابع الثورة الحسينيَّة يعلم بوضوح أن شهادة الإمام الحسين وأولاده وأصحابه، وسبي أهل بيته، كانت كلها تتجسَّد أمام الحسين قبل المعركة، وكان يعلم بها علم اليقين!

فَالحسين جمع أصحابه في ليلة العاشر من محرم، وقال لهم بأن غدًا سيكون القتال، وأنَّه مقتول لا محالة، وأنَّه حلَّ البيعة من أصحابه، وطلب أن يترك ساحة القتال من شاء منهم في ذلك الليل المظلم، وقال لهم: اتخذوا الليل جملًا، وارحلوا إلى مصائركم! فرحل منهم



مَنْ رحل، وبقي من بقي ليستشـــهد مع الحســـين، ويسجل اسمه في سجل الخالدين.

فهل في مثل هذه الثورة تجد الشِّيعة أثرًا للتقيَّة، أو كل ما يمتُّ إلى التَّقِيَّة بصلة؟!

ثم يأتي دور الإمام «علي بن الحسين» الملقَّب بالسجَّاد؛ وهو الَّذي عاصر ملحمة كربلاء، ولم يشـــترك بالقتال بســـبب المرض الَّذي ألزمه الفراش، وقد أُسر ضمن من أُسر بعد مقتل أبيه، وحُمِل على جمل أقتب مقيَّدًا بالسلاسل من كربلاء إلى الشام.

ترك الإمام السجَّاد لنا أربعة وخمسين دعاءً، جمعت كلها في كتاب واحد، وسميت تلك الأدعية: الصحيفة السجادية!

إن من يقرأ هذه الأدعية يعلـــم علم اليقين كيف أن التَّقِية كانت أبعد شيء إلى قلب السجَّاد، فقد نسف الإمام في أدعيته تلك الخلافة الأموية الحاكمة نصًّا ومضمونًا، إنها حقًّا أدعية ثورية، صدرت من إمام شـــاهد أضخم الثورات الإسلاميَّة حجمًا وأقلها زمانًا؛ فإذا لم يستطع أن يشترك فيها بدمه، فها هو اشترك فيها بلسانه كالسيف البتار!

ثم يأتي دور الإمام الباقر وابنه الصادق، وهما اللذان أسسا المدرسة الفقهيَّة الَّتي سميت باسم «الفقه الجعفري».

وكان الإمامان يُدَرِّسان في المدينة في جامع الرسول ﷺ، ويدليان بآرائهمـــا الفقهيَّة؛ وينشـــران مذهب أهل البيـــت، بلا خوف ولا وجل: فَـالباقر عاصر الخلافة الأمويَّة، والصادق عاصـــر نهاية الخلافة الأمويَّة وبداية الخلافة العباسيَّة؛ وكانت الخلافة الأموية والعبَّاسيَّة على اختلافٍ



مع الإمامين، ولا ترتضي بمدرســة أهل البيت الفقهيَّة، ولكن الإمامين أدَّيا الرســالة، وقد تخرج عليهما فقهاء وعلماء كثيرون، وهكذا نرى أن الإمامين كانا يؤديان الواجب؛ غير متهيبين من الســلطة الَّتي كانت على خلاف معهما.

ومن الغريب أن بعض رواة الشِّيعة روت عن الإمام الصادق روايات في وجوب التَّقِية على شــيعته، في حين أنه وشــيعته لم يكونوا بحاجة إليها، فالإمام كان يدرِّس في مســجد الرســول ﷺ، وحوله آلاف من التلاميذ والطلاب والمستمعين.

وليت شعري كيف يمكن لمدرسة فقهيَّة ـ بهذه السّعة وكثرة الطلاب والتلاميذ ـ أن تُبنــى على التَّقِيَّة؟ وأيــة تقيَّة اســتعملها الإمام في بناء مدرســته الفقهيَّة، الَّتي كان يضع أساسها أمام المسلمين وبصورة علنية؛ بما فيهم المحب المخلص، والعدو الشامت؟!

والإمام موســى بن جعفر لم يكن على وفاق مع الخليفة العباســي هارون الرشــيد، وقضى ســنوات في ســجن الخليفة ببغداد، فلو كان موسى بن جعفر يسلك طريق التَّقِيَّة ويخادع الخليفة، الَّذي كان ابن عمه وكانت تتحكم بينهما صلات القربى؛ لما حدث له ما حدث[1]!

إن مثل هذه المواقف الحميدة من عليٍّ وأنجاله أثارت كوامن الغيظ في نفوس الشِّيعة، فزعموا أن عليًّا وبنيه وغيرهم من الأئمَّة ما فعلوا ذلك إلا تقيَّة! وجعل شيوخُهم عقيدتَهم في التَّقِيَّة هي المخرج من الاختلافات

(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي صـ٥٥.

والتناقض في أخبارهم وأحاديثهم، ويتبين من ذلك أن التَّقِيَّة اســتعملها مهندسو العقيدة لقيادة الأتباع، واســتعملها علماء الفرقة لقراءة الأخبار المنســوبة إلى الأئمَّة، وللتوفيق بينها توفيقًا يــواري اضطرابها، ووظفها الأتباع للتوسيع على أنفسهم في معاملة المخالف[١].

❊ ❊ ❊

(١) عقائد الشيعة الاثني عشرية وأثر الجدل في نشأتها وتطورها حتى القرن السابع من الهجرة لعبد الله جنوف صـ٢٧٥، نشر دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.

من مبادئ التَّقِيَّة عند الشِّيعة

التَّقِيَّة ليست في حال الضرورة فقط:

من ينظر لأقول أئمَّة الشِّيعة وآرائهم الواضحة في كتبهم المعتمَدة: يتبين له بما لا يدع مجالًا للشك أن التَّقِيَّة عندهم ليست أمرًا طارئًا يعملون به حال الضرورة؛ وإنَّما هي عادة محكَّمة، ووسيلة متمكنة ومتجذرة في اعتقاد القوم وسلوكهم.

يقول الدكتور القفاري: أما تطبيق التَّقِيَّة عندهم فإنَّه خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة.

وقد اعترف ـ أيضًا ـ صاحب الحدائق بأن الأئمَّة «يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين»[1]. والأمثلة في هذا الباب كثيرة جدًّا.

روى الكُلَيْني «عن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبد الله، فسأله رجل عن آية من كتاب الله ﷻ، فأخبره بها، ثمَّ دخل عليه داخل، فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول، قال: فدخلني من ذلك

(١) الحدائق الناضرة (٥/١).



ما شاء الله، حتَّى كأن قلبي يُشرح بالسكاكين. فقلت في نفسي: تركتُ أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله! فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي، فعلمت أن ذلك منه تقيَّة، قال: ثمَّ التفت إليّ فقال لي: يا ابن أشيم، إن الله فوَّض إلى نبيه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾، فما فوّض إلى رسول الله ﷺ فقد فوَّضه إلينا»[1].

فانظر كيف نسبوا إلى جعفر أنه يضل بتأويل القرآن على غير تأويله، بل إشاعة التأويلات المختلفة المتناقضة بين الأمة، ثمَّ يزعمون أنه قد فُوِّض له أمر الدين، يفعل ما يشاء! فهذه ليست تقيَّة، هذا إلحاد في كتاب الله، وصد عن دينه! ثمَّ هل هناك حاجة للتَّقِيَّة في تفسير القرآن؟ وفي القرون المفضلة! ومن عالم أهل البيت في عصره!

ومما يدل صراحة على أن التَّقِيَّة ليست إلا الكذب الصريح بلا مبرر: ما رواه الكُلَيْني، عن مُحَمَّد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام (جعفر الصادق) وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جعلت فداك؛ رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي: يا بن مسلم، هاتها إنَّ العالم بها جالس، وأومأ بيده إلى أبي حنيفة (فعرض الراوي الرؤيا على أبي حنيفة، فأجابه أبو حنيفة عليها، كما يزعمون)، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال (الراوي): ثمَّ خرج أبو حنيفة من عنده، فقلتُ له: جعلتُ فداك، إنِّي كرهت تعبير هذا النَّاصب. فقال: يا بن مسلم، لا يسوؤك الله، فما

(١) أصول الكافي (٢٩٣/١)، كتاب الحجة، باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام في أمر الدين.



يواطئ تعبيرُهم تعبيرَنا، ولا تعبيرُنا تعبيرهــم، وليس التعبير كما عبره. قال: فقلــت له: جعلت فــداك، فقولــك: أصبت، وتحلــف عليه، وهو مخطئ؟ قال: نعم حلفت على أنه أصاب الخطأ[1]!

فهل استعمال التَّقِية في هذا النص له مسوغ؟

هل أبو حنيفة ذو سلطة وقوة حتَّى يُخشى منه ويُتقى؟

وهل من ضرورة لمدحه والقســم على صواب إجابته، ثمَّ لما خرج يحكم عليه بالنَّصْب ويخطئه في جوابه؟!

هل لهذا تفســير غير الخداع والكذب بلا مسوغ، ونحن نبرِّئ جعفر الصادق من هذا الافتراء ونقول: إن هذا سب وطعن في جعفر ممن يزعم التشيُّع له ومحبته[2].

ومن المعلوم أن أبا حنيفة ناصــر ثورة النفس الزكية، وأفتى بالخروج معه، ولم يلِ عملا للعباسيين؛ بل سجنوه وآذوه، فالتقيَّة معه كذب صريح.

التَّقِيَّة متغلغلة في علماء الشِّيعة:

وليست التَّقِية أمرا يتناقله عوام الشِّيعة الاثني عشريَّة؛ ممن لا يعرفون حقيقة الدين، وربما انتشــرت بينهم بعض المفاهيم الخاطئة، أو البدع المنحرفة؛ إنَّما تتغلغل التَّقِيَّة في خواص القوم وعلمائهم.

يقول الدكتور موسى الموسوي: ومما يحزن له قلبي ويعصره عصرًا هــو أن التَّقِيَّة في الفكر الشِّــيعي تجاوزت عامَّة الناس، واســتقرت في أعماق قلوب القادة من زعمــاء المذهب! الأمر الَّذي كان الســبب في

---

(١) بحار الأنوار (٢٢٤/٤٧).

(٢) أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري (٨١٦/٢، ٨١٧).



دعوتنا لتخليص الشِّيعة من تلك الزعامات؛ فعندما يرتضي القائد الديني لنفسه أن يسلك طريق الخداع مع النَّاس في القول والعمل باسم التَّقِية؛ فكيف يُنتظر الصلاح من عامَّة الناس؟

يعيش المجتمع الشِّيعي بقيادة زعاماته مغلقًا على نفسه بالتَّقِيَّة؛ فيُظهر شيئًا، ويبطن شيئًا آخر، فلا أعتقد أنه يوجد زعيم شيعي واحد في شرق الأرض وغربها يستطيع أن يعلن رأيه؛ حتَّى في كثير من البدع الَّتي أُلصقت بالمذهب الشيعي، خوفًا ورهبةً من الجماهير الشِّيعيَّة، الَّتي درَّبتها الزعامات تلك على العمل بتلك البدع، فأصبحت جزءًا من كيانها[١].

مشروعية التَّقِيَّة عند الشِّيعة في الأمن ودون توافر أسبابها:

القوم لا يرون في التَّقِية أنَّها مشروعة في حال الضرورة، لذا تراهم قد وضعوا روايات تحثُّ عليها من دون أن تتوافر أسبابها، كالخوف أو الإكراه، حتَّى تكون بذلك مسلكًا فطريًّا عند الشِّيعة في حياتهم تصاحبهم حيث ذهبوا؛ فرووا ـ مثلًا ـ عن الصادق رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: عليكم بالتَّقِية، فإنَّه ليس منا من لم يجعله شعاره ودثاره مع من يأمنه، لتكون سجيته مع من يحذره[٢].

ويقول الخميني في «المكاسب المحرمة»: وترك التَّقِية من الموبقات الَّتي تلقي صاحبها قعر جهنم، وهي توازي جحد النبوة، والكفر بالله العظيم[٣].

فالاثنا عشريَّة ـ إذن ـ لا يرَوْنَ في التَّقِية أنَّها مشروعة في حال الضرورة فقط، لذا تراهم قد وضعوا روايات تحث عليها من دون أن تتوافر أسبابها أو تكون قائمة، كالخوف أو الإكراه، حتَّى تكون

(١) الشيعة والتصحيح صـ٥٥.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي (٣٩٥/٧٢).

(٣) المكاسب المحرمة (١٦٢/٢)، نشر مطبعة إسماعيليان، قم، ط ٣، ١٤١٠هـ.



بذلك مسلكًا فطريًّا عند الرافضة في حياتهم، تُصاحبهم أينما حلوا وأينما ارتحلوا.

ويذكر الخميني في «كتاب الرسائل»، عند كلامه عن أقسام التَّقِية: أن منها التَّقِيـة المُداراتية، والتـي عرّفها بقوله: تحبيـب المخالفين، وجرِّ مودتهم من غير خوف ضرر، كما في التَّقِية خوفًا[1].

ضياع معالم الدين عند الإماميَّة بسبب التَّقِية:

وبسـبب هذا الفهم للتقيَّة تجـد أنَّ معالم الدين عنـد الإماميَّة قد ضاعت، وأنَّ أحكامه قد ذهبت واندثرت، حتَّـى لم يبقَ في أيديهم من فقه آل البيت الَّذي يدَّعون عملهم به شيء؛ لشدة الاضطراب الواقع فيه، حتَّى أقروا بذلك!

فقد اعتـرف بذلك عالمهم يوسـف البحراني في كتـاب «الحدائق الناضرة» بأنه لم يُعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسـبب التَّقِية، حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين علـى اليقين إلا القليل، لامتزاج أخباره بأخبار التَّقِية. كما قد اعترف بذلك مُحَمَّد ابن يعقوب الكُلَيْني في جامعه الكافي، حتَّى إنـه تخطَّى العمـل بالترجيحات المرويـة عند تعارض الأخبار، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار[2].

واعترف أيضًا بأن الأئمَّة يخالفون بيـن الأحكام، وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنـام، فتراهم يجيبـون في المسـألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين[3].

---

(١) الرسائل للخميني (١٧٤/٢).

(٢) الحدائق الناضرة (٥/١).

(٣) الحدائق الناضرة (٥/١).



ويقول الشيخ الطوسي في «تهذيب الأحكام»: «إن أحاديث أصحابنا فيها من الاختلاف والتباين والمنافـاة والتضاد، حتَّى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يُضادُّه، ولا يسـلم حديث إلا وفي مقابلته ما ينافيه؛ حتَّى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطُّعون على مذهبنا، وتطرقوا بذلك إلى إبطال معتقدنا»[1].

محاولة تجميل التَّقِية الإماميَّة:

وفي محاولة لتجميل وجه التقيَّة الشِّـيعيَّة، وإسباغ صفة المشروعية عليها قـال الطباطبائي: وكان موقف أئمَّة أهل البيـت عليهم السلام ممَّا يُثار من الخلافات في هذه الفتنة موقفًا حكيمًا، فقد كانوا يجارون الفقه الرسمي الَّذي تتبناه السلطة ما تسعهم المجاراة، لئلا يزيد الشرخ في هذه الأمة، فإذا خلوا إلى أصحابهم، بيَّنوا لهم وجـه الحق فيما يختلف فيه الناس، وأمروهم بالكتمان والسر ما وسعهم ذلك، وحتَّى يقضي الله ما هو قاضٍ. وهذا هو ما يعرف عند الإماميَّة بـ «التقيَّة». ولم تكن الغاية منها المحافظة على النفوس والدماء من إرهاب السـلطة، وإنَّما كانت الغاية منها كثيرًا هي المحافظة على وحدة كيان الأمة من التصدع والتفرق قدر الإمكان[2].

أسباب الغلو في التَّقِيَّة عند الشِّيعة الإماميَّة:

ثم إن المرء يتساءل هنا: ما هذه العقائد الَّتي لو أظهروها، لاستوجبت غضب الحـكام الأمويين والعباسـيين والعثمانيين وغيرهـم، بل حتَّى سلاطين الشِّيعة، فيصبوا بسببها جام غضبهم عليهم، ويتربصوا بالشيعي

(١) تهذيب الأحكام (٢/١)، تحقيق السيد حسن الموسوي، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران.

(٢) رياض المسـائل لعلي الطباطبائي (٢٤/١)، نشـر مؤسسة النشر الإسـلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٤١٢هـ.



لإهدار دمه، حتَّى اضطروهم بسبب ذلك إلى اللجوء إلى هذه التَّقِية الَّتي شذوا بها عن غيرهم؟!

يقول الدكتور القفاري: أما سبب هذا الغلو في أمر التَّقِية، فيعود إلى عدة أمور، منها:

أولًا: أن الشِّيعة تعُدُّ إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أنَّ عليًّا بايعهم، وصلَّى خلفهم، وجاهد معهم، وزوَّجهم، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم، ولم يغيِّر شيئًا ممَّا فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشِّيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشِّيعة من أساسه! فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتَّقِية!

ثانيًا: أنَّهم قالوا بعصمة الأئمَّة، وأنَّهم لا يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم! حتَّى إن روايات الشِّيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة، حتَّى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه! وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله، فقالوا بالتَّقِية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم.

ومع أن السهو أمر طبيعي، ووقع من النبي ﷺ حقيقةً؛ وهو لا يخالف عصمتَه ﷺ! مع ذلك لم يكن مقنعًا لهم، وأصروا على رفع أئمَّتهم عن الخطأ والنسيان، وكأن الشِّيعة يَعدُّون أئمَّتهم أعظمَ من النبي ﷺ مكانةً وقربًا من الله!

ثالثًا: تسهيل مهمة الكذابين على الأئمَّة، ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت، بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله «واضعو مبدأ التَّقِيَّة» عن الأئمَّة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم، وإنَّما يفعلونه تقيَّة؛ فيسهل



عليهم بهذه الحيلة رد أقوالهـــم، والدس عليهم، وتكذيب ما يُروَى عنهم من حق، فتجدهم مثلًا يردون كلام الإمام مُحَمَّد الباقر أو جعفر الصادق، الَّذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المســلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السُّنَّة، فاتقى في كلامه! ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي؛ بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه.

رابعًا: وضع مبدأ التَّقِية لعزل الشِّــيعة عن المسلمين، لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما ســمعتَ مني يشــبه قول النَّاس فيه التَّقِية، وما ســمعت مني لا يشبه قول النَّاس فلا تقيَّة فيه[١][٢].

دور التَّقيَّة في تثبيت الزعامات الشِّيعيَّة:

يقول الدكتور موسى الموســوي: «ويمكن القول: إنَّ العمل السريَّ المذهبيَّ بدأ من عصر ظهرت «التقيَّة» فيه بمظهر الواجب الشرعي الَّذي يجب أن يتَّبعه كل من له فكرة دينيَّة، ويخشى أن يجهر بها أمام السلطة الحاكمة أو الأكثريَّة الإســلاميَّة، ولذلك كان للتقيَّة دور كبير في إســناد الزعامات المذهبيَّة الشِّيعيَّة الَّتي ظهرت بعد الغيبة الكبرى.

فبالتقيَّة استمرت تلك الزعامات في نشاطها، وفي مأمن من السلطة الحاكمة، كمــا أن الأموال كانت تصــل إليها تحت غطــاء التقيَّة أيضًا. وهكذا أخذت التقيَّة تسري في الفكر الشِّيعي والعمل الشِّيعي طيلة قرون عديدة، وأخذت طابعًا حزينًا في تكوين الشخصيَّة الشيعيَّة.

---

(١) بحار الأنوار (٢/٢٥٢).

(٢) أصول مذهب الشيعة للدكتور ناصر القفاري (٢/٨١٠ ـ ٨١٤).



وإنَّني لا أشــكُّ من أنَّ التقيَّة كانت من أهمِّ الأسباب الَّتي أدت إلى التخلف الفكــري والاجتماعي والسياســي للمجتمعات الشــيعيَّة أينما وجدت، فقد سرت في دمائهم، ومنعتهم من الظهور بالمظهر الَّذي كانوا عليه خوفًا أو خجلًا.

وحتى في «إيران» القطر الشــيعي، عندما كانت الســلطة الحاكمة شيعيَّة خالصة؛ كان الشعب الإيراني يسلك طريق التقيَّة كواجب ديني؛ لمواجهة بطش السلطان واستبداده؛ فيضمر لهم بالقلب ما يناقضه في العلن، وهكذا تميَّز الشــعب الإيراني الشِّيعي كسائر نظرائه من الشِّيعة بازدواجية الشخصية، وإنني لا أشك أبدًا أن التقيَّة ـ قاتلها الله ـ لعبت دورًا كبيرًا في إبقاء الشِّــيعة بعيدة عن الفرق الإسلاميَّة الأخرى، كما أنَّها ســبَّبت في رميها بأمور عجيبة وغريبة ما أنزل الله بها من سلطان، وهي بريئــة منها. ولكن الدفــاع عن تلك الاتِّهامــات والأوهام لاقى صعوبة بالغة، بسبب اشتهار الشِّيعة بالتقيَّة، ورميهم بإخفاء الحقيقة في كل شيء[1].

ليس هناك ما يستوجب لجوء الشِّيعة وأئمَّتهم للتقيَّة:

الحق أنــه ليس هناك ما يقتضــي اللجوء إلى التَّقِيَّــة، وجعلها بهذه المنزلة الَّتي أوصلها القوم لها، حتَّى اشــتهروا بهــا، وعدها البعض من مختصاتهم ومتفرداتهم، وقــد أقرَّ بعضهم بهذا، وذلك يدل على أن تقيَّة الشِّيعة مغايرة للتقيَّة الَّتي على فهمها ســائر فرق المسلمين؛ وهي الَّتي أقرَّها القرآن، وأكدتها السنة.

---

(١) الشيعة والتصحيح صـ٥٦، ٥٧.

تبريرات الشِّيعة لاشتهارهم بالتَّقِيَّة دون سائر فرق المسلمين:

وقد تفطَّن القوم إلى هذا الأمر؛ إذ إن أمرًا كهذا أصبح وبالًا عليهم، ومطعنًا فيهم، فاجتهدوا في التماس الأعذار، وخلق الأسباب؛ لإضفاء الشرعيَّة على اشتهارهم بها دون غيرهم.

يقول الأردبيلي: إن ظروف التَّقِية الشديدة الَّتي عاشها الأئمَّة عليهم السلام، ممَّا جعلهم يضطرون في بعض الأحايين إلى اتِّخاذ مواقف قولية أو عمليَّة مخالفة لآرائهم، انسجامًا مع الوضع السائد، وحفاظًا على وجود الشريعة ودعاتها[1].

تفنيد ذلك:

ولعل من مجانبة الصواب القول باقتصار ذلك على الشِّيعة، كما يدّعي بعضهم أن أهل السُّنة والجماعة كانوا بعيدين عن ذلك البلاء؛ لأنَّهم كانوا في معظم عهودهم على وفاق تام مع الحكام، فلم يتعرَّضوا لا لقتل ولا لنهب ولا لظلم، كما زعم ذلك التيجاني[2].

فهذا القول غير صحيح، فإن كثيرًا من علماء أهل السُّنَّة قد تعرضوا لشتى أنواع التنكيل والتعذيب، وعلى رأسهم أئمَّة المذاهب، الَّذين ضربوا أروع الأمثلة في التصدي للباطل وإحقاق الحق، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، فلم يأخذوا بالتَّقِية المشروعة، فضلًا عن تقيَّة القوم.

---

(١) مجمع الفائدة للأردبيلي (١١/١)، تحقيق الحاج آقا مجتبى العراقي وآخرين، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.

(٢) لأكون مع الصادقين للتيجاني السماوي صـ١٨٧، نشر مؤسسة أنصاريان، قم، ط١٠.



عمل الأئمَّة بالتَّقِيَّة يوجب عدم الاعتماد عليهم:

لذا نعيب على القوم هذا الأمر، ونقول: إنَّ النبيَّ ﷺ والأئمَّة عليهم السلام في اعتقادكم نُصبوا لبيان الشرائع والأحكام، فلو اتقوا من الأعداء ولم يُبيِّنوا؛ بقيت الأحكام مستورة غير معلومة، وانتفت الفائدة من نصبهم، وأيضًا لم يبقَ اعتماد على أقوالهم وأحكامهم، إذ تحتمل التَّقِية بيان خلاف الواقع، وأنتم تقولون: إن الإمام يجب أن يكون معصوما من الخطأ؛ ليكون قوله حجة. والتَّقِية مثل الخطأ أو أشنع، إذ يوجب عدم الاعتماد عليهم[1].

بين التَّقِيَّة الشرعيَّة والتَّقِيَّة الشِّيعيَّة:

وفي دراسة مقارنة قام بها الباحث خلدون الطيِّب حول التَّقِية عند أهل السُّنَّة والشيعة الإماميَّة؛ خلص إلى ما يلي[2]:

التَّقِية الشرعيَّة من مسائل الفروع لا الأصول، ولا بأس إذا ترَكها المسلم ولم يأخُذ بها. أما التَّقِية الشيعيَّة: فهي من أصول الدِّين، ومن لوازم الاعتقاد؛ بل لا دين ولا إيمان لمن لا تقيَّة له!

والتَّقِيَّة الشرعيَّة رخصة وليست عزيمة؛ فقد أُبيحت؛ رخصةً وتخفيفًا على الأمة، في بعض الأحوال الاستثنائيَّة الضرورية، ولا حرج لمن ترك هذه الرُّخصة وأخذ بالعزيمة، بل لقد قال العلماء بأنَّ من أخذ بالعزيمة فتضرَّر، فإنَّ ذلك أفضل. قال ابن بطَّال: وأجمعوا على أنَّ من أُكره على الكفر، واختار القتل أنَّه أعظم أجرًا عند الله[3].

(١) التَّقِية، الوجه الآخر لفيصل نور صـ١٠٥.

(٢) إسلامنا الناقص لدين الشيعة الروافض للدكتور خلدون محمد الطيب (٥٤١/٢ ـ ٥٤٨).

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (٢٩٥/٨).



وقال الفخرُ الرازيُّ: لو أفصح بالإيمان والحقِّ حيث يجوز له التَّقِية، كان ذلك أفضل[١].

وقال أصحاب أبي حنيفة: التَّقِيَّة رخصة من الله ـ تعالى ـ وتَرْكُها أفضل، فلو أُكْرِه على الكفر فلم يَفعل حتَّى قُتل، فهو أفضل ممن أظهر، وكذلك كل أمرٍ فيه إعزاز الدِّين، فالإقدام عليه حتَّى يُقتل أفضل من الأخذ بالرُّخصة.

وعن الإمام أحمد أيَّام محنته في خَلْق القرآن أنه سُئل: إنْ عُرِضْتَ على السَّيف تجيب؟ قال: لا. وقال: إذا أجاب العالِمُ تقيَّةً، والجاهلُ يجهل، فمتى يتبيَّن الحقُّ[٢]؟

أما التَّقِيَّة الشيعيَّة: فهي عزيمة وواجبة، وليست اختيارًا بحيث يمكن تركُها، ولا فرق في استخدامها بين حالة الإكراه والاضطرار، وبين حالة السَّعة والاختيار.

قال ابن بابويه: والتَّقِيَّة واجبة، لا يجوز رفعها إلى أن يَخْرج القائم، فمن تركها قبل خروجه، فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الإماميَّة، وخالف الله ورسوله والأئمَّة[٣].

ثم إن التَّقِيَّة الشرعيّة تُستخدم في حال الضّعف لا القوّة؛ فلا يُلجأ إليها في جَميع الأحوال، قال مُعاذ بن جبل ومجاهدٌ: كانت التَّقِيَّة في بَدْء الإسلام قبل استِحكام الدِّين وقوَّة المسلمين، وأمَّا اليوم فقد أعزَّ الله الإسلام، فليس ينبغي لأهل الإسلام أن يتَّقوا مِن عدوِّهم[٤].

(١) انظر: تفسير الرازي (٩٤/٨).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٩٥/٣)، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) الاعتقادات لابن بابويه صـ١٠٨.

(٤) تفسير البغوي (٤٢٨/١)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.



أما التَّقِيَّة الشيعيَّة: فهي في جميع الأحوال، بلا استثناءٍ ولا تفريق بين حالة الضعف وحالة القوَّة، وينقلون عن الصَّادق أنه قال: ليس مِنَّا مَن لم يجعلها شِعارَه ودِثَاره مع مَن يَأمنُه، ليكون سجيَّته مع من يَحْذرُه[1].

والتَّقِيَّة الشرعيَّة لا يجوز أن تكون سجيَّة للمسلم في جميع أحواله؛ وإنَّما هي استثناء ورُخْصة ـ كما سبق ـ ولذلك فلا يجوز أن تكون ديدنَ المسلم في جميع أحواله. يقول د. القفاري: «والتَّقِيَّة في دين الإسلام دين الجهاد والدَّعوة، لا تُمثِّل نهجًا عامًّا في سلوك المسلم، ولا سِمَة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي ـ غالبًا ـ حالة فرديَّة مؤقَّتة، مقرونة بالاضطرار، مرتبطةٌ بالعجز عن الهِجْرة، وتزول بزوال حالة الإكراه»[2].

أما التَّقِيَّة الشِّيعيَّة، فهي مُلازِمة لطبيعة الفرد الشِّيعي، ومستمِرَّة معه، فهو يستخدمها في جميع أحواله؛ ولذلك نجد مِنْ أثرها ظهورَ الكذب وانتشارَه عند أتباع المذهب الإماميِّ الاثني عشري، إلى درجة أنَّ أهل الحديث يَقْبلون رواية أهل البِدَع إجمالًا، ما عدا الشِّيعة الإماميَّة، لكثرة كذبهم.

وقد سئل الإمام مالِكٌ عن الرَّافضة، فقال: لا تكلِّمْهم، ولا تَرْوِ عنهم؛ فإنَّهم يَكْذبون[3]. وقال الشافعي: لَم أرَ أحدًا أشهد بالزُّور من الرافضة[4].

وقال يزيد بن هارون: يُكتَب عن كلِّ صاحب بدعة إذا لم يكن داعية، إلَّا الرافضة، فإنَّهم يكذبون[5].

---

(١) انظر: بحار الأنوار (٧٢/٣٩٥).

(٢) أصول مذهب الشيعة للقفاري (٢/٩٨١).

(٣) لسان الميزان لابن حجر (١/٢٠٢)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

(٤) رواه البيهقي في الشهادات (١٠/٢٠٨).

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي (١/٦٨).



وقال ابن تيميَّة: وقد اتَّفق أهل العلم بالنقل والرِّواية والإسناد على أنَّ الرافضة أكذَبُ الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمَّة الإسلام يَعْلمون امتيازهم بكثرة الكذب[1].

ماذا جنى الشِّيعة من التَّقِيَّة؟

ولكن السؤال المهم: هل حققت التَّقِيَّة للمذهب الشِّيعي مكاسب وعزًّا كما اعتقدوا؟

الحقيقة أن هذه التَّقِيَّة قد جنت على مذهب الشِّيعة من حيث لا يدرون، وهذا ما اعترف به علماء الشِّيعة أنفسهم، كما سيأتي، وكان الشِّيعة هم الطرف الخاسر في هذه القضيَّة، وإن جنوا بعض المكاسب الَّتي لا تُقارَن بحجم خسارتهم.

فقد كان الشِّيعة يلتزمون التَّقِيَّة، معتقدين أنَّها مصدر مهم لقوة مذهبهم، وأمان له كي يحيا بسلام داخل المجتمعات الإسلاميَّة، الَّتي لا تقبله ولا تقر بما جاء به. فإذا وجد الفرصة سانحة، والزمان مناسبًا، والجو آمنًا، اندلعوا كالنار في الهشيم، ينشرون مذهبهم، ويعملون على تأسيس دولتهم بالقوة، كما حصل لدعاة الدولة الفاطميَّة، الَّذين أقاموا بالمغرب دولتهم، ونشروا مذهبهم بحد السيف.

لكن بجوار هذه المكاسب الَّتي لا تعد شيئًا، خسر الشِّيعة قوَّة مذهبهم، ودمَّرت التَّقِيَّة المذهب بكامله، حتَّى أصبح مذهبًا متناقضًا، وفي هذا يقول البحراني وهو أحد محققيهم:

---

(١) منهاج السُّنَّة النبوية لابن تيمية (٥٩/١).



«غير خفي علـى ذوي العقول من أهل الإيمـان، وطالبي الحقّ من ذوي الأذهـان، ما بُلي به هذا الدين من أولئك المـردة المعاندين ـ أي الصحابة ـ بعد موت سيِّد المرسـلين، وغَصْب الخلافة من وصيِّه أمير المؤمنين، وتواثُب أولئك الكفـرة عليه، وقصدهم بأنواع الأذى والضرر إليه، وتزايد الأمر شـدَّة بعد موته صلوات الله عليـه، وما بلغ إليه حال الأئمَّة صلوات الله عليهم من الجلوس فـي زاوية التَّقِيَّة، والإغضاء على كل محنة وبلية، وحث الشِّيعة على استشعار شـعار التَّقِية، والتديُّن بما عليه تلك الفرقة الغَوَيِّة ـ أي التدين بدين أهل السُّنَّة ـ حتَّى كُورت شمس الدين النيرة، وخسفت كواكبه المقمرة، فلم يُعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل، لامتزاج أخباره بأخبار التَّقِيَّة، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسـلام وعلم الأعلام مُحَمَّد بن يعقوب! فصـاروا صلوات الله عليهم ـ محافظة على أنفسـهم وشـيعتهم ـ يخالفون بيِّن الأحـكام؛ وإن لم يحضرهم أحد من أولئـك الأنام، فتراهم يجيبون في المسـألة الواحدة بأجوبة متعددة، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين، كما هو ظاهر لمن تتبع قصصهم وأخبارهم وتحرَّى سيرهم وآثارهم»[١].

ويقول الدكتور موسى الموسوي: إنني أعتقد جازمًا أنه لا توجد أمة في العالم أذلَّت نفسـها وأهانتها بقدر ما أذلت الشِّيعة نفسها في قبولها لفكرة التَّقِيَّة والعمل بهـا، وها أنا أدعو الله مخلصًـا، وأتطلع إلى ذلك اليوم الَّذي تربأ الشِّيعة حتَّى عن التفكير بالتَّقِيَّة، ناهيك عن العمل بها؟

ولست أدري كيف تدّعي الشِّـيعة بأنَّها من أنصار الإمام الحسين سيِّد الشهداء وإمام الثائرين، وهي تعمل بالتَّقِية وتعتقد بها، وترتضيها لنفسها[٢]!

---

(١) الحدائق الناضرة للبحراني (٤/١، ٥).

(٢) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي صـ٥١، ٥٢.



وكيف لدين يسـير بهذه التَّقِيـة، ويبارك بثها بيـن أتباعه أن تُعرف حقيقة دينيَّة فيه؟ وكيف يميز الناظر بين الحق والباطل فيه؟!

التَّقِية الشِّيعيَّة من عوائق التقريب:

إن التقريب المنشـود: ليس هو الَّذي يقوم على مبدأ «التَّقِية» المقرَّر عند الشِّيعة، لأن هذا إذا اتخذ أساسـا في التعامل بين دعاة «التقريب»، لا يؤدِّي إلى الثقة والاطمئنان بيـن الأطراف بعضها وبعض، وخصوصًا بالنسبة لأهل السُّنَّة، إذ ما يدريني أن الَّذي يُتفق معي عليه إنَّما تمَّ «تقيَّة»! إذ التَّقِيَّة تجيـز أن تُظْهر غير ما تُبْطن، وأن تُعلن عن شـيء، وأنت غير مؤمن به على الإطلاق.

وهذه العقيـدة تجعل من الصعوبـة التفاهم المخلص بين الشِّـيعة الإماميَّة وبين المخالفين لهم؛ وخصوصا أهل السُّـنَّة، ولذا قال الأستاذ محب الدِّيـن الخطيب: «وأول موانع التجاوب الصـادق بإخلاص بيننا وبينهم: ما يسـمونه التَّقِيَّة، فإنَّها عقيدة دينيَّة تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب، وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به، ولا يعملون له، إلا على أن يبقى من الطرف الواحد، مـع بقاء الطرف الآخر في عزلته، لا يتزحزح عنها قِيدَ شعرة»[1].

وقد نقد أحد علماء الشِّـيعة المنصفين هذه العقيـدة عندهم، وهو الدكتور موسى الموسـوي، فقال: «لقد أراد بعض علمائنا رحمهم الله أن يدافعوا عن التَّقِيَّة، ولكن التَّقِيَّة الَّتي يتحدث عنها علماء الشِّيعة وأمْلَتْها

(١) الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب صـ٩ ـ ١٠.



عليها بعض زعاماتها، هي ليست بهذا المعنى إطلاقًا، إنها تعني أن تقول شيئًا وتضمر شيئًا آخر، أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلاميَّة، وأنت لا تعتقد به، ثمَّ تؤديه بالصورة الَّتي تعتقد به في بيتك»[١].

نصيحة شيعية مخلصة:

يقول الدكتور موسى الموسوي: ينبغي على الشِّيعة في كل الأرض أن تقف من التَّقِيَّة موقف الإنسان الكريم، الَّذي يحترم عقيدته وذاته، ويجب أن يكون مُتَّصفًا بالإباء والشِّيَم، الَّتي هي من الأخلاق الفاضلة، وأن يفكر مليًّا في الآثار النفسية الَّتي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية، والاضطراب بين القول والفعل، والتي تتنافى مع الصدق، وتتناقض مع صفات المسلم المخلص، فأي كلام أو عمل يصدر من الإنسان وفيه رياء أو خداع؛ لا بدَّ وأن فيه مغايرة مع المنطق أو عمل الجماعة والأكثريَّة!

ولذلك يجب على المسلم الحقيقي أن يقلع عن كلام أو عمل لا يستسيغه المجتمع الإسلامي؛ سرًّا كان أو جهرًا، وأن يترفع من الظهور بمظهر الإنسان المرائي المخادع.

إن على القواعد الشيعيَّة ولا سيَّما المثقفين منهم أن يحاسبوا زعاماتهم المذهبيَّة حسابًا عسيرًا في سوْقهم إياهم على هذا الدرب الشائك لأغراض في نفوسهم.

إن على الشِّيعة أن تجعل نصب أعينها تلك القاعدة الأخلاقية الَّتي فرضها الإسلام على المسلمين، وهي أن المسلم لا يُخادع ولا يُداهن،

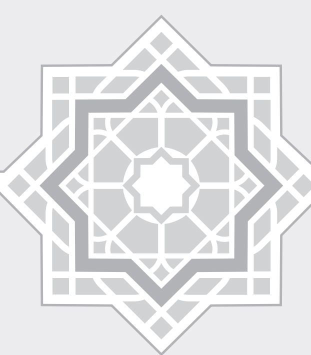
(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي صـ٥٢.

ولا يعمل إلا الحــق، ولا يقول إلا الحق ـ ولــو كان عليه ـ وأن العمل الحسن حسنٌ في كل مكان، والعمل القبيح قبيحٌ في كل مكان، وليعلموا أيضًا أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال: التَّقِية ديني ودين آبائي؛ إن هو إلا كذب وزور وبهتان على ذلك الإمام العظيم[١].

* * *

(١) الشيعة والتصحيح صـ٥٩.

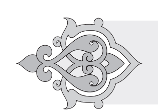
موسوعة الأعمال الكاملة
لسماحة الإمام
يوسف القرضاوي



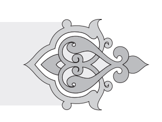
الفهارس العامة



- فهــرس الآيات القرآنيــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشــريفة.
- فهرس الموضوعات.




فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾	٢٣٤	٩٦
﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم ﴾	٢٤٠	٩٦
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾	٢٨٥	٣٢٤، ٣٧٠
سورة آل عمران		
﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾	٢٨	١٣، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾	٣١	١٤٣
﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	٣٢	٣٨
﴿ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﴾	٦١	٣٧٦
﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾	٧٩	٣٤٩، ٣١٧
﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	٨٥	٢٧
﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾	١٠٣	٢٠، ٤٨، ٦٠، ٢٠٩
﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	٧، ٩٧، ٢٥٥، ٣٢٣
﴿ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا ﴾	١٢٠	٢٣٨
﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ ﴾	١٤٠	٢٠٧
﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	١٤١	٢٠٧
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ﴾	١٤٤	٢٣٧
﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾	١٥٢	٢٠٧
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	١٥٥	٢٥١
﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾	١٥٩	٤٧



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ﴾	١٦٥	٢٠٧
﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	٥٤
سورة النساء		
﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾	٢٩	٣٨١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	٤٨	٤١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾	٥٩	٣٨، ١٤٣
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾	٦٥	١٤٤
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾	٨٠	٣٨، ١٤٣، ١٦٤
﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	٨٢	٨٨
﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ﴾	١٠٨	٣١٣
﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾	١٢٣، ١٢٤	٣٦٦
﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾	١٢٣	٣٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾	١٧٤	٨٠
سورة المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾	٣	٢٧، ١٦٦، ١٦٧، ٣٢٣، ٣٤٢
﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾	١٥	٨٠
﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾	١٦	٨٠
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ﴾	١٨	٢٤، ٣٦٥
﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾	٢٤	٢٢٩

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾	٢٧	٢٧٩
﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾	٣٠	١٢٠
﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾	٤٤	٨٤، ٣١٧
﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾	٥١	٢٩٨
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٥٥	٢٩٣، ٢٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾	٦٧	١٠٧، ١٦٦، ٣٠٠، ٤١٧
سورة الأنعام		
﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾	٣٨	١٦
﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	٤٦
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾	١٠٨	٢٦٨
﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾	١٢٤	٣٥٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾	١٥٩	١٧، ٢٢، ٦٠
﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٦٢ ـ ١٦٤	١٧
سورة الأعراف		
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾	١٥٧	٤، ٨، ٨٠، ٢٠٣، ٢٥١، ٣٧٠
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٣٧٠
﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾	١٨٨	٢٨٠، ٣١٨، ٣٣٠
﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٢٢٤



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنفال		
﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾	٩	٢٠٦
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾	١٠	٢٠٦
﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾	١٢	٢٠٧
﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾	١٧	٢٠٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾	٢٤	١٤٣
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٦	٢٠٧
﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٢٠٨، ٢٢٩، ٢٥١
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾	٦٣	٢٠٨، ٢٢٩، ٢٥١
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٤	٢١١
﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٧٤	٢٥٠
سورة التوبة		
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾	٦	١٠٦
﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾	٢٤	٢٠٦
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾	٢٥ ـ ٢٧	٢٠٩
﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٣٢	٤٥
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾	٣٣	٤٥، ٤١٨
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٤٠	٧، ٢١٩، ٢٤٠
﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾	٤٣	٣١٨



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ﴾	٧٤	٢٤٤
﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾	١٠٠	٤، ٢١١، ٢٤٩، ٢٦٣
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾	١١٤	٢٧٩
﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾	١١٧	٢١١، ٣١٨
﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾	١١٨	٢١١
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾	١١٩	٢٥٠
سورة هود		
﴿كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٨٠
﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾	٤٦	٢٧٩
﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾	٧١	٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٢، ٣٧٧
﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾	٧٢	٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٢، ٣٧٧
﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ﴾	٧٣	٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٢، ٣٧٧
سورة يوسف		
﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾	١	٨١
﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٢٥	٣٦٧
﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾	٨٧	٤٧، ٢٠٤
﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾	١٠٨	٤١٨



الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة إبراهيم		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾	١	٨٢
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤	٢٠٩
﴿ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ ﴾	٢٥	٢٠٩
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	٩	٤، ٧٩، ٨٧، ٨٨، ١١٩، ١٢٣، ٢٠٠، ٣٢٢، ٣٦٩
﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	٩٤	٤١٧
سورة النحل		
﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	٣٦	٩
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾	٤٤	١٤٢
﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	٨٩	٣٤٢
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾	٩٧	٣٤٥
﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾	١٠٥	٤١٩
﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾	١٠٦	٧٥، ٤٠٦
﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ ﴾	١١٦	٤١٩
سورة الإسراء		
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ﴾	١	١٦٤
﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ﴾	٥	٨٤
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾	٩	٨٠



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾	٨٨	٨١
﴿ هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾	٩٣	٣١٨
﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	١٠٥	٨٠
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	٦	٩٧
﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾	٢٧	١٠٧
سورة طه		
﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾	١٠	٣٦٧
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾	٥٥	٣٣١
﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢١، ١٢٢	٣١٨، ٣١٩
سورة الأنبياء		
﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾	٨٧	٣١٨
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٩، ٢٠، ٤٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٦٤، ٣٢٣، ٣٤٣، ٣٥٣
سورة الحج		
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ ﴾	١٧	٢٦٥
﴿ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾	٣٠	٤١٩
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩ ـ ٤١	٢٠٥
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ ﴾	٥٨	٢٠٦، ٢٥٠
﴿ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾	٥٩	٢٠٦، ٢٥٠



الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	٩، ٢٠، ٤٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾	٥٧ ـ ٦١	٢٣١
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾	١٠١	٣٥٥، ٣٦٤، ٣٦٥
سورة النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ ﴾	١١	٢٦٣
﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ ﴾	٣٥	٨٠
﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ﴾	٥١	١٤٤
﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ ﴾	٥٤	٣٨، ١٤٣
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٥٥	٣٤٥
﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾	٥٦	٣٨
﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ ﴾	٦٣	١٤٣
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	١	٨٢، ١٦٤، ٣٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾	٧٤	٩٧
سورة الشعراء		
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾	١٩٢ ـ ١٩٥	١٠٧
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾	٢١٤	٣٦٨، ٤٢٠
سورة النمل		
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	٦	٨٠

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾	١٥	٣١٨
﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾	١٦	٣١٨
﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا﴾	٢٩	٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٨
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	١ ـ ٦	٢٠٤
﴿أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾	١٤	٣٥٢
سورة الروم		
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾	٢٢	٣٦٥
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾	٣٠ ـ ٣٢	٢٢
سورة الأحزاب		
﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾	٦	٧، ٣٨١
﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾	١٠	٢٠٧، ٢٣٠
﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾	١١	٢٠٧، ٢٣٠
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾	٢١	١٤٤
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٢٢	٢٠٨، ٢٣٠
﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾	٢٣	٢٠٨، ٢٣٠، ٤١٨
﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾	٢٤	٤١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	٢٨، ٢٩	٣٦٧



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴾	٣٢	٣١٨
﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٨٧	٨٢، ٣٥٣
﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴾	٨٨	٣٥٣
سورة غافر		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾	٢٨	٤١٩
﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾	٤٤	١٧
﴿ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾	٤٦	٣٨٠
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾	٥١	٤٦
سورة فصلت		
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾	٢٩	٢٣٨
﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾	٣٤	٤١٢
﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾	٤١، ٤٢	٤، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ١٠٨، ٢٠٠، ٣٢٢، ٣٦٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴾	٤١	٤، ٨٢، ٨٧، ١٠٨، ٣٢٢، ٣٦٩
سورة الشورى		
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ ﴾	١٥	٢٦٥
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	٣٨	٢٩٠، ٣٥٤
سورة الزخرف		
﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾	١ ـ ٤	١٠٦

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الدخان		
﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	٥٨	٨١
سورة الجاثية		
﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾	٧	٤١٩
﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾	٢٩	٩٨
سورة الأحقاف		
﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ ﴾	١٥	١٩١
سورة الفتح		
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۞ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾	١ ـ ٤	٢٠٨، ٣١٨، ٣٢٣
﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾	١٨ ـ ٢٢	٢٠٩، ٢٥٠
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾	٢٩	٢١٠، ٢٥١، ٢٥٧
سورة الحجرات		
﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾	٢	٣٢٦
﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ ﴾	٧	٢٥٧
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾	١٠	٤٦، ٢٠٩
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾	١١	٢٥
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ ﴾	١٣	٣٥٤، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤١٣
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾	١٥	٣٧٠

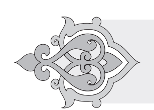


الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الذاريات		
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ﴾	١٥ ـ ١٩	٢٣١
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	٣٨
﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾	٣٢	٣٣٢
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾	١٧	٨١
سورة الرحمن		
﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾	١٩، ٢٠	١٠٢، ١٠٣
﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾	٢٢	١٠٣
سورة الواقعة		
﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۞ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۞ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾	٧٧ ـ ٨٠	١٠٦
سورة الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾	٤	٣٥٣
﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾	١٠	٢٥١، ٢٦٤
سورة المجادلة		
﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾	٢٢	٢١٢
سورة الحشر		
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾	٧	١٤٣
﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾	٧	٤٢٦

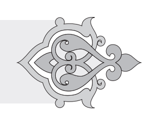
الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾	٨	٢٠٥، ٢١١، ٢٢٩، ٢٥٠، ٣٩١
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٢٠٥، ٢١١، ٢٣٠، ٣٠٣، ٣٩١
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾	١٠	١٧، ٢١١، ٣٩١
سورة الجمعة		
﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾	٢	١٠٧، ٢٥٧
سورة التغابن		
﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾	٨	٨٠
سورة التحريم		
﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾	٥	٢٢٤
﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٣١٨
﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٨	١٧
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾	١٠	٢٧٩
سورة نوح		
﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦	٣٥٢
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾	٢٧	٣٥٢
سورة الجن		
﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾	٢١	٣٢٧
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾	٢٦	٣٣٠
﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾	٢٧	٣٣٠



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾	٤	١٠٧
سورة القيامة		
﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾	١٦	١٠٧
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾	١٧	٨٧، ١٠٧
سورة عبس		
﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۞ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾	١ ـ ٣	٣١٨
سورة الانفطار		
﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾	١٩	٣٢٧
سورة البروج		
﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۞ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴾	٢١، ٢٢	١٠٦
سورة الأعلى		
﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾	٦	١٠٧
سورة الضحى		
﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾	٧	٣١٨
سورة الشرح		
﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾	١	١١٦
سورة الزلزلة		
﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾	٧	٢٨٠، ٣٢٧
﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾	٨	٢٨٠، ٣٢٧




فهرس الأحاديث النبوية الشريفة





الحديث	رقم الصفحة
ب	
بشِّرْ قاتلَ ابنِ صَفِيَّة بالنَّار	٢٦٧
بِع درعك وائتني بثمنها، حتَّى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما	٣٩٧
بلغوا عني ولو آية	٤١٨
بلى فادخلي في الكساء	٣٧٩
بينا أنا نائم، أُتِيت بقَدَح لبن، فشربت	٢٢٣
بينا أنا نائم، رأيت النَّاس يُعرَضُون عليَّ وعليهم قُمُص	٢٢٣
ت	
تجد من شر النَّاس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين	٤١٩
تُوُفِّيَ النَّبيُّ ﷺ في بيتي، وفي نوبتي	٢٢٨
ج	
جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر	٢٢٥
ح	
حسْبك من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد	٣٨٣
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنَّة	٣٨٥
حسين مني وأنا من حسين	٣٨٦
خ	
خير النَّاس قرني، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم	٢١٢، ٣٠٢
ذ	
ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر	٣٨٨



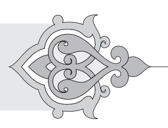
الحديث	رقم الصفحة
لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض	٤٨
لا تسبوا أصحابي، فلو أنَّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم، ولا نصيفَه	٥، ٢١٣، ٢٦٩
لا تسبُّوا الأموات، فإنَّهم أَفْضَوا إلى ما قدَّموا	٢٦٩
لا تسبُّوا الدَّهر، فإنَّ الله هو الدَّهر	٢٦٩
لا تسبُّوا الرِّيح، فإنَّها من رَوْح الله	٢٦٩
لا تسبُّوا الشيطانَ، وتعوَّذوا بالله من شرِّه	٢٦٩
لا تَسُبِّي الحُمَّى، فإنَّها تُذهب خطايا بني آدم	٢٦٩
لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول	١٩٢
لا تؤذيني في عائشة، فإنَّه والله ما نزل عليَّ الوحي وأنا في لِحَاف امرأةٍ	٢٢٧
لا نُورث، ما تركنا صدقةٌ؛ إنَّما يأكل آل محمدٍ في هذا المال	٣٠٤
لا، وأنتِ على خير	٣٧٩
لا يدخل النَّارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة	٢١٢
لا يدخل النَّار أحد شهد بدرًا، أو الحديبية	٢١٢
لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها	٥
لا يزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفة	٣٠١
لا يزال أمر النَّاس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا	٣٠١
لا يزال هذا الدين عزيزًا منيعًا إلى اثني عشر خليفة	٣٠١
لأعطينَّ الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه	٣٨٣
لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات	٢١٥
لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي	٣٨٥
لن يدخل النار رجل شهد بدرا والحديبية	٥



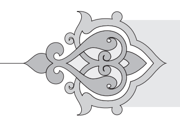


الحديث	رقم الصفحة
وأنتَ من أهلي	٣٨٠
وايم الله، لو أنَّ فاطمة بنت مُحَمَّد سرقت لقطعت يدها	٣٦٦
وقد شهد بدرًا؟! وما يُدريكَ يا عمر، لعلَّ اللهَ اطَّلع على أهل بدر؟	٢٦٦
ومن بطَّأ به عمله، لم يسرع به نسبه	٣٦٤
ي	
يا رسولَ الله، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى	٢٢٤
يا عبَّاس بن عبد المطلب، اعمل فإني لا أغني عنكَ من الله شيئًا	٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩
يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين. أو: سيدة نساء هذه الأمة	٣٨٣
يا فاطمة بنت محمَّد، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا	٢٨٠
يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا	٣٤٣
يغضبني ما أغضبها	٣٠٦
يكون اثنا عشر أميرًا، كلهم من قريش	٣٠١

❋ ❋ ❋



فهرس الموضوعات







الفصل الأول:

موقف الشِّيعة الاثني عشريَّة من القرآن الكريم



الفصل الثاني:
الشيعة الاثنا عشريَّة والسُّنَّة النبويَّة



الفصل الثالث:

موقف الشِّيعة الإماميَّة من الصحابة رضي الله عنهم







الفصل الرابع:

الشيعة الاثنا عشريَّة وعقيدتهم في الإمامة







الفصل الخامس:

الشيعة وتقديس آل البيت



الفصل السادس:

التَّقِيَّة بين ضوابط الشرع وغلو الشِّيعة الإماميَّة





❊ ❊ ❊